الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

رسالة لنيل شهادة الماجستير في شعبة الأنثروبولوجية

ATM/135.03

الموضوع

الممارسات الثقافية في الوسط الحضري دراسة ميدانية في البناء الاجتماعي لمدينة الغزوات

من إعداد الطالبة :
- يوسفي أمال

تحت إشراف :
الأستاذ الدكتور شايف عكاشة
بمساعدة الأستاذ رمضان محمد

السنة الجامعية: 2002/2001

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(و قل ربي أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق،
و أجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا)

صدق الله العظيم

دعاء

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت و لا أصاب باليأس إذا فشلت ... بل ذكرني دائما إن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح.

قائمة المحتويات

- مقدمة عامة 01

الباب الأول: أهمية الثقافة الحضرية

- **الفصل الأول**: التصور والمفاهيم 13

أولا: المسار التاريخي لتطور المجتمع الحضري

ثانيا: المفاهيم

ثالثا: النظريات المفسرة للتحضر

الفصل الثاني: أبعاد دراسة الثقافة الحضرية 58

أولا: التحضر و النمو الحضري في الجزائر

ثانيا: التطور العمراني والبشري لمدينة الغزوات

خلاصة الباب الأول 87

الباب الثاني: مظاهر الثقافة الحضرية

- **الفصل الأول** : الخصائص العامة لعينة الدراسة 89

أولا : الصفات العامة لعينة الدراسة

الفصل الثاني: النمط المعيشي في مدينة الغزوات 102

أولا: تحديد النمط المعيشي

ثانيا: السكن

ثالثا: العلاقات الأسرية داخل مدينة الغزوات

الفصل الثالث : التغير الاجتماعي والثقافي 124

أولا :التوارث المهني عبر الأجيال

ثانيا: العادات والتقاليد في مدينة الغزوات

خـــاتـمـــة: تلخيص عام لنتائج البحث. 136

❖ **الـمـراجـع**

❖ **الـمـلاحـق**

إهـــــداء

إلى أحلى اسم ينطق به لساني، أمي ينبوع العطف و الحنان، إلى من أضنته الأيام من أجل راحة أبنائه، حامي البيت و راعي شؤونه، والدي الفاضل، إلى الأشعة الثلاثة المضيئة على البيت أخواتي: نوال، نسيمة و إكرام.

إلى كل الأصدقاء الذين صادفتهم في محطاتي الحياتية و أخص بالذكر من كانوا لي سندا، و بذلوا النفس و النفيس لإعانتي في إنجاز هذه الرسالة و هم: أعضاء AD-Fratres و جمعية حماية البيئة بالغزوات، J.BESSE ؛ مدير و عمال الشركة الوطنية للزنك؛ رئيس و عمال بلدية الغزوات.

و إلى كل زملائي و زميلاتي بمعهد الثقافة الشعبية، و إلى من يتخذ من العلم سبيلا ليبلغ العلا.

و شـــكـــــرا

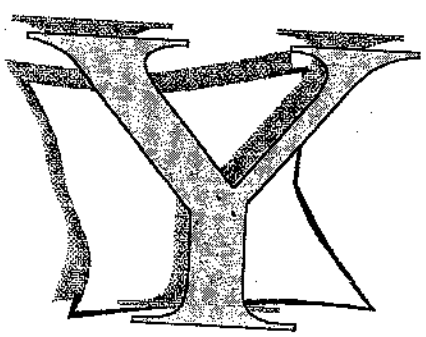

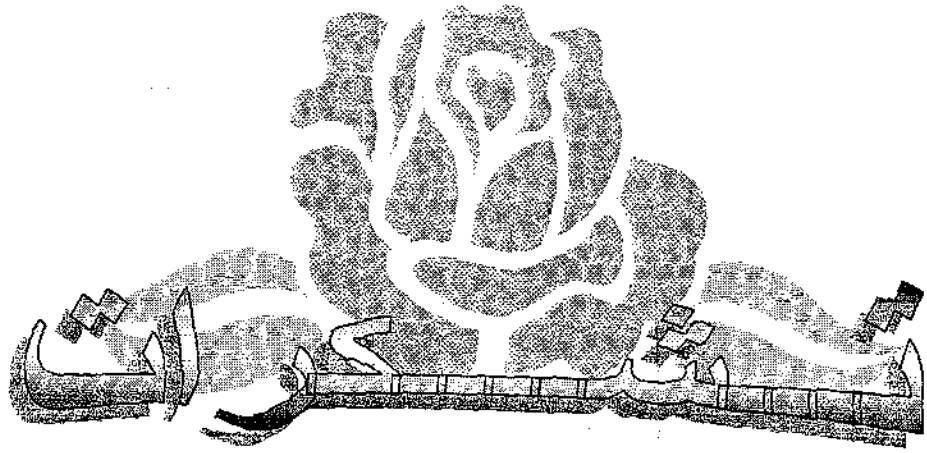

أتقدم بتشكراتي لكل من علمني حرفا، من معلم المدرسة الابتدائية إلى أستاذ الجامعة.

و أقف وقفة إجلال لأحيي جميع أساتذة معهد الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذين المشرفين، **الدكتور شايف عكاشة و للأستاذ رمضان محمد** اللذين أفاداني بالعناية و التشجيع و التوجيه طيلة مدة البحث فلهما، أقدم آيات الشكر و الثناء.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى **زماني أعمر** الذي ساعدني على طبع هذه الرسالة.

و إني لأرجو أن أكون موفقة فيما قصدت إليه و عملت من أجله.

A.Y

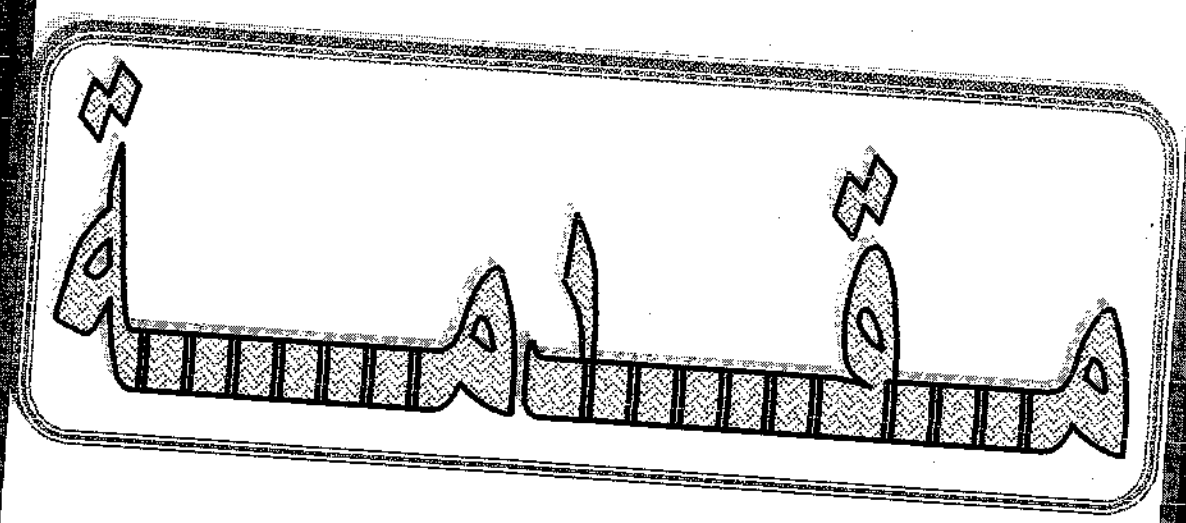
مقدمة

عرفت المدن الجزائرية تحوّلات اجتماعية وثقافية منذ فجر الاستقلال. وسارت الجزائر على طريق تنفيذ المشاريع التنموية التي انتهجتها منذ 1967، إذ قامت بإنشاء مؤسسات صناعية بالمدن وبالتالي أصبحت كهمزة وصل بينها وبين الرّيف، وهذا كان السبب المباشر في عملية النزوح الريفي، و احتكاك سكان المدن بالسكان النازحين ليس فقط الرّيفيين ولكن كذلك القادمون من مراكز حضرية أخرى، وبالتالي احتكاك ثقافات مختلفة وتحوّل ذاك المجتمع التقليدي إلى آخر عصري حديث.

هذا التحوّل الذي فرضته البرامج التنموية كان له هدف معين، وهو تثقيف وتحضير المجتمع الجزائري في الفترة التي تلت الاستقلال مباشرة، والذي كان في الأصل تواجد معظم الشرائح الاجتماعية المقتصرة أساسا على بعض الزراعات الاستهلاكية ناهيك عن تلك التي كانت تسكن المدن.

فهذه الحياة البسيطة التي كان يعيشها الجزائريون والمتمثلة في تصوّرات ومعتقدات وعادات خاصة بها والتي تظهر جليّا في الممارسات اليومية لها، "زد على ذلك انعدام الفرص المواتية للعمل المستمر في الرّيف والانتظام في التشغيل وعدم الرّضا عن الحياة في القرية و إهمال شؤونها ونقص فرص العمل وتخلفها وانخفاض مستوى الأجور وتعدّد فترات البطالة بحسب طبيعة ومقتضيات العمل الزراعي، فقد دعت هذه الأسباب كلّها إلى زيادة هجرة الرّيفيين وخضوعهم طعمة لوسائل الجذب الحضري بحيث يجد المهاجر إلى المدينة فرصا مواتية..."[1].

ويجدر بنا الكلام على مدينة الغزوات باعتبارها موضوع بحثنا إذ هي الأخرى قد استفادت من المشروع التنموي بإنشاء مؤسستين صناعيتين، الأولى: وحدة الخزف الصحي "العرقوب" والثانية وحدة الإلكترواليز، هاتين الأخيرتين عملتا على إيجاد فرص عمل جديدة، فارتفعت بها مدينة الغزوات نسبة التشغيل من 34,43% سنة 1966 إلى 38,14% سنة 1977 وهذا مردّه إلى

(1) مصطفى الخشاب، الاجتماع الحضري، مكتبة أنجلو مصرية القاهرة- 1976. ص: 248.

توافر فرص العمل، وبالمقابل انخفاض نسبة البطالة من 09,58 % سنة 1966 إلى 07,36 % سنة 1977[1].

وعلى إثر هذه التحوّلات التي عرفتها المدينة ومن خلال الإشكالية المطروحة أخذنا الخوض في بحثنا هذا من أجل البحث في أوجه التغير التي عرفتها المدينة على وجه العموم وأفرادها على وجه الخصوص ومدى احتكاك الثقافة المحلية بالثقافات الأخرى ومدى الاستجابة لهذه القيم و أوجه التكيّف والتجانس لأفراد هذا المجتمع الجديد، إذ انّه لا يتحقق التكيّف أو لا يكون كاملا إلا إذا صاحب هذا التلاؤم رضا الإنسان وإحساسه بالسعادة والتقبل النفسي بهذه البيئة المحيطة[2].

باعتبار أن موضوع الدّراسة يدور حول الثقافة الحضرية في المجتمع الجزائري، وهي دراسة أنثروبولوجية لمدينة الغزوات فقد قمنا بانتهاج هذه الدّراسة على هذا النحو بالاستعانة بمنهج العلوم الاجتماعية باعتبار أن علماء الأنثروبولوجية قد ولجوا ضرورة الاستعانة بمفاهيم ومناهج العلوم الاجتماعية للوصول إلى تحليل متكامل للعلاقات المتداخلة والمركبة، حيث أنّ الأنثروبولوجية قد حلات على منهجها الأول الذي كان يهتم بدراسة المجتمعات البدائية فحسب بل رأوا ضرورة الاستعانة بالمصادر والوثائق التاريخية للكشف عن التطوّرات والأحداث التي تعرضت لها المجتمعات.

وبما أنّ التغيّر ظاهرة تشمل جميع المجتمعات على اختلافها وقد بدت جلية في مجتمع البحث – مدينة الغزوات - كان لا بد لنا من بحث ميداني أنثروبولوجي للكشف عن أوجه التغيّر بها.

و قد ارتأينا أن تحتوي المقدمة على العناصر التالية:

---

(1) Source: Etude demo-économique Des communes de la Wilaya de Tlemcen Bilan Annuel . APC de Ghazaouet année 1979

(2) مصطفى الشرقاوي: علم الصحّة النفسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت. ص: 29.

أولا: أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

تعتبر دراسة المدن من أهم الدراسات الحديثة، رغم وجود مؤلفات ودراسات تتعلق بنشأة المدن وتطورها وتصنيفها حسب وظائفها إلا أن مجالات الدراسات المدنية لم تتوسع إلا في الآونة الأخيرة ، حيث تحولت الدراسات حول المدنية من منهج نظري إلى تطبيقي ظهر على إثر عمليات البناء والتخطيطات الكبرى للمدن.

تعتبر المدنية ظاهرة جغرافية تشغل بقعة مساحة من سطح الأرض، نشأت من تكاثف المجتمعات العمرانية التي أقامها الإنسان لتكون موطنا له في شكل علاقة متبادلة بينه وبين البيئة التي اختارها مكانا له، حتى أصبحت كائنا حيا يخضع للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية فرضت نفسها عليه وعلى سكانها حتى أدت إلى نمو بمعدل سريع [1].

إن الدراسات المدنية حديثة بكثير في دولة الجزائر حيث بدأت الجامعات تولي مثل هذه الدراسات اهتمامات خاصة في اختيار المناهج والمقررات السنوية.
إن التغير حقيقة واقعة في جميع المجتمعات البشرية على اختلاف ثقافاتها وتجمعاتها. ولقد أثبتت الدراسات التي أقيمت على المجتمعات سواء الريفية منها أو الحضرية أن انتشار الحضرية في المدن لها علاقة وطيدة بالتغير الاجتماعي والأسري الذي عرفه المجتمع من تغيرات عبر المسار التاريخي لتطور المجتمع البشري.

ومن هذا المنطلق فإن الكشف عن المظاهر الحضرية في مجتمع الدراسة على النحو الذي أخذت به الدراسة يعد خطوة إيجابية لاستجلاء الملامح والخصائص الجديدة للمجتمع.

وطبقا لوجهة النظر الأنثروبولوجية فإن هذه الدراسة قد حاولت أن تبحث ميدانيا في التغير الثقافي الذي مس بالموروث الثقافي للمجتمع. وقد تم اختيار مدينة الغزوات لتكون ميدانا للدراسة وذلك لعدة اعتبارات منها :

1- نذرة الدراسات الأنثروبولوجية التي تتناول التغير البنائي في المجتمع الجزائري عموما وفي مجتمع الغزوات بصفة خاصة، ذلك لأن أغلب الدراسات التي قام بها باحثون في التاريخ،واللغويات،والجغرافيةوعلم الاجتماع كانت عبارة عن دراسات مونوغرافية لم تكن تعالج مظاهر التغير الاجتماعي الذي طرأ إثر تحقيق برامج التنمية

(١) بشير مقيبس، مدينة وهران دراسة جغرافية العمران مؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – 1983 ص 29.

الاجتماعيـة والاقتصاديـة فـي هـذا المجتمـع علـى وجـه الخصـوص و فـي المجتمـع الجزائري على وجه العموم.

2- الأهمية التاريخية والاقتصادية والحضارية للغزوات، إذ تعتبر قديمـة النشـأة وبدأت في الاستقرار والتوسع منذ وطأة الاستعمار الفرنسي في هذه المنطقة.

3- تمثل مدينة الغزوات مركز الإتصال والنقل والمواصلات بيـن الشمال وبـاقي البلاد.

4- باعتباري نشأت في هذه المدينة فقد سهل علي الاحتكاك بمجتمع الدراسة.

ثانـيا: تقنيات البحث:

تتجسد القيمة العلمية والاجتماعية في البحث العلمي والنتائج المتوصل إليـها، والتي تعتبر عن جوهر المشكل. وهذا لن يأتي إلا باستخدام تقنيـات البحـث التـي تعتبر أساس نجاح أي عمل علمي[1].

أ- الأدوات الإحصائية:

نريد من خلال هذه الدراسات الإجابة عن بعض الجوانب الهامة في حياة سكان ولعل من أهمها:

- الإجابة عـن بعض التسـاؤلات الهامـة وفحص أبعادها للوقوف عند بعض القضايا التي تبرز تصرفات يومية.

- إبراز العلاقة بين هذه المعطيات ومجـال آخـر مـن الممارسات الثقافيـة التـي يلتزم بها الفرد الغزواتي في حياته اليوميـة سـواء فـي علاقتـه بـالآخرين أو من حيث العلاقة مع القيم والعادات والتقاليد...

بعبارة أخرى مدى تأثر وتمثل الفرد الغزواتي لثقافة المدينة. إن هذه الأبعاد هي التـي سـاعدتنا علـى اعتمـاد التحليـل الإحصـائي الاستدلالي بالإضافـة إلـى الاسـتدلال الوصفي، وكذا تعتمـد علـى الأسـاليب البسيطة التـي استعملها "lazarsfield"[2]. والشـكل التعبيري في هذه العلاقات أو الترابطات هو النسبة المئوية وبالتالي فإن المقارنـات تتم

---

(١) محمد رمضان، أنماط التكيف الاجتماعي والثقافي في الأحياء الجامعية – دراسة ميدانية، رسالة لنيل شـهادة الماجيسـتار – تخصـص أنثروبولوجية، معهد الثقافة الشعبية جامعة تلمسان. السنة الجامعة 95-96 ص: 20.

(٢) د. بوشنافي بوزيان، التحضر والثقافة الحضرية مرجع سابق ص 63.

بين كل بعد يحدده المتغير والمتغير المستقل الأصلي، ويستند منطق هـذا التحليل على الفرضية القائلة بأن العلاقة بين المتغير التابع والمتغير المستقل علاقة مطلقة[1].

ب- المجال الزمني:

يتحدد زمان البحث الميداني بين نوفمبر 1999 إلـى فبراير 2000،جمعت خلاله المادة الإحصائية التي تتناول بعض العوامل الثقافية التي يطرحها البناء الاجتماعي في الغزوات ولذلك فإن نتائج هذا البحث تكون مشروطة بـهذا الوقت الزمني،و بعد ذلك تم تحليل هذه النتائج.

ج- العينة:

اقتضت طبيعة هذا الموضوع الذي تدور حوله الدراسة، ضرورة بحث ميداني على مستوى العينة، و قد اعتمدنا اختيـار عينـة من مصنـع الحديد و الصلب، وحدة إلكتروليز الزنك، وقد قمنا باختيارها سعيا لتحقيق أعلى درجات التمثيل.

- تم اختيار العينة (من مصنع الحديد و الصلب) عشوائية طبقية حيث تم تقسيم مجتمع البحث إلى عدة فئات مهنية متمثلة في : إداريين، عمـال مختصـون، عمال بسطاء. و قـد راعينـا فـي اختيـار هذه العينـة أن تكـون الدراسـة عن أربـاب الأسر الزواجية دون أن ننسى تمثيل النساء العاملات في الدراسة.
- عمدنا إلى اختيار هذه العينة من المصنع قصدا ، لأنـه عبـارة عن مجتمـع صغير يحمل مقومات المجتمع الكبير من حيث هو تنظيم بشري رسمي مؤقت من المفروض أن تُجمّع فيه القيم الحضريـة و القيم التقليديـة، و هـذا هو الغرض من دراستنا الميدانيـة الحاليـة. "إن اختيـار عينـة قصديـة أو غرضيه، و يعتمد الباحث فـي اختيـاره لمفرداتـها، علـى تقديره بـأن الحالات التي يختارها تفي بغرض البحث" (٣) وقـد راعينـا أن تكـون ممثلـة بقدر الإمكان لجمهور البحث.

- سبب اختيار وحدة إلكتروليز الزنك:

تعتبر وحدة الكتروليز الزنك بالغزوات، مدرسة للحداثة و التحضـر فـي منطقـة الغزوات، كما هي القلب النابض لهذه المدينة منذ نشأتها و بمـا أنـها تحمل جميع هذه المقومات كان الجدير بنا أن نتخذها كعينة للدراسة الميدانية.

- الموقع الجغرافي للوحدة :

تقع وحـدة الكتروليز الزنـك بـالغزوات فـي شـمال غـرب المدينـة فـي موقـع استراتيجي هام مهد و سهل مهمة نشاط هذه الوحـدة، فـهي تتربع علـى مسـاحة

---

(١) المرجع السابق ، ص 36.

(٣) سمير نعيم أحمد، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة ط4 1987 ص 147

تقدر ب 14 هكتار [1]، كانت من قبل امتدادا للمدينة (منطقة شاطئيه جميلة) حيث كانت يتواجد فيها عدة أنشطة اقتصادية و سياحية.
و لإقامة هذا المعمل تطلب الأمر تدمير معامل صغير لتصبير السمك و حفظه، كما انتزعت ورشات ميكانيكية كانت تابعة للشركة الوطنية للسكك الحديدية، بالإضافة إلى قاعة سينما و حي سكاني صغير، وشاطئ جميل كان يقصده سكان المدينة.
لقد راعت السلطات المركزية عدة مسائل من أجل تنصيب هذه الوحدة، و منها قربها من الميناء حتى يقوم بنشاط الاستيراد و التصدير، وجود سكة حديدية تربط الوحدة بشبكة السكة الحديدية الوطنية، و إقامة سكة حديدية تربط الوحدة بمنجم العابد و الذي كان يرجى منه أن يمون الوحدة بنسبة معينة من المادة الأولية(ركام الزنك)، حيث لا يبعد عن الوحدة إلا ب 110 كلم مما يؤدي إلى تخفيض تكاليف الوحدة.
إدخال التصنيع إلى المنطقة هي أحد عوامل إقامة هذا المصنع و ذلك في إطار التوازن الجهوي المعمول به أنذاك، و تكريس عدالة اجتماعية و تشغيل العاطلين عن العمل، إلا أن السلطات تناست أو تغاضت عن المحيط الذي يستقبل هذه الوحدة مما أدى إلى ظهور تناقض بين الصناعة و المحيط أو المصنع و المدينة.
لاختبار فرضيات هنا البحث، إن هذه الدراسة اختارت المصنع لوحدة إلكتروليز الزنك كميدان لإجراء هذا البحث الأنثروبولوجي. وقد كان الدافع إلى ذلك كون أن المصنع يمثل تنظيما حضريا ممثلا لكل العينات في المدينة، وهو أيضا تنظيم تحدث فيه تفاعلات مختلفة، ويكتسب من خلاله الفرد ثقافة جديدة يحث يطور علاقاته مع الغير ويبنى علاقته ومعارفه، أي أن التخطيط إنجازه يحقق أبعاد الثقافة الحضرية وأنه يتصف:"بمفهوم التخطيط الفعلي وأسلوب للحياة، ووسيلة للتطور الاجتماعي والفكري"[2].

إن هذا الاختيار يمكننا من تحليل الممارسات الثقافية في المدينة ومعرفة أوجه ردود الفعل نحو نوعية الحياة ومن تم يمكن لهذه الطريقة أن تساعدني في معرفة مظاهر الثقافة الحضرية، وتحديد الظواهر الأكثر تأثيرا في حياة الفرد ومن هنا تكمن الأهمية العلمية للبحث.

وكما كان من المستحيل إجراء الدراسة على كل التجمع البشري، فقد عمدت إلى طريقة العينة ونظرا للعدد الكبير لأفراد هذا التجمع و صعوبة الحصول على المعلومات من كل الأفراد علاوة على محدودية الإمكانيات الزمانية والمادية، فقد

---

(١) المصدر إدارة الوحدة
(٢) علي بوعناقة ، الأحياء الغير مخططة وانعكاسها النفسية الاجتماعية على الشباب، دراسة ميدانية مقارنة. ديوان المطبوعات الجامعة -جزائر- 1987.ص 80.

عـمدت إلى "العينة الحصية"*[1]. وهي عينة احتمالية تقد م لنا مجتمعا صغيرا يحصر خصائص المجتمع الكبير ولذلك يمكن الاعتماد عليها كوسيلة أساسية في البحث.

. ولما كانت هذه الفئة تحمل خصائص المجتمع الكبير وتقدم لنـا مجتمعنـا ممثـلا تتحقق فيه مجموعة من الممارسات الثقافية وتنتظم فيها مجموعة من العلاقات وتمثل أيضا مجموعة سكانية مترابطة اجتماعيا و أخلاقيا وسكنيا، فقد تم انتقاء عينة من 100 شخصا بناءا على مبدأ العشر 1/10[2].

وبما أن عدد عمال المصنع يقدر بحوالي 1000 عـاملا بمـا أن المصنـع يحتـوى على 850 عامل بالإضافة إلى عمال المديريـة العامـة و الـذي يفـوق عددهـم 100عـامل وبناء على المبدأ أعـلاه كـان علينـا أن نقـوم باختيـار 0 1/ 1العينـة أي 100فرد ، وقـد استخدمت في هذه الدراسة العينة الطبقية التناسبية والتي تعتمد أساسا على سـحب مـن كل مجموعة عينة عشوائية وهذا بغرض إعطـاء فـرص أكـبر للعينـة لتمثيـل المجتمـع الأصلي.

د- أدوات جمع البيانات:

لجمع المعلومات، اعتمدنا على المقابلة والملاحظـة المباشرة فقد كنـا نقـابل أي فرد من أفراد العينة نصادفه ، وكنا نلقي عليه الأسئلة باللغة المحلية، ونسـجل بعد ذلك الإجابة التي يقدمها. ولقد حرصنا على تكـرار السؤال فـي حالـة الـتردد وفـي التأثير على المبحوث ملتزمين بشرح الهدف من البحث قبل الشروع في إلقاء الأسئلة.

اعتمدنا في جمع المعلومات على المقابلة المقننة. وتنقسم أسئلة الاستمارة إلى مفتوحة ومغلوقة. وقد أسقطنا بعض الأسئلة فـي التحليـل لأنـها تحتـاج إلـى بحث عميق. إذن الاستمارة مكونة من 64 سؤال، وراعينا فـي تصميمـها قواعـد هامة تتمثل فيما يلي:

- عدم وضع أسئلة غير مفهومة أو حرجة.
- أن تكون للأسئلة علاقة بالحياة لمدينة الغزوات ومشكلة البحث.

---

(1) محمد رمضان المرجع السابق ص 21.

* يعتمد الباحث في هذه العينة على اختيار حصة من مجتمع مهني شأنها في ذلك شأن العينة الطبقية إلا أن عملية اختيار العينة الحصصية لا تعتمد على العشوائية. بل أن الباحث يملك من الحرية لتحديد الحصة التي يرغب فيها داخل كل الفئات وتساعد هذه التقنية على التخفيف من مشاق البحث وتكاليفه لأن العينة الحصصية تعتمد على اختيار أفراد العينة من بين الجماعات أو الأفراد ذات الخصائص المعينة وذلك نسبة الحجم العددي لهذ ه الجماعات .

(2) عبد الكريم غريب ، منهج وتقنيات البحث العلمي، منشورات عالم التربية – ط1. 1977 – المغرب- ص: 77.

- صياغة الأسئلة بأسلوب واضح يسهل عملية التفريغ واستخلاص النتائج.
- مراعاة الدقة في ترتيب الأسئلة بشكل متسلسل على تحقيق أهداف البحث.

نشير إلى أن الملاحظة المباشرة تعتبر من الوسائل الهامة لجمع البيانات في الدراسات الأنثروبولوجية. إذ من خلالها ينظم الباحث إلى أفراد المجتمع ليتفاعل معهم ويشاركهم في الأنشطة التي يقومون بها، متحليا بالانضباط والصبر والموضوعية، حتى يمكن كشف الحقائق الخفية في حياة هذا المجتمع أو ذاك وفهم خصائصه الاجتماعية والثقافية[1] وقد حدد ايفانز ريتشارد شروط نجاح هذه الملاحظة في العناصر التالية [2]:

1-الإلمام بالمبادئ النظرية الأساسية في الأنثروبولوجية وفي تطبيق قواعد الملاحظة.

2- الاشتراك الفعلي في معيشة أفراد المجتمع والتكيف مع عاداتهم وتقاليدهم، والتخلي عن القيم الذاتية لتحقيق الملاحظة الموضوعية.

3- نسج شبكة من العلاقات مع أفراد المجتمع.

4- القيام بأنشطة مختلفة وقصد الوصول إلى الثقافة الكلية للمجتمع وأسلوبها في الحياة.

هذه الشروط تنطبق على وضعيتي ، كون أنني ابنة المنطقة.

ويذكر انه تمهيدا لهذه الدراسة، لجأنا إلى استخدام المقابلة غير الموجهة (الحرة). وهي الطريقة التي مكنتنا من: [3].

- الحصول على معلومات لاستخدامها في البحث.
- تعميق النظرة إلى الموضوع وإعطاء تفسيرات لمختلف الجوانب التي تدور حولها الأسئلة.
- تحديد السمات الأساسية للثقافة بالمجتمع و موضوع البحث -- وبعبارة أخرى اختيار وتقويم الصفات الأساسية للثقافة المحلية.

---

(١) محمد علي محمد. علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1983. ص: 445.

(٢) عاطف وصفي: المرجع السابق. ص: 186.

(٣) محمد رمضان: المرجع السابق. ص: 27.

- صياغة الفرضيات وتحديد العينة [1].

ثالثا - تساؤلات الدراسة (الإشكالية):

تدخل هذه الدراسة في إطار البحوث الأنثروبولوجية التي تهتم بالبحث في طبيعة التجمعات البشرية وعلاقاتها بالنظام العام وتنظيم الأفراد فيما بينهم.

ولما كان موضوع دراستنا الحالية هي أنثروبولوجية ميدانية لمظاهر الثقافة الحضرية في مدينة الغزوات، فهو يهدف إلى محاولة الكشف عن التغير الاجتماعي الذي قد أصاب البناء الاجتماعي والثقافي للمدينة، فالباحث الأنثروبولوجي يهتم بالملاحظة وتأثير العوامل التي أسلفنا ذكرها على الواقع و البناء الاجتماعي.

ازدادت أهمية المدينة الإستراتيجية بعد الحملة الفرنسية، وبعدما أخذت بالنمو التدريجي وبدأت بالتوسيع متطلبة الانفجار العمراني وامتداد في طرق المواصلات, وظلت المدينة مستمرة في أسلوب نموها بشكل يظهر استمرار ظاهرة تقدم الحياة العمرانية فيها مصحوبة بنمو الوظائف والخدمات المختلفة مستجيبة للزيادة الكبيرة في السكان، وبذلك شهدت تحولات اجتماعية و ثقافية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمسار التاريخي للنشاط الاقتصادي وكذا المشاريع الحضرية المنجزة على الميدان، فإنه يمكن صياغة هذا الهدف في عدد من التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عنها، وتتمثل في تساؤل أساسي، وعدة تساؤلات فرعية مرتبطة به ومفسرة له.

- التساؤل الأساسي:

فالإشكالية التي تطرح نفسها هي: "ما علاقة التخطيط الرسمي بالإنجازات المحققة في مدينة الغزوات، وما تأثير ذلك على الموروث الثقافي للسكان الأصليين، بمعنى آخر، هل المشاريع الحضرية مست بالثقافة التقليدية. وعليه فستحاول دراستنا الوقوف بالبحث الميداني على أوجه التغير التي تعرضت لها مدينة الغزوات".

- التساؤلات الفرعية:

1- هل حقيقة هناك ثقافة حضرية أم لا زالوا متمسكين بالثقافة التقليدية رغم التحول الذي طرأ على البنية الفوقية؟
وبذلك علاقة المشاريع التنموية بالزيادة الطبيعية والمتمثلة في النزوح الريفي وكذا نسبة الولادات.

---

(١) عامر إبراهيم قند ملجي – البحث العلمي، دليل الطالب في الكتابة والمكتبة والبحث – مطبعة عصام. بغداد 1979. ص: 69.

2- هناك علاقة تكاملية بين الفرد و المدنية، فالإنسان هو صانعها و بالتالي هي الصانعة للإنسان ، فهذه القاعدة لا تنطبق على مدينة الغزوات، حيث أن في حالتها، فالمدينة هي التي تواجدت قبل أن ينزح إليها أو يسكن فيها السكان القدامى. وإذا رجعنا إلى تاريخها نجد أن أول من أنشأ هذه المدينة هم الفرنسيون، وما قدوم بعض العائلات إليها في تلك الحقبة الزمنية و الاستقرار بها إلا بعدما وجدت معظم المساكن للمستعمرين و المرافق و الخدمات الذي يحتاجون إليها، وقدومهم كان من أجل العمل في الحقول أو البيوت وليس التجارة أو الاستثمار. أما بعد الاستقلال استقر هؤلاء، وقدم آخرون وبالتالي يمكننا القول أن المدينة هي التي جلبتهم ثم صاغتهم عند قدومهم من الريف. وهنا يتجلى الاختلاف في المدينة و الريف، إذا أن هذا الأخير يمكن من خلاله الفرد أن يتدرج في سلم النظام الاجتماعي للريف ولكن يبقى هذا التدرج محدوداً وعند سلم معين، ولا يمكن من خلاله الارتقاء إلى عالم التحضر إلا بمغادرة القرية و استثماره للإمكانيات التي توصل إليها بالمدينة لتطوير شخصيته الجديدة.

فالحياة بالمدينة تسمح بالارتقاء إلى أسمى وأعلى وتطور شخصية الفرد القروي، بعبارة أخرى تكون فرد جديد.

3- بعد إنجاز المشاريع التنموية في المدينة وإنشاء أهم مصنعين في المنطقة ودخول التصنيع، هل لهذا أثر على سلوك وتفكير الأفراد وعلى العلاقات الاجتماعية أم بقي على ما كان عليه من قبل؟ حيث يرى بعض المفكرين الغرب - S - Joberg – جوبرغ –"أن مدن ما قبل الصناعة تتميز بعلاقات أولية مباشرة ويرتبط أعضاءها فيما بينهم بروابط قرابة وصداقة[1]. على أن مدن ما بعدا لتصنيع كما يرى لويس ويرث – L.Wirth " تتميز بعدم التجانس، الذي يؤدي إلى التخصص والرسمية، ولا شخصية العلاقات وسطحيتها[2].

وتؤكد دراسات عربية أن دخول التصنيع لم يكن له الأثر الواضح في تحول العلاقات الاجتماعية نحو السطحية، بل ارتبط ذلك بعوامل اجتماعية وثقافية ونفسية[3].

4- هل أثر التغير الاجتماعي على الأسرة بصفة عامة؟ من عادات وتقاليد، تغير في الحجم وتنظيم النسل وهل أثر على الأدوار الاجتماعية لأفراد الأسرة.

---

(١) السيد محمد الحسيني، المدينة. دراسة في علم الاجتماع الحضري ، مطابع سجل العرب ط١ – القاهرة – 1980 – ص 36.

(٢) سناء الخولي- التغير الاجتماعي والتحديث. دار المعرفة الجامعة الإسكندرية 1985 ص: 91

(٣) المرجع السابق ص:94.

رابعا - منهج الدراسة:

في ضوء طبيعة الدراسة، وهدفها، يتم بحث التساؤلات التي أثارتها مشكلة البحث في إطار تركيبة منهجية لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث.

فطبيعة المشكلة تجعلنا نتقيد بدراسة الاستطلاعية، وذلك للاطلاع على ميدان اجتماعي و ثقافي جديد، فطبيعة هذا الموضوع تتطلب بالضرورة التحقيق الميداني بحيث أنه يعتبر أنجح السبل للوصول إلى المعطيات الموضوعية الواقعية.

إن طبيعة الدراسة تدفعنا لاتباع المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي بجمع البيانات التي تصف حياة السكان الاجتماعية وتحليلها وتفسير طبيعة التغيرات الاجتماعية في نطاق اجتماعي وجغرافي محدد وهو مدينة الغزوات. بالإضافة إلى المنهج التاريخي في بعض جوانبها النظرية خصوصا فيما يتعلق باستعراضنا لتاريخ مدينة الغزوات، نشأتها وتطورها عبر مختلف الفترات التاريخية وكذلك أصل ظاهرة التحضر. والمتغيرات الواقعة على الأنماط السلوكية للأفراد ومدى تكيفهم مع النمط الجديد للمدينة كما سوف نعتمد على التحليل الإحصائي الاستدلالي. وقد استعانت دراستنا الحالية ببعض مبادئ المنهج الأنثروبولوجي من خلال محاولة التعرف على الخلفية الاجتماعية للمدينة من خلال الاستعانة ببعض الإخباريين من كبار السن وبعض الذين يشغلون مناصب رسمية وحكومية في هذا المجتمع الصغير بالإضافة إلى بعض الوثائق القديمة لتدعيم هذه الدراسة .وتكملة للمناهج السابقة، استخدمنا المنهج الإحصائي "التحليلي" ويساعد هذا المنهج على تنظيم البيانات وفرزها وترتيبها وتحليلها.

وعلى العموم، حاولنا استخدام منهجية متكاملة، قصد تحقيق نتائج علمية تكون بمثابة فروض لبحوث مستقبلية[1].

خامسا : صعوبات البحث :

مما لاشك فيه أن إنجاز أي بحث إلا ويتعرض الباحث جملة من الصعوبات.

فالصعوبات التي واجهتها هي :

- قلة المراجع التي تعالج الموضوع باللغة العربية فأكثرها باللغة الأجنبية و غير متوفرة في معظم المكتبات

(1) محمد رمضان، المرجع السابق، ص:30.

- صعوبات في إجراء المقابلات مع أفراد العينة.
- صعوبات إدارية في اقتناء معلومات خاصة بمدينة الغزوات.
- قلة المراجع التي تتحدث عن تاريخ مدينة الغزوات، إن لم نقل انعدام هذه المراجع في المكتبات.

سادسا - محتويات الدراسة:

تشمل هذه الدراسة على: - مقدمة تناولت فيها تقديم موضوع البحث و أسباب اختياره فقد قسم هذا البحث بدوره إلى بابين باب نظري وآخر تطبيقي:

- القسم النظري يشمل فصلين، فالفصل الأول منه يظم التصور والمفاهيم وقد تطرقنا في هذا الفصل إلى المسار التاريخي لتطور المجتمع الحضري وشرح المفاهيم المتعلقة بالبحث وكذلك شرح بعض النظريات المفسرة للتحضر.

أما الفصل الثاني فهو عبارة عن دراسة أبعاد الثقافة الحضرية، و تطرقنا إلى الأهمية العلمية لدراسة الثقافة الحضرية، ثم أشرنا إلى التحضر كعامل نمو حضري في الجزائر إثر تطبيق المشاريع التنموية، ثم تطرقنا إلى تحديد مجتمع البحث ألا وهو مدينة الغزوات وبذلك أشرنا إلى التطور العمراني و البشري لهذه المدينة من أصول نشأة المدينة، موقعها الجغرافي، نمو وتطور سكانها إلى غير ذلك.

- أما القسم التطبيقي من هذه الدراسة فقد شمل ثلاث فصول وهي عبارة عن دراسة لمظاهر الثقافة الحضرية لمدينة الغزوات.

- أما الفصل الأول فقد تمثل في إعطاء نبذة عن الصفات العامة لعينة الدراسة.

وأما الفصل الثاني فهو يتعلق بالنمط المعيشي في مدينة الغزوات وطبيعة الحياة في المدينة ، والعلاقات الأسرية، والسكن.

الفصل الثالث والأخير فهو يتضمن التغير الاجتماعي والثقافي ويشمل كل من التوارث المهني، العادات والتقاليد في هذه المدينة

وختمنا بحثنا هذا بتلخيص عام , تم فيه حصر أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

الباب الأول

أهمية الثقافة الحضرية

الفصل الأول

التصور و المفاهيم

إن التغيرات التي عرفها الإنسان خلال مساره التاريخي، و انتقاله من الحياة البسيطة إلى حياة كلها تعقيد، كان له الفضل في تبلور و تطور وضعه و معاشه و حتى تفكيره، بما اكتسبه بواسطة حبه للمعرفة و شغفه للتعلم و اكتساب المهارة، و ذلك لا يكون إلا با تصالهو تفاعله مع أفراد آخرين ومع الحركة في شكل تنظيم علاقات و روابط.

أولا: المسار التاريخي لتطوّر المجتمع الحضري:

أ- المجتمع التقليدي:

إنّ تاريخ البشـرية، مسار كلّه تغيّرات وتطـوّرات، حيث انتقل فيها الإنسان من الحياة البسيطة التي كان يعتمد فيها كلية على نفسه وعلـى أدوات بسيطة إلى حياة كلها تعقيد في وسط اجتماعي متطوّر ومعقّد.

ولم يتطوّر مسار البشرية في وقت واحد وفي كلّ أطراف العالم بـل تم بتدرّج و في فترات متباينة وحسب المكان.

كان الإنسان في معاشه يعتمد على الجني والصيد ويسكن الكهوف التي أوجدتها له الطبيعة في سفح الجبال، فكانت حياته لا تتطلّب جهدا سـواء أكـان فكريا أو عضليا، فكان دائم التنقل.

"لكن أمام شبح انقراض الفرائس وأمام محدودية علاقة الإنسان بالبيئـة كان عليه اكتشـاف مصـادر طاقويـة ومصـادر عيش جديدة"[1]، وباكتشـاف الزراعة وتدجين الحيوانات تحسنت ظروف حياته وفي نفس الوقـت تعقدت، إذ كان لابدّ عليه بتوفير حاجاته اليومية، فبطموحه وملاحظاته وبفضـل فكـره استطاع أن يطوّرها وحتـى يورثها عبر الأجيـال. فبفضـل طموحـه وحـبّ المعرفة وطـرح التسـاؤلات لمعرفـة أكثر وأكثر عن الزراعـة استطاع أن يتوصـل إلى التحكم في طرق العمل وأن يستغلّ طاقـة الـهواء والمـاء وحتـى الطاقة النباتية والحيوانية وبذلك كان ضروريا لمعرفة الأحوال المناخية التـي تتحكم فيه، فظهر المحراث، ثم العجلة والعربة...

إنّ تبلور وضع الإنسان الجديد واعتماده على الزراعة فـي معاشـه هو تطوّر للإنسان الأول الذي كان يسكن الجبال والكـهوف ويعتمـد علـى الصـيد فبظهور الزراعة، بنى الإنسان الأول بيتا لنفسه واقتضى الاستقرار أن يرتبط المكان بظهور القرية.

(1) د. إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أو داو ود الجزائر – 1992ص: 16.

فانعكست عن العمل الزراعي ضرورة صناعة أدوات . وانعكس عن المكان وبناء البيت، اجتماع وتعاون وبذلك عمران آخر و زيادة الحماية لهذا المجتمع الزراعي الصغير، فانصبّت اهتمامات هذه المجتمعات بتوفير حاجاتها. ولكن طموح الإنسان ليس محدودا، فأصبح يريد المزيد ويفكّر في مصالح تلبي حاجاته وتتولى وظائفه الخارجية، فظهرت بذلك المدينة.

فبينما اهتم المجتمع الريفي بالعمل الزراعي، تولى المجتمع المدني، الوظائف الصناعية والحماية والسلطة. ولذلك يذهب كثير من المؤرخين إلى أنّ ظهور المدينة تزامن مع ظهور القرية أو تبعها بمدة قصيرة[1].

اتسمت الأوضاع بنوع من البساطة، فكانت الأحجام البشرية جدّ متواضعة وحجم الإنتاج ضعيف واعتمد المجتمع التقليدي عن الروابط القرابية. فعلى الصعيد الديموغرافي، تميزت المجتمعات الأولى بنظام بدائي أو طبيعي يتميز بكثرة الولادات والوفيات في نفس الوقت، مما يجعل نسبة النمو الطبيعي ضعيف إضافة إلى الأوبئة و الأمراض والكوارث الطبيعية والحروب التي ساهمت في تخفيض حجم السكان.
أمّا على الصعيد الاقتصادي، فكان النظام الإنتاجي بسيط، يعتمد أساسا على الاكتفاء الذاتي للأفراد.

ب- التجمعات البشرية:
إنّ المدينة وليدة القرية، حيث العمل الزراعي استدعى ضرورات اقتضت تقسيمها للعمل وظهور مجتمع المدينة، حيث أنّ العلاقة بين الريف والمدينة هي علاقة تكاملية. يشكل الريف مصدر الإنتاج والمدينة وظيفة الإدارة والحماية والتوزيع والتبادل الاقتصادي والصناعي.

بعدما كانت المدينة تستمد قوتها من الريف ، اتجهت إلى نظام التبادل فاستقلت عن الريف بمواردها الخاصة وباقتصادها. فقد فتح التبادل التجاري آفاقا جديدة للعمران البشري و ازدهرت بذلك المدن، فازدهر العمران وازدهرت خطوط الاتصال والروابط بين الأقاليم على أساس بنية اقتصادية جديدة، علاوة على الانعكاسات الهائلة على المستوى الفكري والثقافي والمعرفي.

(١) د. ابراهيم بن يوسف، المرجع نفسه . ص: 17..

يقول الدكتور إبراهيم بن يوسف في هذا المجال "تزامن الازدهار الاقتصادي مع الازدهار العلمي والثقافي لدفع عجلة الحضارة العمرانية فتنقلت العلوم والتجارب والموارد عبر شبكات التنقل وساهم العلم في الاكتشافات العلمية والمسالك البحرية وفتح آفاق الاستثمار لتحسن وسائل العمل وتوظيف طاقات جديدة"(١).

أصبحت المدن الجديدة مجالات واسعة للجذب حيث انتقلت فيها أصناف البشر وتطوّرت التركيبة الاجتماعية للمدن من علاقات بسيطة مبنية على العلاقات الأولية إلى علاقات متطوّرة ثانوية ومعقدة.

كما أنّنا تطرّقنا في هذا المبحث إلى التجمعات البشرية، ولمّا كان جزء كبير من سكان المدينة هم من المهاجرين والقسم الأكبر منهم من الرّيف، ارتأينا أن نتطرّق إلى موضوع الهجرات السكانية، وقبل الدخول في أنواع الهجرات وأسبابها، لابدّ أن نتوقف عن العلاقة الموجودة بين المدينة والريف، هذه العلاقة التي تعتبر قديمة، قدم وجودها، حيث يقول جيفرسون: "لا تظهر المدنية من نفسها بل يقيمها الريف لتقوم بأعمال لابدّ أن تؤدى في أماكن مركزية"(٢). وهنا يكمن التفاعل الذي يوجد بين المدينة والرّيف، ناتج عن علاقات تاريخية تطوّرت عبر العصور.

ففي القديم كانت المدينة تعتمد اعتمادا كليا على الرّيف حيث كانت تأخذ ولا تعطيه إلا القليل، لما كان لدى الريفيين من اكتفاء ذاتي سواء على الصعيد الزراعي، الصناعي (حرف تقضيهامتطلبات السكان). وقد كان لوسائل المواصلات البدائية الفضل الكبير في نقل البضائع الريفية وتصنيعها في المدن المجاورة "ولهذا السبب لم تلبث المدينة إن ازدادت ثراء على حساب الرّيف وفرضت سيطرتها عليه وتملكت أرضه وتحكمت بساكنيه فظهر الإقطاع وظهرت معه الملكية"(٣).

(١) د إبراهيم بن يوسف المرجع نفسه . ص: 21.
(٢) د. عبد الله عطوي، الإنسان والبيئة في المجتمعات البدائية، النامية والمتطوّرة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان- ط١ – 1993 . ص: 135.
(٣) المرجع نفسه . ص: 136.

وفي القرن الثاني عشر وبعدما زاد دور المدن وازدهرت التجارة في العواصم وزادت قبضتها على الرّيف، فقد قام تجار المدن بمد الحرفيين بالمواد الخام لتصنيعها وقامت المدينة بتسويقها. وبعد الثورة الصناعية والانقلاب الذي حدث وما ارتبط به من تطوّر في جميع ميادين الحياة فقد قل الاعتماد على الرّيف لما أصبحت توفره المدينة من تسهيلات في العيش وقضاء حاجاتهم والإقامة والعمل كذلك.

فبما أنّ المدينة هي وظيفة إدارية، فقد تمثل همزة الوصل بين السلطة المركزية وباقي المناطق الريفية وتعتبر المدينة بالنسبة للرّيف المكان الذي يتمركز فيه التعليم من الطّور الابتدائي إلى الجامعي. إذ أنّ أغلب طلبة المدينة هم من القرى والأرياف وكذلك في المدينة تتوفر المكتبات والنوادي، والمسارح والملاهي ودور السينما... ولهذا تعتبر المدينة بالنسبة للسكان الريفيين القطب المغنطيسي الجاذب، لذلك نلاحظ النزوح من الريف إلى المدينة . و النزوح بدوره نوعين: مستمر أو الخروج من الريف للإقامة في المدينة والرحلة اليومية من أجل العمل وهذه الأخيرة من أهم مميّزات الحركة بين المدينة والرّيف المجاور لها، فالمصانع والمتاجر والمدارس والمشاريع العمرانية وغيرها هي مراكز جدب للعمال من المناطق الرّيفية إلى المدينة[1].

جـ- الهجرات السكانية وأنواعها:

تعتبر الهجرة من أهم العوامل المؤثرة في نمو السكان، وتعبّر عن رغبة الفرد في مغادرة منطقة تصعب معيشته فيها إلى منطقة يعتقد أنّها أفضل .

وتنقسم الهجرة من حيث الاستمرارية والدوام إلى قسمين: الهجرة الدائمة، والهجرة المؤقتة. أمّا من حيث مداها فتنقسم إلى ثلاث أقسام: هجرة دولية، هجرة داخلية، وهجرة دورية.

1) فأمّا **الهجرة الدولية** فيدخل هذا النوع ضمن هجرات السكان عبر الحدود وعبر القارات، وكما يدخل ضمن الهجرة الدولية المهاجرين الدائمين

(1) د. عبد الله عطوي. المرجع السابق . ص.ص : 137 - 138.

والمؤقتين، فبعضهم يفضل العودة إلـى وطنـهم الأصلـي بعـد أن كوّنـوا ثـروة تساعدهم على العيش بمستوى أعلـى فـي وطنـهم، كمـا تظـهر عودتـهم عـدم القدرة على التكيّف، لذلك يبقى أبناؤهم في بلد المهجر بعد أن يتأقلموا مع البيئة الجديدة.

كما تشمل الهجرة الدولية المؤقتة انتقال الأفراد مع أسرهم للعمل بصفة مؤقتة أو بسبب الحروب، وقد لوحظ في السنوات الأخـيرة موجـة جديدة مـن الهجرات خاصة من الدول الأدنى نحـو الـدول الأرقـى ويطلـق عليـها هجـرة الأدمغة، فقد يقوم هؤلاء المتعلمون إلى ترك مناطق إقامتهم التـي هـي بحاجـة إلى المتعلمين والمثقفين إلى أماكن ذات تخمة علمية وثقافية[1].

2) وتعتبر الهجرة من الرّيف إلى المدينـة **أو النزوح الرّيفـي** مـن أهم مظاهر الهجرة الدّاخلية. ويعتبر الدافع الاقتصادي من أهم العوامل المسـاعدة على ترك الأماكن الرّيفية وما ساعد عليها هو التقدم الـهائل الـذي حصـل فـي المواصلات،والعمل المتطوّر،وفرص العمل التي توفرّها المدينة علـى غرار الرّيف.

وقد أدى تعدّد وظائف المدن واتجاهها نحو التصنيع إلـى طلـب المزيـد من الأيدي العاملة من الرّيف المجـاور. كمـا أدى إلـى ظـهور مـدن صناعيـة متخصصة إلى ظهور مراكز سكنية حضرية متوفرة للعمال الصناعيين.

3) أسباب الهجرة ونتائجها:

إنّ النزوح الرّيفي ليس ظاهرة جديدة، ولكن أصبح أكثر شيوعا بعد الثورة الصناعيـة فقد أصبـح الريـف يمد المدينـة بالسكان بينمـا كـان يمـده بالطعام. وتعتبر الهجرة مـن العوامـل المؤثـرة فـي نمـو السكان إلـى جـانب الزيادة الطبيعية ولـها نتـائج إيجابيـة وسلبية خاصـة فـي ازديـاد الطلـب عـن العمل،والإسكان و الخدمات الصحية والتعليمية والنقل والمواصلات .

(1) د عبد الله عطوي المرجع نفسه. ص: 145.

وهناك أسباب عديدة للهجرة ، تضاءل فرص العمل في المؤسسات الحكومية التي تتواجد في الريف وكذلك التضخم السكاني وما يترتب عن الزيادة في السكان وانخفاض نصيبهم من الأرض .

وإضافة إلى عوامل الجذب في المدن كارتفاع مستوى المعيشة والأجور وتوفر فرص العمل خاصة في الصناعة إضافة إلى التعليم والملاعب والمسارح والملاهي وكل ما يجذب الشباب.

وللهجرة نتائجها، كالتغيير في حجم السكان بالزيادة الهائلة في المدن وتناقصه في الرّيف. وقد شاهدت مدن العالم زيادة غير طبيعية على حساب الرّيف وفي فترة زمنية محدودة[1].

فالهجرة إلى المدينة تختلف جنسيا و عمريا، إذ أنّ معظم المهاجرين ذكوراوشبابا، أو أرباب البيوت يتركون زوجاتهم في الرّيف وغالبا ما يؤدي ذلك إلى مشكلات اجتماعية كالطلاق. كما يتعرّض الريف للفقر السكاني وفقدان اليد العاملة لأنّه يقل الضغط السكاني على الموارد المحلية والخدمات المتاحة له. كما تترتب عن ذلك مشكلات الاختلاط السكاني، إذ كما نعرف أن الريفيين الوافدين لا يتخلون عن عاداتهم وتقاليدهم ببساطة وبذلك يكون اندماجهم صعب ويأخذ عدة سنوات وما يترتب عن هذه المشكلة من عواقب كظهور أحياء هامشية لا تقل عن مساكن الريفيينوانتشار أحياء الصفيح.

د- المدينة التجارية والصناعية:

إنّ الاكتشافات الجديدة ساعدت على توسيع أفق الصناعة وتوسع دائرة المعرفة فانعكست بذلك وتحولت جميع المستويات سواء العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية.

أصبحت المدن مناطق استقطاب وتوسعت وتعقدت بذلك أحوالها كما تعقدت التراكمات البشرية وارتفعت أحجامها. وبذلك تحرّر الإنسان من الإنسان وعبوديته، وأصبحت الهياكل وأنظمة الحكم هي مسيرتها، كما تحوّل النظام الديموغرافي من نظام طبيعي راكد إلى نظام حديث تميزه كثرة

(1) د. عبد الله عطوي المرجع نفسه . ص: 153. .

الولادات وانخفاض الوفيات وتحسن الظروف الصحية ممّا أثر على التزايد السريع لنمو السكان وارتفاع أحجام سكان المدن.

علاوة على النموّ التجاري التي اتسمت به المدن فكان للصناعة فضل كبير في استقطاب العديد من الأفراد فتميّزت هذه المدن بالتمركز المكثف الحضري حول هذه المناطق الصناعية التي توفر لهم الأيدي العاملة والمستوى المعيشي الراقي. وسرعان ما تطوّرت الاتصالات والمواصلات على ما كانت عليها فبذلك تحرّر الاقتصاد وسهل الانتقال، "ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده و لكن للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه"[1].

وهكذا إنّ ظهور المدن الجديدة التي تتربع فوق أقاليم كانت فيما سبق أقاليم زراعية، إضافة إلى النمو السريع التي شهدته هذه النوايا الحضرية والتحولات التي أوصلتها إلى الرقي. ودليل على ذلك هي الأرقام الإحصائية التي يعكسها النموّ الحضري السريع والمتزايد الذي فجرته الثورة الصناعية وشكلت المدن القديمة في شكل ظهور مدن جديدة.

هـ- المدينة الحضرية:

إنّ تزايد الحركة الحضرية ونمو المدن الجديدة بأحجامها المرتفعة وبوثيرة نمو سريعة، أدت بالإنسان إلى الاصطدام بهجوم رهيب للحضرية، سواء اقتصاديا، اجتماعيا،ثقافيا أو عمرانيا، فتوسعت المدن على حساب الأقاليم الرّيفية، واستبدل مصطلح المدينة بالمجمّع الحضري وحار كبار اللّغويين في تسمية التجمعات البشرية الكبرى بأحجامها الكبرى[2].

فساد الحضرية، عمران وثقافة على كلّ الأنماط التي عرفها التاريخ البشري، وضمت إلى الثورات التي عرفها المسار البشري في الزمن والمكان، فتحرّر بذلك الإنسان من الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القديمة، وحرّر من الروابط الأولية إلى الروابط الثانوية فكانت الأحجام البشرية القديمة صغيرة وبسيطة التركيب أصبحت الآن كبيرة ومعقدة

(١) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة و النشر، ط4 1984 ص: 88.
(٢) إبراهيم بن يوسف المرجع السابق . ص: 26.

التركيب، وبعد ما كانت الممارسات التقليدية المتداولة بين النّاس والمتوارثة عبر الأجيال قادرة على تجسيد وفاق اجتماعي وثقافي، فتعقدت الأمور بتراكيب تجمع مجالات ثقافية واجتماعية متنوعة ومتعدّدة.

كانت أولى الانعكاسات على العمران هو تمركز المدن في المناطق الصناعية ممّا أدّى إلى الاستقطاب، وسرعان ما حرّرت الوسائل الحديثة الاتصال والنقل والمواصلات، ممّا أصبح ممكنا وسهلا نقل الأفراد والأملاك والمواد الأولية، وكذلك الزحف الحضري أصبح مستمرّا يجسده تكاثر المدن ونموّها السريع.

لا تنحصر التحولات في الهياكل العمرانية فقط بل في التعابير والتظاهرات الحضرية ومضامينها وانتشارها وتوسيعها وتأثيرها، فالمدن تتكاثر وتنمو بسرعة وتتوسع حتى تلاحمت فيما بينها وظهرت تراكيب عمرانية جدّ معقدة سميت بمجمعات حضرية -AGGLOMÉRATION- وسادت الحضرية أشكالا ومضامين وبنايات ورموزا على كل الأوضاع واستبدلت ثنائية الرّيف والمدينة بثنائية المركز والإطار[1].

ثـــانـــيـــا: الـــمـــفـــاهـــيـــم:

يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية أمر لا بدّ منه في البحث العلمي، لأنّ ذلك يساعد كثيرا في توضيح الغموض ويعمل على تسهيل فهم الإطار النظري وكذا شرح وتحليل وتفسير البيانات وكذا الكشف عن العلاقات المتبادلة بين المتغيّرات الذي نحن بصدد دراستها، كما أنّ ذلك يعد الخطوة الأولى والأساسية لأي بحث علمي متكامل ومنهجي.

وسوف نعرض بإيجاز بعض المفاهيم والمصطلحات الأساسية المستخدمة في هذا البحث والتي تتمثل في التحضر والتغيّر الاجتماعي وكذا الحداثة والتقليد، وبعض المفاهيم المرتبطة بها، والتي سنتعرض لها في الدّراسة التي بين أيدينا.

(1) د ابراهيم بن يوسف المرجع نفسه ص: 32.

أ- تعريف المدينة:

عندما نحاول تعريف المدينة نجد صعوبة ليس في إيجاد المصطلحات التي تعرّف المدينة ولكن الصعوبة تكمن في إعطاء تعريف شامل وكامل. فعرفها ابن خلدون بأنّها: "من منازع الحضارة التي يدعو إليه الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضا فالمدن والأمصار ذات هياكل و أجدام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص". ثم ربط عمرها بعمر الدولة فيقول: "و اختطاط المدن من الدولة والملك ثم إذا بنيت المدينة وكمل تشييدها وبما اقتضته الأحوال السماوية والأرضية فيها، فعمر الدولة حينئذ عمر لها فإن كان عمر الدولة قصيرا وفق الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرها، ... وإذا كان أمد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد..."[1].

و يضيف ابن خلدون: "أنّه يجب أن يراعي فيه دفع المضاد بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها" ويوضح: "أمّا الحماية بالمضاد يراعى لها أنّ يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في متمنع من الأمكنة إمّا على هضبة متوعّرة من الجبل وإمّا باستدارة بحر أو نهر..." ويضيف أنه يجب مراعاة المزارع فإنّ الزروع هي الأقوات، فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله"[2].

ويلاحظ أنّ ابن خلدون عندما تعرض إلى تعريف المدينة من خلال إعطاء أهم الخصائص التي تميّز المدن من فقر و غنى وغير ذلك . فهو عرض علينا المدينة على ما كانت عليه في عصره، ولكن كيف يمكننا تعريف المدينة اليوم؟.

عرفّ ابن منظور المدينة كما يلي: "وهي مشتقة من (مَدَنَ) أي أقام به ومنه المدينة، وهي فعيلة، و قوله مَدَنَ بالمكان أي أقام به، وكلّ أرض يبني

(١) ابن خلدون. المقدمة، دار ومكتبة الهلال – بيروت. تحقيق الأستاذ حجر عاصي- الباب الرابع – الفصل الأول. ص: 217.
(٢) المرجع نفسه – ص.ص : 220 - 221

بـها حصـن فـي أصطمّتـها فـهي مدينـة والنسـبة إليـها مَدَنـيَ، والجَمْـعُ مَدَائِـنُ ومُدُنٌ..."[1].

أمّا لغة فالمدينة هي الاستقرار، ومَدَنَ: أقام، ولكن القريـة أيضـا مـن الاستقرار فالأساس اللغوي لا يصلح لتعريف كلّ منهما بالنسبة للآخر[2]. فهنا يصعب علينا تعريف المدينة تعريفـا محدّدا وشـاملا لمـا فـي ذلـك تشـابه مـع القرية والمدينة فلأجل هذا لجأ العلماء إلى تعريف آخر مفاده: "أنّ المدينة هي المحلّة التـي يقـوم معظـم سـكانها بأعمـال غير زراعيـة". أو بعبـارة أخـرى المدينة "هي المحلة التي يعمل سكانها في داخلها" ولكن تبقى هذه التعـاريف غير ملمّة لمفهوم المدينـة الـذي هـو شاسـع المعنـى. ولتوضيـح هـذا الموقـف سنحاول أن نلخّـص باختصـار بعـض المحـاولات التـي بذلـت للوصـول إلـى تعريف مرض للمدينة.

عندما ننظر إلى مدينة ونتأمل فيها، فنجد أنفسنا أمام أكبر المنشآت التـي قام بها الإنسان، ففي حياته الاجتماعيـة يكمـن سـرّ نمـوّ المدينـة فـي حيـن أنّ الإنسان هو انعكاس بحتٌ لمدى سعة وضخامة هذه حيث إنّ: "المدن قد بنيت لأجـل أنـاس.وتشـييدهم وتطوّرهـم قـد تحقـق مـن طرفـهم أي طـرف هـؤلاء الأفراد"[3].

إنّ المدينة من النّاحية السوسـيولوجية التـي تكـون مخططـة جيّـدا هـي ناتجة عن نظام حياة حضريّة جدّ منظمة، في المدينة المنظمة يكون الاستقرار من إرضاء المتطلبات الفيزيائية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار[4]: مثـل الإقامـة والبناءات الداخلية، ووسائل الاتصال والمواصلات...

وتعـرف المدينـة أحيانـا أخـرى بطـرق إحصائيـة أي مـن خـلال حجـم سكانها وذلك للتمييز بين المدينة والقرية، وذلك مثل ما هو متبع في الولايـات المتحدة الأمريكية حين يعتبر كل مكان به 2500 نسمة[5] فأكثر مدينة في حيـن

(١) ابن منظور. لسان العرب – دار صادر – بيروت – المجلد الثالث عشر- 1994. مادة: مَدَنَ. ص.ص: 402 - 403.

(٢) د. عبد الله عطوي المرجع السابق . ص: 112

(٣)The town planning Review – in Revue Urbanisme – Magazine international de l'architecture de la ville. Janvier - Février 2000 n° 310. Page 41.

(٤)IBID . Page 47.

(٥) د. محمد عاطف غيث - علم الاجتماع الحضري- مدخل نظري ، دار النهضة العربية بيروت ، ص: 125.

أنّ هناك مدناً أخرى تقل عن هذا العدد وهي مع ذلك مدن معروفة في الدنمارك مثلا 250 نسمة[1].

وما نلاحظه هنا هو اختلاف العدد من بلد لآخر وذلك راجع لحضارته كما أنّ العدد هو معرض للتغيير مع مرور الزمن. ويترتب عن تلك التعريفات التي سبقت أن كثافة السكان ليست معيارا تنتهي إليه لتعريف المدينة لأنّ كثيرا من القرى ربما يكون لها نفس كثافة المدن بل تزيد في بعض الأحيان عن عددها.

نستخلص من التعريفات السابقة أنّها أرادت أن تضع مقياسا لتحديد تعريف للمدينة، فهذه الأخيرة، قبل كل شيء هي الغلاف الحامي لسكانها ومنشآتها ذات الآفاق المستقبلية، وطرقاتها تتلقى نظرات أفرادها في كل يوم. على كل حال، فوجود المدينة ضروري من أجل وجود مكان تعمير لسكانها، ولمتعتهم وراحتهم[2].

يمكننا تعريف المدينة من جهة مختلفة بحيث أننا وجدنا أنّ المدينة عند تعريفنا لها، اتضحّ من هذه التعريفات تشترك في ميزة واحدة ألا وهي: " أن المدينة لا تكون بناية واحدة أو عدة بنايات شيدت بصفة متفرقة وإنما هي عبارة عن منازل شيدت بجانب بعضها: ففي هذا يقول ماكس فيبر Max Weber: "المدينة هي في حدّ ذاتها بناية كبيرة وضخمة وهذا المعيار ليس خاطئ"[3].

و يضيف قائلا أنه من الجهة السوسيولوجية فالتجمع السكاني للأفراد يشكل في حده مدينة أو منطقة حضرية و هذا يكون بحكم الجيرة التي تنشأ من خلال التفاعل بين أفراد الجماعة في مجتمع واحد أو حتى في المجتمعات المجاورة. أمّا من الجهة الاقتصادية فيعرّف ماكس فيبر المدينة على أنّها منطقة حضرية أين يعيش معظم سكانها من الصناعة و التجارة ما عدى الزراعة"[4].

---

(١) د. عبد الله عطوي – المرجع السابق . ص: 114.

(٢) The town planning Review. Op cit. Page 48.

(٣) Max Weber- La Ville. Edition Aubier. 1994. Page : 17.

(٤) Ibid. Page : 18.

فالمدينة حقيقة مرضية يمكن تحديدها بعوامل خارجية ونتعرف عليها من خلال بنيتها الداخلية كالعمارات الشامخة، والمصانع، والفنادق والمحلات التجارية والشوارع وكل هذه الأشياء تميزها عن القرية أو الرّيف.
أمّا علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون فميزوا بين المدينة والقرية من خلال القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد وما يتعلق به الأفراد في المجتمعات.

ب- الثقافة والبناء الاجتماعي:

1- مفهوم الثقافة:

لقد تعددت التعاريف التي وضعت لكلمة "ثقافة" ومن خلال البحث في العديد من هذه التعريفات تبيّن أنّ أول من صاغ هذه الكلمة هو الأنثروبولوجي "تايلور - Tylor" حيث قال بأنّها: "ذلك الكلّ المركّب الذي يشتمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف والعادات وسائر القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع[1].

كما عرّفها "رالف لينتون – Ralf Linton" بأنّها: "التشكيل الخاص بالسلوك المكتسب ونتائج السلوك التي يشترك جميع أفراد مجتمع معين في عناصره المكونة ويتناقلونها"[2].

أمّا "راد كليف براون – Radkliff Brown" فهو يرى أنّ الثقافة هي: "العملية التي يكتسب الفرد بواسطتها المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف، وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين أو من خلال أشياء أخرى كما يكتسب الأعمال الفنية"[3].

(١) د. عبد الحميد محمود سعيد. دراسات في علم الاجتماع الثقافي- مكتبة النهضة – القاهرة. 1980. ص: 69.
(٢) د. أحمد بن نعمان. هذه هي الثقافة – دار الأمة للنشر – ط١. 1997. ص: 21.
(٣) د. عبد الحميد محمود سعيد. المرجع السابق. ص: 70.

ويعتبر "تالكوت بارسونز – T. Parsons": "الثقافة أذ ـها ناجمة عن التفاعل الاجتماعي وهي في الوقت ذاته تعد مرشدا السلوك الفرد في تفاعله مع الآخرين"(١).

و بمعنى آخر إن الثقافة تربط ارتباطا وثيقا بالمجتمع فهي ناتجة عن تفاعل اجتماعي، فالفرد هو الذي يتحصل على تلك الثقافة الموجودة في المجتمع الذي يعيش فيه وبالتالي فهو يقوم ببلورتها لدرجة التكيف مع الاحتياجات ومتطلبات المجتمع الذي يعيش فيه، والذهاب إلى أبعد من ذلك وهو قيام العلاقات بينه وبين مجتمع آخر أو حتى بين مجتمعه ككل ومجتمع آخر، ولكن تبقى الثقافة مرآة تعكس القيم والعادات، والآداب... لكل مجتمع. وفي هذا الرأي يقول "رالف لينتون – R. Linton": "إن المجتمع هو مجموعة منظمة من الأفراد، والثقافة هي مجموعة منظمة من الاستجابات تعبر عن مجتمع معين، والفرد كائن حي قادر على أن يعيش بفكر وإحساس وعقل مستقل، وهو في استقلاله يحدد سائر مصادره ويبدلها بشكل كبير، بفعل احتكاكه بالمجتمع والثقافة التي نما بداخلها"(٢). ومن هنا يظهر لنا المظهر الاجتماعي للثقافة إذ هي كل مكتسب اجتماعيا، وبذلك يمكننا أن نصنف الثقافة ضمن عنصرين هامين ألا وهما المادي واللامادي وذلك حسب العلاقات الإنسانية وما يتوارثه الأفراد وما يستخدمونه ويضيفونه ويغيّرونه ويتناقلونه من ثقافات.

وفي هذا المجال يقول مالك بن نبي: "إنّ كل ثقافة معينة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين"(٣). إذن الثقافة هي ما اكتسب وما نقل إلينا اجتماعيا وما تضمنته المجتمعات الإنسانية من عادات وتقاليد ولغات وديانات... إنّ الثقافة هي من صنع الإنسان ونتيجة التفاعل الاجتماعي.
وللتمييز بين هذين العنصرين اللذان يميّزان الثقافة لابدّ من إعطاء تعريف لمعناها.

- الثقافة المادية: إنّ هذا المصطلح يدل على كل الماديّات التي يصنعها الأفراد في المجتمع لسد احتياجاتهم في مختلف مجالات الحياة

(١) محمود الجوهري وآخرون. معجم المصطلحات الأنثروبولوجية والفلكلور – دار المعارف - القاهرة – ط3. 1973. ص: 145.
(٢). المرجع نفسه. ص: 148.
(٣) مالك بن نبي. المرجع السابق. ص: 33.

كاللباس والأكل والمساكن والمساجد والأسلحة والأدوية...، وبذلك يكون الإنسان وحده هو الذي يقوم بالتطور و التجديد، و بذلك تكون الثقافة المادية هي النتيجة الطبيعية للتفاعل الثقافي للكائنات البشرية[1].

- الثقافة اللامادية: أو المعنوية كما يسميها بعض العلماء وهي تأتي مقابل الثقافة المادية. ويحصرونها في الأفكار والمعتقدات والعلوم والفنون. وبذلك تتكون عناصر الثقافة المعنوية من القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع ويصاحب سيطرة القيم مجموعة من المعايير والقواعد مؤثرة على توجيه الأفعال وقواعد محدّدة للفرد تقوده في تصرّفاته في إطار الجماعة لتحقيق الأغراض والأهداف ويتفادى بفضلها المشكلات الاجتماعية التي قد تنجم، إذا ما انعدمت هذه القيم والقواعد. وهذا ما نجده حسب العلماء في المجتمعات الرّيفية حيث تسودها أنواع من التماسك فيما بين الأفراد احتسابا للقيم ولقواعد السلوك التي تدعى أيضا بالمعايير، حيث هي محدّدة ضمن العادات والتقاليد، التي تعتبر تلك الطرق الشعبية التي يمارسها الأعضاء المختلفون في المجتمع المحلي. إذ تعتبر ميزة مشتركة في كل مجتمع وتنتقل من جيل إلى آخر ضمن أعراف اجتماعية وقوانين حيث دورها هو توجيه سلوك الأفراد وتحديد ما يجب فعله وما لا يفعله بمعنى تحديد الأوامر والنواهي التي وضعتها الجماعة و اتبعها النظام الاجتماعي العام، فالقيم هي نتاج خبرات اجتماعية وقد تكونت نتيجة عمليات انتقاء جماعية في نطاق الأخلاق.

إن حياة المجتمع المادية هي واقع موضوعي ومستقل عن إرادة النّاس، أمّا حياة المجتمع العقلية "Culture" أي مجموعة الأفكار الاجتماعية والنظريات والأديان ونظريات علم الجمال والمذاهب الفلسفية "يعني كلّ ما يحدّد الثقافة فهي كلّها انعكاس هذا الواقع الموضوعي"[2].

إنّ موضوع الثقافة، هو في الحقيقة موضوع واسع ومفاهيمها عديدة وما جئنا به يعتبر كالنقطة من المحيط، وهذا الموضوع في حدّ ذاته هو بحث عملي شاسع والأمر ليس بالهيّن إذ أننا نبحث في تاريخ الإنسان، والثقافة دائما في انتقال وانتشار مدى انتشار وانتقال الحضارات، لذلك اختلف العلماء

(1) د. عبد الحميد محمود سعيد، المرجع السابق . ص: 96.
(2) مالك بن نبي. المرجع السابق. ص:.32

في التفرقة بين كلمتي الثقافة والحضارة، حيث استعمل علماء الأنثروبولوجية المعنى نفسه لكلمة حضارة، ولذلك كان لا بدّ لنا أن نعرّج على مفهوم هذين المصطلحين أي: الثقافة والحضارة ترجع كلمة "**Culture**": إلى معنى الزّراعة أمّا كلمة حضارة "**Civilisation**" التي انحدرت من الكلمة اللاتينية "**Civis**" فهي تعني المواطن المدني.

استخدم علماء الاجتماع الألمان كلمة "**Culture**" للدلالة على مظاهر الحياة الروحية والأخلاقية التي تسود المجتمع، أمّا الحضارة فتطلق على المظاهر الحياة المادية. فيرى "روبير ماكيفر **Robert Maciver**": "إنّ الثقافة تشمل جميع مظاهر السلوك الاجتماعي المكتسب. في حين أن الحضارة تشمل الناحية المادية من الحياة، فالثقافة هي أوسع نطاقا من الحضارة التي هي جزء منها، وبذلك تكون لكلّ حضارة ثقافة ولكن ليس لكلّ ثقافة حضارة"[1]. بمعنى آخر أنّ الحضارة هي ما يميّز المجتمع من نمو أمّا الثقافة فهي جملة من الأنشطة التي يقوم بها الأفراد في نظام اجتماعي من عادات وتقاليد وعرف.

أمّا "ألبرت شيفستر **Albert Scaweitzer**"[2] فيرى أنّ الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على حدّ سواء، وهو يرى أنّه لا داعي للتفرقة بين كلمتي ثقافة وحضارة حيث قام باستعمال الكلمتين بنفس المعنى. أمّا العلامة ابن خلدون[3] مؤسس علم الاجتماع يقول في مقدمته الشهيرة: "إنّ الثقافة من صنع الإنسان بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسدّ به النقص من طبيعته الأولى وحاجاته في بيئته حتى يعيش معيشة عامرة و زاخرة بالأدوات والصنائع. وبذلك تكون الثقافة معبّرة عن الحضارة وأنّ الحضارة تعكس الثقافة وتكشف عنها". "كما أن الثقافة ثمرة الفكر وثمرة الإنسان"[4] كما يقول مالك بن نبي. كما أنه يرى أن تطور في ثقافة مجتمع معين هو عبارة عن نمو في مواريثه التاريخية وحركة ناتجة عن الأفكار الجديدة وأي تأثير يحدث في مجتمع ما ناتج عن نمو في حياته كما يحدث من

(١) د. عبد الحميد محمود سعيد ، المرجع السابق. ص: 86
(٢). المرجع نفسه. ص:79
(٣). المرجع نفسه. ص:.80
(٤) مالك بن نبي. ، المرجع السابق. ص: 29

خارجه بفعل تبادل بين الثقافات المختلفة أي بفعل الامتصاص والامتداد الثقافي[1].

2- مفهوم البناء الاجتماعي:

يخضع البناء الاجتماعي لتغيير دائم، فهو ينمو ويتجدّد ويتلاءم مع ظروف شديدة التباين ويمرّ بتحوّلات واسعة في مجرى الزمان إن سرّ ماضيه يخفيه جانبه المعاصر، وعلى هذا فلكي نفهم البناء الاجتماعي لا بدّ لنا أن ننظر إليه في العملية التاريخية باحثين في ذلك عن الاستمرارية، وملاحظين أيضا كيفية ظهور الاختلافات وبعبارة أخرى لابدّ لنا أن نكتشف اتجاه التغيير.

لقد أصبح مبدأ التطوّر في المجالات العلمية أهم موجة لاكتشاف نظام العمليات التغيرية للمجتمع وسرعان ما يتضح أنّ التغير الاجتماعي عملية تستجيب لأنماط عديدة من التغيّر، كالتغيّرات في ظروف الحياة التي يصنعها الإنسان، والتغيّرات في اتجاهات ومعتقدات النّاس، والتغيّرات التي تخرج عن نطاق تحكم الإنسان، ولكي نفهم كيف يحدث التغيّر الاجتماعي فمن الضروري أن نبحث في علاقته بالتنظيم الاجتماعي.

كان وجه المجتمع منذ آلاف السنين مضت يختلف اختلافا شاسعا عن ذلك الذي نألفه اليوم ومن المؤكد أنّ هذا المجتمع سوف يشهد تحوّلات جديدة على نطاق واسع بعد آلاف من السنين من الآن.

- **التنظيم الاجتماعي:**

يتكون التنظيم الاجتماعي من العلاقات التي تربط الأفراد ببعضهم البعض والتي تربط الجماعات البشرية ببعضهم وللعلاقات الاجتماعية دور فعّال في التنظيم الاجتماعي، إذ يرتبط أفراد المجتمع في كل مكان وزمان بعلاقات وروابط عديدة تنشأ عن طريق تفاعلهم وطبيعة اجتماعهم ورغباتهم في الاحتكاك. فنجد هناك نوعين من العلاقات، تلك العلاقات الوثيقة القوية القائمة بين أعضاء الجماعة وكما يسميها البعض بالعلاقات الأولية والنوع

(٢) المرجع نفسه . ص:31

الثاني وهو تلك العلاقات التي تنشأ بين فرد من هذه الجماعة مع فرد من جماعة أخرى بحكم الزمالة في العمل، في نادي، في منظمة... ويدعونها بالعلاقات الثانوية[1].

ويفسر العلماء ذلك بأن كلتا العلاقتين ضرورتان للإنسان إذ أن الأولى تتميز بالاستمرار الطويل، كالصداقة القوية والثانية بالتعارف البسيط، كما يلاحظ هؤلاء أن العلاقات الثانوية أكثر حدوثا وظهورا في المجتمعات العصرية المعقدة التي تضم أعدادا هائلة من السكان وتسودها هيئات وتنظيمات رسمية في المقابل أنها أقل حدوثا وأهمية في المجتمعات القبلية والصغيرة.

وكلتا العلاقتين تحددها معايير مشتركة مستلزمة على الأفراد بالاستجابة للقوى الثقافية السائدة في المجتمع. وهذه المعايير المشتركة تعد جزءا من الثقافة وتكون له قوة في توجيه المحادثات بين الأفراد وكذا مضامين تفكيرهم حيث تسهل وتيسر الموضوعات المتبادلة بين هؤلاء الأفراد وتجعله يبتعد أو يتحد مفهومه وهذا حسب نوعية العلاقات بينهم.
وهذه المعايير ليست عشوائية أو فطرية بل منظمة ومترابطة ومنطقية أيضا.

تتمثل العلاقات بين الفرد والبناء الاجتماعي في أن الأفراد يجب أن يستجيبوا لبعض متطلبات الحياة الجمعية حتى يحافظوا على ترابط بعضهم ببعض إلى جانب قيامهم بإشباع حاجاتهم البيولوجية والنفسية الضرورية حتى يحافظوا على الحد الأدنى من مقومات البقاء للبشرية، مثلا الطعام، كيفية طهيه وطريقة تناوله إلى غير ذلك من أمور تختلف من مجتمع لآخر وتخضع لمعايير ثقافية محددة.

وإذا كانت العلاقات الاجتماعية لا تخلو من التنافس والصراع فالتعاون هو إحدى المقومات الأساسية للبقاء من اجل التضامن والكفاح للوصول للأهداف المرجوة وتظهر صور التعاون بين الأفراد على مستوى الأسرة لتحقيق أهداف مشتركة لبناء منزل وتحسين مستوى المعيشة أو حتى على مستوى القرية أو المدينة. والهدف دائما يكون واحد ومشتركا يعود

(1) د. أحمد بن نعمان. - المرجع السابق ص: 45

بالفائدة على الجميع سواء من أصغر خلية التي هي الأسرة إلى أكبر مركز ألا وهو المجتمع.

ومن هنا نستطيع القول بأنّ الثقافة لها دور هام في التنظيم الاجتماعي إذ يمكننا الذهاب بالقول بأنّها قطبين متداخلين ويكمّل أحدهما الآخر، وهذ واضح بصفة خاصة في المجتمعات ذات الأنماط الثقافية المتجانسة كما هو الشأن في المجتمعات العربية الإسلامية التي تشترك في عموميات ثقافية واحدة تقريبا كآداب السلوك، في الزي، في بعض القيم والعادات...

جـ- التغيّر الاجتماعي:

لقد عانى مفهوم التغيّر الاجتماعي كغيره من المفاهيم قدرا كبيرا من التداخل وعدم الوضوح، واختلفت بصدده وجهات نظر الباحثين، ويرجع ذلك إلى طبيعة الإطار العام لهذا المفهوم وتعدد مداخل دراسته، وقبل محاولة تفسير هذا المصطلح، لابدّ لنا من استعراض أهم المفاهيم التي تداخلت في استخدامه، كالتطوّر، والتقدم والنموّ، والتغيّر، حيث معانيهم متقاربة إلى حدّ ما.

وفي هذا الصدّد يقول: "توم بوتومور – Tome Bottomore"[1]: "نلاحظ على هذه المفاهيم "التغير" و"التطوّر" و"النموّ" و"التقدم" كانت تختلط في بعض الأحيان، أو يربط الفكر بينهما في مفهوم واحد، وكان يحدث في حالة أخرى أو يفرق العلماء بينهما، ولكنهما كانت تعتبر مصطلحات مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا".

إنّ التغير الاجتماعي يعدّ من اللمسات التي واكبت الإنسانية منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر، لدرجة أنّه أصبح إحدى السنن المسلم بها وهذا حسب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين الذين هم دائما متعمقين في دراسة المجتمع بهدف البحث واستخلاص الظواهر الاجتماعية. وكيف تتغيّر القيم من عصر إلى آخر ومن مجتمع لآخر وحتى في المجتمع نفسه، وهذا التغيّر بادٍ في جميع نواحي الحياة منها السلوكية والعملية والاقتصادية... ولأنّ هذا التغيّر يأخذ أشكالا وصورا متعدّدة فيخلق كثيرا من المشاكل وأحيانا يكون هذا التغيّر

(1) - محمود الجوهري – تمهيد في علم الاجتماع – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الأولى- سنة 1981ص. ص: 429.428

في صالح البشرية، وأحيانا أخرى يكون معوقا لتنمية المجتمع وتقدمه، فالمجتمع البشري هو في تغيّر دائم لا يمكن أن تقف حركته عند حدّ معيّن.

إذا قلبنا صفحات أي كتاب حول التغيّير الاجتماعي نجد أن المجتمعات القديمة كانت تعيش على نمط واحد مستمر نقلته عبر الأجيال المختلفة دون تغيّر يذكر وأخذت الحياة مجراها العادي. ودون أن يحدث للثقافة. كما يقول أحد الدكاترة في علم الاجتماع أي تغيّر[1].

ولقد استمرّ مفهوم عدم التغيّير والثبات للمجتمع أثناء العصور الوسطى حتى حدثت الثورة الصناعية، ونشر داروين كتابه عن أصل الأنواع[2].
فبعد ذلك تعدّدت الآراء حول مفهوم التغيّر حيث بقي جلّ العلماء متمسكين خلال فترة طويلة بافتراض مؤداه أنّ التغيّر الاجتماعي يخضع لنموذج متميّز فبالنسبة للماركسيين فهو ينجم عن التناقضات التي تحدث في المجتمعو بالنسبة لمؤلفين آخرين يقولون أنّ الأسباب الخارجية لها دور هام في التغيّر الذي يحدث داخل المجتمع الواحد.

ذهبت طائفة أخرى من العلماء إلى القول بأنّ جميع المجتمعات تتجه بالضرورة نحو حالة مثالية أفضل، وآخرون نفوا ذلك فيميلون على العكس إلى تفسير التغيّر على أنّه تراجع، ويريد البعض أن يرى في هذا الوجه أو ذاك للأنظمة الاجتماعية أو في هذا العمل أو ذاك، الأسباب الحاسمة للتغيّر، كالتطوّر في التجارة العالمية مثلا، التطوّر العلمي[3].

كثيرةٌ هي الكتابات حول التغيّر الاجتماعي، وإذا بحثنا في هذا المفهوم يكون لنا حظوظ كثيرة في أن نجد "نظريات" عديدة ذات أشكال تعميمية، أحيانا تتطرّق للبحث عن السبب الأول للتغيّر، وأحيانا أخرى تصف المراحل التي يمرّ بها التغيّر أو أشكاله.

---

(١) د. عبد الحميد محمود سعيد ، المرجع السابق . ص: 53
(٢) المرجع نفسه. ص: 53.
(٣) د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغيّر – دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغيّر الاجتماعي – المؤسسة الوطنية للكتاب- 1987. ص.ص 39-40
(٤) د. سليم حداد. المعجم النقدي لعلم الاجتماع. الديوان الوطني للمنشورات الجامعية الجزائر 1982 ص86.

إنّ الحديث عن التغيّر الاجتماعي هو بالضرورة إعطاء للمعنى اتجاه معينا عبر معينا عبر وصف لعمليات التغيّر التي تكون نابعة من مجتمع معين أو مؤثرة في مجتمع آخر وللتغير الاجتماعي علاقة وطيدة بالتطوّر أو التقدم أو التحديث، حيث يقول أحد العلماء: "إنّ العبور من نظام اجتماعي -تقليدي- إلى نظام -حديث- هو إذن نتيجة لواقعة صغيرة في الأساس"[1]. أي أنّ كل تغيّر صغير يؤدي إلى تحوّل بنيوي.

د- التغيّر والبناء الاجتماعي في الأنثروبولوجية الاجتماعية:

إنّ التغير ظاهرة تشمل جميع المجتمعات البسيطة والمعقدة، المنعزلة منها والمتفتحة، إنّ المجتمع يتعرّض للتغيّر جيل بعد جيل مهما بلغت ثقافته من البساطة وتمسكه بطريقة حياته. وهذا يعني أنّ ما من مجتمع يبقى ساكنا أو جامدا، فإنّ أفراده دائما هم دائبون في البحث عن أفكار جديدة وطرق متطوّرة ينتجونها في حياتهم.

إنّ التغير الاجتماعي ظاهرة ليست بالحديثة كما اعتقد بعض الباحثين في ميدان التغيّر الاجتماعي، ولا هو مركز بالدّراسة على المجتمع الرّيفي فيما قبل عملية التحديث كما لو أنّ هذا المجتمع ساكن[2] فيقول في هذا الصدد أحد علماء الاجتماع[3]: "إنّ التخلّف شأنه شأن التقدّم هو عملية تاريخية كلية وشاملة". ويعني هذا أنّ هناك دول متخلّفة، ظلت خاضعة لمستعمرات أجنبية، قد تعرّضت لتغيّرات عميقة رغم التخلف التي عاشته. فهذه المجتمعات ليست هي "مجتمعات جزئية" كما يسمونها الأنثروبولوجيون بل مجتمعات ترتبط بالمجتمع الكلي وذلك من خلال الأشكال المختلفة للاتصال.

وبما أنّ مفهوم التغيّر الاجتماعي هو "نمط من العلاقات الاجتماعية في وضع اجتماعي معين يظهر عليه التغيّر خلال فترة محدّدة من الزمان"[4]. فيرى علماء الاجتماع والأنثروبولوجية "عن التغيّر الاجتماعي هو ضرورة

(١) المرجع السابق ، ص87 .
(٢) د. محمد السويدي: بدو الطوارق بين الثبات والتغيّر – دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغيّر الاجتماعي – المؤسسة الوطنية للكتاب- 1987. ص.ص 39-40
(٣) المرجع نفسه. ص.ص: 39-40.
(٤) د. محمد عاطف غيث. التغيير الاجتماعي والتخطيط. دار المعارف – القاهرة - ط١ – 1962. ص: 52.

ظاهرة جماعية (Phénomène Collectif)"[1] وبمعنى آخر هو ذلك التغيّر الذي يحدث في البناء الاجتماعي في فترة زمنية ولكنه يتميّز في ذات الوقت بالاستمرارية.

إنّ التغيّر الاجتماعي هو جزء من التغيّر الثقافي الذي هو أوسع نطاق، إذ يتناول جميع التغيّرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون، الفلسفة، التكنولوجية، كما يشمل صور وقوانين التغيّر الاجتماعي نفسه.

وقبل التعرّض بالتحليل لمفهوم التغيّر البنائي لابدّ من التلميح ولو بتعريف بسيط وتحديد مفهوم البناء الاجتماعي من وجهة النظر الاجتماعية والأنثروبولوجية فيعرّف كثير من علماء الأنثروبولوجية البناء الاجتماعي بأنّه: "نسق اجتماعي يتميّز بدرجة معيّنة من الثبات والاستقرار ويتألف من جماعات وزمر مثل العشائر والقبائل والأمم تقوم بتنظيم علاقات الأفراد التي تدخل في نطاقها، ببعضهم، كما يسمح بالتكيّف الخارجي مع البيئة الطبيعية وبالتكيّف الدّاخلي بين الأفراد أو الجماعات"[2].

وقد وافق الأنثروبولوجي "راد كليف بروان – Radckiff Brown"[3] على هذا التعريف موضحا بأنّ ثبات واستقرار البناء الاجتماعي لا يعني الجمود وعدم التغير، وإنّما الاستقرار الذي قد يتغيّر بدرجات متفاوتة إلى جانب المحيط الإيكولوجي للبناء الاجتماعي، كما اهتم بدراسة شبكة العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع داخليا ولا يوجد هناك مجتمع منعزل في الوقت الحالي وارتباط المجتمعات ببعضها البعض.

يقصد بالتغيّر البنائي ذلك النوع من التغيّر الذي يؤدي إلى ظهور أدوار وتنظيمات اجتماعية جديدة، تختلف اختلافا نوعيا عن الأدوار والتنظيمات القائمة في المجتمع، ويقتضي هذا النوع من التغيّر حدوث تحوّل كبير في الظواهر والنظم والعلاقات الاجتماعية.

---

(١) المرجع نفسه . ص: 52.
(٢) عاطف وصفي . الأنثروبولوجية الاجتماعية، دار النهضة العربية – بيروت. 1981. ص: 80.
(٣) المرجع نفسه . ص 126.

وقد عرفه عـالم الاجتمـاع البريطـاني[1] "موريـس جينزبرج- Morris Ginsberg" بأنّه أي التغيّر البنائي هو: "التغيّر الذي يحدث في بنـاء المجتمـع، أو في حجمه وتركيب أجزائه، وشكل تنظيمه الاجتماعي". وعندما يحدث هذا التغيير في المجتمع يبدأ أفراده في ممارسة أدوار اجتماعية مختلفة، عـن تلـك التي كانوا يقومون بها في الفترات السابقة.

هـ- مفهوم الحداثة والتقليد:

إنّ استعمال القرينين، التقليد والحداثـة شـائع جـدّا لـدى البـاحثين الذيـن يعالجون موضوع التطوّر والتغيّر الاجتماعي.

وقد جاء في المعجم العربي الأساسي للنـاطقين بالعربيـة ومتعلميـها أنّ لفظ "تقليد" من "تقاليد" وهي العادات المتوارثـة حيث يقلّد النّـاس فيـها مـن سبقهم كالتقاليد الشعبية أو ما اتصل بالنّاس مـن أمـور العقـائد أو غيرهـا نقـلا عن السّلف. وكل ما هو "تقليدي" منسوب إلى التقليد أو التقاليد وهـو التمسـك بالقديم وتراث الآباء والأجداد[2]. أمّا في المعجم النقدي لعلم الاجتمـاع يمكننـا الكلام على التقليد بالنسبة لعدد كبير من التصرّفات الاجتماعية المختلفـة جـدّا والقابلة لأن تحصل في المجتمعات الأكثر تنوعا. وربما الأكثر حداثـة، حيث في كلّ مرّة نتمسك ونراعـي طريقـة للحيـاة أو العمـل أو الشـعور بحجّـة أنّـه "هكذا تمّ التصرّف دوما"ويمكننا بذلك الحديث عـن التقليـد، ويضـيف المؤلّـف قائلا إنّ: عبارتي عرف القدماء، والمعلم قال ذلـك، تعبّر عـن هـذا الخضـوع لسلطة الماضي[3].

من خلال هذه التعاريف التي أعطيت لمصطلح التقليد لا يفوتنا أن نشير إلى موضوع هام ألا وهـو العـادة والعـرف، إذ لا يمكننـا تحريـك أيـة عقوبـة قانونية مثلا دفاعا عن العادة فـهنا الالـتزام بـالعرف واحترامـه واجـب يجـب الأخذ به.

(١) عبد الباسط محمد حسن. التنمية الاجتماعية – الدار العربية للكتاب – طرابلس. 1984. ص: 213.
(٢) المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية و متعلميها ،Larousse تأليف جماعة من كبار اللغويين، دار النشر لبنان 1989ص 113.
(٣) د. سليم حداد. ، المرجع السابق ، ص95.

يشير ماكس فيبر في كتابه "الاقتصاد والمجتمع" للتقليد ومن الأهمية التي يحصل في تلقائيته في التصرفات والممارسات الاجتماعية حيث يقول: "لقد فعلوا هكذا دائما"[1] بعبارة أخرى إن التقليد بهذا المفهوم هو شكل من الامتثالية للسابق. حيث يمكن للتقليد أن يغير عبر الزمن. وهنا تساؤلات تطرح نفسها أن التقليد هو مجرد الاستناد إلى الماضي وهل هو متغير باستمرار؟ويمكننا الإجابة والقول: "إن التقاليد تتطور وأبعد من ذلك فإنها تتغير ولكن تستمد تحولاتها من الماضي وكل تقليد حي يقيم استمرارية بين الحقب المتتالية للتاريخ. ولكن هذه الاستمرارية ليست إعادة ولكن تطور وحداثة. فما هو مفهوم الحداثة إذا؟.

يعني مصطلح "حداثة": الجد ة، بكسر الجيم، والحداثة مصطلح أطلق على عدد من الحركات الداعية إلى التجديد والثائرة على كل ما هو قديم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. "بقدر ما بدت الحداثة مرفوضة عند فئة تبنتها فئات أخرى باسم التجديد"[2].

أما علماء الاجتماع والمؤرخين فيطلقون هذا التعبير على مجموعة من المتغيرات المعقدة جدا التي تؤثر على جميع المجتمعات الإنسانية[3].

ولعل من العسير كل العسر تطويق معنى الحداثة (*) وضبط كل مكوناتها. فالحداثة هي ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجة معينة من التقنية والعقلانية والتفتح. والحداثة ظهرت مع ظهور المجتمع البورجوازي الغربي الحديث على أنقاض النهضة الغربية أو بما تسمى أيضا بالنهضة الأوروبية، التي جعلت المجتمعات المتطورة صناعيا تحقق مستوى عال من التطور، إذ أن الحداثة تخرج المجتمعات من دائرة التكرار والروتينية.

---

(1) M. WEBER, Economie et société. Paris, Plon – 1971. Page : 57.

(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –المرجع السابق ص 1980.

(٣) د. سليم حداد. المعجم النقدي لعلم الاجتماع – الديوان الوطني للمنشورات الجامعية الجزائر – ط١ – 1982 ، ص113.

(*) المقصود بالحداثة هنا "Modernité" أي مجموع التشكلات الفكرية والسلوكية ودعاماتها المؤسسية المرتبطة بظهور المجتمع الحضري.

إن المظهر الأول للحداثة هو الاقتصاد، والذي يتجلى في التصنيع[1] أو بمعنى آخر إذن هذا التحول الاقتصادي هو الانتقال من الاقتصاد المنزلي والاكتفاء الذاتي إلى الاقتصاد الإنتاجي.

فالمجتمع الحديث هو أساسا مجتمع اقتصادي أي أن الاقتصاد يلعب فيه دورا محددا لاكتفاء متطلبات الحياة. فموقع الإنسان في المجتمع العصري لا يحدده الدم والسلالة بل تحدده وظيفته في العملية الاقتصادية وبالتالي هي أساسية لوجوده وتطوره وتطور المجتمعات[2].

إن الارتفاع في الاقتصاد والقطاع الاقتصادي على وجه الخصوص، أظهر أهمية القطاعات الأخرى، كقطاع الخدمات، مما يجعل الأدوار الاجتماعية للعديد من الفئات الاجتماعية أكبر وأهم، وهذا بالتالي يجعل الفرد أكثر أهمية ودوره فعال في عملية الحداثة لأن مساهمته هي كغيرها من باقي المساهمات التي تقوم بها فئات واسعة من الأفراد وبالتالي تنجم عنها اتساع في دائرة النشاطات المنتسبة لهم واتساع دائرة المهام.

فالحداثة لا تنحصر في الاقتصاد والسياسة فقط بل تذهب إلى أبعد من ذلك فهي تؤثر بالدرجة الأولى على المجتمع ويسميها بعض العلماء بالحداثة المجتمعية. فأنماط السلوك والقيم والعادات الساكنة المتناقلة بثبات كلها تتعرض لهزة قوية. فالعائلة مثلا تأخذ في التقلص، والتفكك التدريجي للعلاقات الدموية والعائلية والعصبية لتحل محلها روابط (*) أخرى.

إن مظاهر الحداثة، يقول محمد أركون[3]: "في تنوعها وتدرجها يمكن أن تختزل في عنصرين رئيسين، الحداثة المادية، وتعني التحسينات التي تلحق الإطار الخارجي للوجود الإنساني، والحداثة الفكرية وتعني الرؤية والمناهج والمواقف الذهنية التي تهيئ تعقلا يزداد تطابقه بالتدريج مع الواقع".

---

(١) محمد سبيلا: الثقافة مجلة الدراسات العربية دار الطليعة بيروت – العدد 3 – يناير 1984. ، ص 71.
(٢) ماكيفر، المجتمع ، ترجمة د. سمير نعيم أحمد ، ج 3. مكتبة النهضة المصرية- 1971. ص: 495.
(*) ارجع لمفهوم التنظيم الاجتماعي ص68 من هذه الرسالة .
(٣)Mohamed. Arkoun et autres – L'Islam Hier – Demain, Paris – Buchet, Chastel, 1978. Page : 126.

لقد أقحمت الحداثة، المجتمعات التقليدية في وضع شقي وإذا كانت قد وقعت في المجتمعات المتقدمة نتاجا لعوامل داخلية، فالبنسبة للمجتمعات النامية فهي كانت نتاج مقوّمات خارجية وهي الاستعمار.

فقد كان الاستعمار القوة التحديثية الأولى والأداة التي اكتسبت بها هذه المجتمعات طابع التحديث كلما تزايدت مظاهر الحداثة و أثرت على الأنماط الثقافية القديمة بطابعها الحديث ازدادت ردود أفعال الأفراد من الاغتراب والتنحي عن مقوماتهم الثقافية الخاصة بمجتمعهم.

و- التحضّر:

يعتقد أنّ موضوع الثقافة الحضرية لم يرتبط بفكر متميّز وخاص. فلقد عرفت البشرية هذا الاتجاه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. فالعلامة عبد الرحمان ابن خلدون تناول بالدّراسة والتحليل إشكالية تطوّر العمران البشري، هذا العمران الذي ينشأ من خلال تجمع الأفراد وتواصلهم وكوّنوا بينهم مجموعة من القيم كالتعاون والتساند و التعارف، والنظم الاجتماعية والثقافة والسياسة...

وقد ورد في لسان العرب لفظ (حضر) من الحضور ضد المغيب والحضر نقيض البدو.
و يشتق من كلمة "الحضر" –الحاضر– أي المقيم سواء في المدن أو القرى أمّا كلمة "البدو" يشتق منها –البادي– أي المقيم في البادية[1]. وورد عن المنجد أن البدو تشبع بقيم الحضر فاكتسب الثقافة الحضرية وعليه يقصد بكلمة الحضر استقرار الفرد في مكان ما استقرارا كاملا ومتواصلا، وأمّا البداوة تعني بمفهومها الضيق الانتقال من مكان لآخر بقصد المرعى[2].

وقد وقع الاتفاق بين العلماء على إدراج القرية والرّيف في الإطار الحضاري. ورغم أنّ البعض يشك في هذا المعنى بحجّة أن:
- النشاط الاقتصادي السائد في المدينة يختلف عنه في القرية.

(١) ابن منظور. لسان العرب ، المرجع السابق ص 203.
(٢) د. زكي حنوش. ، أسباب ونتائج الهجرة السكانية بين الرّيف و الحضر في الوطن العربي: المشكلة والحل. المجلة عالم الفكر المجلد 28 ، العدد ١ ، 1999. الكويت. ص: 221.

- التعاون في أنماط الحياة بين أهل القرية وأهل المدينة وقصد تجاوز هذا الخلاف اتفق الباحثون على بعض الأسس والنظم التي من خلالها يمكن تصنيف المنطقة إلى حضرية أو ريفية ومن هذه النظم: النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والنظام الإداري للمجتمع.

لقد اهتمت الدّراسات الأنثروبولوجية بدراسة البناء الاجتماعي لمجتمع بغرض الكشف عن خصائصه العامة وطبيعته الحضارية وتتجه إلى تقسيم المجتمعات إلى شكلين: مجتمعات تقليدية تعيش لذاتها من خلال قيمها التقليدية ومؤسستها الشعبية ومجتمعات حضرية -سواء كانت من حجم صغير أو حتى كبير- تتحرك وتتفاعل من خلال أنساقها وتنظيماتها الرّسمية.

وبالرّغم من هذا التقسيم الثنائي للمجتمعات، فتثار الصعوبة في تحديد المفهوم الصحيح لمصطلح "التحضر" وحتى الدّراسات في علم الاجتماع الحضري التي تناولت هذا الموضوع لم تحسم هذه الإشكالية، وتثار الصعوبة في تحديد هذه المفاهيم حيث أنّ معظم التعاريف استندت إلى معيار معين أو معايير اعتبرها الباحثون أساس المقارنة ما بين القرية والمدينة أو الرّيف[1].

لقد استخدم كثير من الأنثروبولوجيين كلمة "حضر - Urbain" بطرق مختلفة[2]، وظهر هذا المصطلح في كثير من الكتابات الأنثروبولوجية الحضرية دون وصنع تمييز للمفاهيم الذي يمكن أن يحتويه هذا المصطلح. فبعض العلماء، نظر إلى (الحضر) على أنه موقع تجرى بداخله الدراسة الأنثروبولوجية وتدعى هذه الدراسة بالأنثروبولوجية في المدينة أي داخل المجتمع الحضري. وفي مجال حديثنا عن المجتمع الحديث "La société Urbaine" استخدمت بعض المصطلحات التي تمثل إشتقاقات لغوية من لفظ "حضري- Urbain"، وذلك من التحضر "Urbanisation" والحضرية "Urbanisme" مما يحتم علينا أن نوضح معاني هذه المصطلحات فيعني بمفهوم الحضرية هي الحالة أوالطريقة للحياة المعتمدة في ذلك على العمل، والعلاقات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية للأفراد.

(١) د. بوشنا في بوزيان، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب، دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح. منشورات الحوار. ط١- 1988. المغرب. ص: 07.
(٢) د. محمد حسن غامري. الأنثروبولوجية الحضرية . ط١. دار المعارف الجامعية. مصر- 1984. ص: 25.

في مقابل هذا يشير مفهوم "التحضر Urbanisation" إلى ارتباطه بتزايد نسبة السكان المقيمين بالمناطق الحضرية، وانتشار أنماط السلوك وأساليب الفكر الحضرية(١).

وعليه نجد من الباحثين من يستعمل المعيار العددي كمقياس للتحضر، إلا أنه يلاحظ أن هذا المقياس يختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر بسبب اختلاف السياسة العمرانية المنتهجة التي تعتمد على الأنساق النشيطة في المجتمع وأسس تنظيمها في المكان والزمان. وهذا ما يذهب ببعض الإحصائيين بالقول إن تصنيف المدن الحضرية يعتمد على خصوصيات ومتغيرات تأخذ أبعادا في تنظيم التجمعات البشرية، وهذا ما يفسر التناقض والاختلال في التوازن بين مدن من نفس الحجم مثلا (50000 نسمة أو 100.000 نسمة) ولكن تختلف على بعضها البعض من حيث التنظيم، الفضاء "L'espace" والتوزيع الصحيح للوظائف والاستغلال العقلاني للثروات والتصميم العملي للمشاريع(٢). وعلى حد تعبير "بيترمان - Paterman" في كتابه مدخل إلى علم الاجتماع الحضري إن ظاهرة التحضر عملية اجتماعية يقوم الفرد خلالها بالهجرة من الريف إلى المدينة، والتكيف والتطبع، بأخلاق وعادات وسلوكيات أبناء المدن، تقبل أسلوب الحياة وأنماط العلاقات الاجتماعية الموجودة فيها والخضوع إلى قوانين وأنظمة مؤسساتها وتشكيلاتها الاجتماعية والحضارية(٣).

1- التحضر والتغير الاجتماعي:

يعتبر التحضر أحد السمات الهامة للتغير الاجتماعي في ارتباطه بالتصنيع وما ينجم عنه من مشكلات وخيمة مرتبطة بعملية النزوح الريفي "Exode rural" نحو المدن وزيادة سكانها، وإذا كان ذلك يزيد من قدرة المدينة على الحصول على الأيدي العاملة التي تحتاجها مصانعها ومؤسساتها، إلا أنه يؤدي في أغلب الأوقات إلى نمو سريع للمدن، فالتضخم السكاني المهيب وظهور اختلال في التوازن السكاني داخل المجتمع وكذلك ظهور سلبيات

(١) عاطف غيث، السيد عبد العاطي السيد، المجتمع الحضري – دار المعرفة الجامعية القاهرة 1986. ص: 117.
(٢)Castelles. La question Urbaine. Paris PUF. 1978 Page 78
(٣) إحسان محمد الحسن – التصنيع وتغير المجتمع – دار الرشيد للنشر – بغداد 1981. ص: 80 .

داخل المراكز الحضرية حيث أنّ زحف هؤلاء الأفراد إلى المدن يجعلهم يجدون صعوبات في اكتساب الخصائص الحضرية الخاصة بمجتمع المدن وعدم اندماجهم في الحياة الحضرية الجديدة، مما ينجم عن هذه الظاهرة ترييف المدن عن طريق نقل سماتهم الرّيفية وبذلك تفرز ظواهر سلبية داخل المدينة مثلا كظهور الأحياء العشوائية الفوضوية المعروفة بمدن الصفيح*.

2- الهياكل الحضرية:

إنّ النّظام هو عبارة عن مجموعة من مركبات متباينة مرتبطة ببعضها البعض بعدد من العلاقات(١).

فالمدينة نفسها مركب معقد، ذات بنية مجالية واجتماعية اقتصادية وهي نفسها بوجودها نظام ونجد هناك نوع من النظام الحضري إذا ما قمنا بتحليل للظواهر الحضرية والمحيط الذي تتواجد بداخله إذ هو إنتاج لدور النشاط البشري ذوي الاستمرارية والتنوع. وهذا يعني أنّ المحيط الحضري هو مجال مصنوع وناتج عن الوسط الطبيعي والنشاط البشري الذي ساهم في نشأته ونموّه التحضر، إذ يعطي للمدينة المعاصرة إطارا ممكن تغيّره وهذا بدوره يضغط عن المدنية ومن تم يستمد النظام الحضري.

إنّ كلّ مدينة تتجاوب مع مجموعة من الضروريات تساهم في نشأتها ونموّها الأصلي وازدهارها وهذا لن يكون إلاّ بوجود هياكل وأنظمة حضرية تقوم بوظائف أساسية وتلخص هذه في ثلاث مجموعات كبرى:

- هياكل الإثراء:

إنّ الصناعة من الوظائف الأساسية للنموّ الحضري الحديث وقد ظهرت أهمية علاقة التصنيع بالتحضر جالية خاصة في البلدان التي هي في طريق النموّ.

---

* الصفيح : Bidonvilles : والمقصود بها تلك الأحياء التي تتكون من أكواخ الصفيح، ويسكنها المعدمون في ضواحي المدن وهي ظاهرة معروفة في جميع أنحاء العالم وخاصة في البلدان النامية، لكن استخدام هذا الاسم يرتبط أكثر بمدن المغرب العربي.

(١) جاكلين بوجو قارني. ترجمة حليمي عبد القادر – الجغرافيا الحضرية – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر. 1989. ص: 28.

قد يصاحب النشاط الصناعي وهو في حد ذاته جزء من الوظيفة التجارية وهي مرتبطة بالتوسع مع كتلة المستهلكين والمستخدمين فوظيفة التجارة كما يقول الكاتب "هي وظيفة حضرية أساسا وكان لها الدور الأكبر في نشأة ونمو مدن كثيرة في القديم"(١).

ومن الممكن أن تكون المدينة قطبا للتجميع والاستهلاك ومركزا لإعادة التوزيع للمصنوعات الحضرية أو المستوردة. وإن نشأة ونمو مدن كثيرة في العالم لا تجد تفسيرها إلا في ظهور التبادل ودور التجارة(٢). وهناك وظيفة أخرى لا تقل أهمية على الوظيفتين السابقتين ألا وهي السياحة، أو الجدب السياحي المتمثل إما في مناخ المدينةوآثارها،وأنشطتها الرياضية... وبالتالي تعتبر المدينة مركزا سياحيا فهي قد تستفيد من هذا المنبع للإثراء. ولا يمكن للوظائف السابقة أن تتجسد إذا لم توفر المدينة محلات ومؤسسات مالية كالبنوك لتسهيل الاستثمار وتحسين تجهيزاتها، وتوفر كل هذه الظروف تصاحبها تركز السكان فيها أو قصدها من أجل إما الإقامة فيها بصفة دائمة أو حتى بصفة مؤقتة وبالتالي تنمو فيها وظيفة جديدة هي الإقامة والإسكان وبالتالي تزدهر التجارة وتتعدد الخدمات وتتنوع.

- الهياكل الحكومية والرّسمية:

إلى جانب وظائف تراكم الثروات تقوم المدن بوظائف أخرى مكملة وهي إنشاء وظائف ذات مسؤوليات كالإدارة بمفهومها الواسع، التعليم، الصّحة، حيث تقوم هذه العوامل الثلاثة بدور أساسي في حياة السكان بواسطة مصالحها الحضرية والمنظمة.

فلكل مدينة إدارتها الخاصّة بها، وأشكالها التعليمية وأجهزتها الصحية. إنّ هذه الوظائف تعمد إلى خلق العمل في المدينة وتكون مصحوبة للمظاهر المحركة للربح المالي.

(١) المرجع نفسه. ص: 51.
(٢) المرجع نفسه. ص: 52.

- هياكل الاتصال والترفيه:

ونعني بها وسائل وأسباب الاتصالات بمفهومها الواسع والتي تقوم ببث ونشر الحضارة، أمّا الحياة والمكتسبات الحضرية. بحكم أنّ المدينة هي كتلة من السكان وتراكم الثروات فهي مركز جدب الأشخاص/أكثر حيوية، وتعمل المدينة على ممارسة سلطة التكوين والإعلام والأخبار وحتى التحويل وبمعنى آخر التحويل سلوكهم القديم بسلوك حضاري جديد وذلك لما توفره المدينة من متطلبات الحياة وما يساعد الاتصال من محيط إلى آخر هو وجود النقل وخاصة في المراكز الحضرية مما تسهل ظروف عبورها أو حتى الوصول إليها. حيث تصبح كالشعاع. ولكن ليس فقط وجود العلاقات المادية في المدينة هو الذي يسهل في التوصيل بل حتى وجود مراكز ثقافية وترفيهية، التي تساعد على نشر بعض الأفكار والمفاهيم وكذلك وجود الجمعيات التي تقوم بنشاطات مختصة، وملتقيات رياضية وترفيهية كل هذه المقوّمات تقوم بتربية السكان وتحويل أفكارهم وثقافتهم.

ثالثا: التفسير العلمي للتحضر :

أ- الأهمية العلمية لدراسة الثقافة الحضرية :

1- الاهتمامات الأولى للدراسات الأنثروبولوجية الحضرية:

في معتقد العديد من الباحثين العلميين والاجتماعيين أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة المجتمعات البدائية فقط، وترتبط هذه الفكرة مع طبيعة وظروف نشأة الفكر الأنثروبولوجي الأوّل، حيث قام الأنثروبولوجيين الأوائل بصبّ اهتماماتهم ودراساتهم على المجتمعات البدائية بغرض التعرف على النظم الاجتماعية الاولى و صورتها البسيطة متاثرين بافكار النظرية التطوّرية لداروين التي سادت القرن التاسع عشر.

كما استغلت الأنثروبولوجية لتحقيق الأغراض السياسية التي ارتبطت بأهداف الحركة الاستعمارية حتى يسهل فرض السيطرة السياسية والعسكرية على هذه المجتمعات. "فالأنثروبولوجيون عندما يكونون مبهورين بمناخ

منطقة ما، يقومون بالوصف الجغرافي، الطبيعي والبشري للمجتمع المستعمر "[1].

وفي ضوء ذلك فإنّ الفكرة الشائعة أنّ علم الأنثروبولوجية يهتم فقط بالمجتمعات البدائية إنّما هي فكرة خاطئة بحيث أصبح الآن هذا العلم مجالات تخصّصه عديدة، وظهرت للأنثروبولوجية إسهامات عديدة في مجالات الحياة الاجتماعية، وأعني بإحدى هذه المجالات الحديثة الأنثروبولوجية الحضرية، حيث أبدى الأنثروبولوجيون منذ أمد بعيد اهتمامات بدراسة أصول "الحضرية، Urbanisme" ويرتكز هذا الاهتمام بالأصول أساسا على البيانات الأركيولوجية* أو يمثل جزءا من صياغات نظرية عامة عن التغير الثقافي، ذات وجهة تطورية واضحة [2].

فمع تغير الظروف المجتمعية وتجلي نتائج الثورة الصناعية التي اجتاحت أرجاء العالم طوال القرن العشرين وما صاحبها من تطوّرات تكنولوجية وتغيّر في أشكال المجتمعات البشرية وانتشار التحضر وظهور المراكز الحضرية بادئة من المدينة الصغيرة إلى الميتروبوليتان وتعقد الحياة الاجتماعية وظهور المشكلات الاجتماعية التي واكبت التحضر والحضرية. كان على الأنثروبولوجيين أن يتجهوا بدراساتهم وبحوثهم إلى المدينة مما جعلهم يبحثون تطوير في النظرية الأنثروبولوجية والأساليب المنهجية بما يتلاءم مع إجراء الدّراسات الأنثروبولوجية الحضرية[3].

ظهرت الأنثروبولوجيا الحضرية بصورة واضحة كفرع متخصص في منتصف الستينات[4] وأجريت كثير من الدّراسات الأنثروبولوجيا في المجتمعات المختلفة، فقد أشار "راد كليف براون - Raddclif Brown" في مقالة عن معنى ومجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية عام 1944: "أنّ ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو كل المجتمعات البشرية دون شك، وفي عام

---

(١) Philippe Lucas, Jean Claude Vatin, L'Algérie des Anthropologues. François Maspero. 1975. P : 12.

* الأركيولوجية: علم الآثار القديمة.

(٢) د. محمد الجوهري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري، دار الكتاب بيروت ط 3. 1971. ص: 120.

(٣) د. محمد حسن غامري- الإنثرولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة الحي وأبو ظبي -ط١ -دار المعارف الجامعة الاسكندرية 1984 ص: 02.

(٤) د. محمد حسن غامري. المرجع نفسه. ص 03.

1939 أشار "لويد وارنر – Loyd Warner" أن كل المجتمعات البشرية بدائية أو متحضرة بسيطة أو معقدة تعتبر موضوع دراسة أنثروبولوجية(١).

ومن ذلك اتجه الأنثروبولوجيون إلى دراسة المجتمعات المحلية القروية على أساس أنها مجتمعات صغيرة ومنعزلة دون النظر إلى القوى الخارجية التي تؤثر عليها المجتمعات المحلية.

ولعل أقدم الدراسات الحضرية التي أجراها باحثون أنثروبولوجيون قد تمت في إفريقيا منها مثلا دراسة "هوراس ماينر – Horace Miner" في عام 1940 التي أجراها على مدينة تمبكتو المالية.

واتباعا لما جاء به هذا العالم أبدى باحثون آخرون اهتماماتهم بالمشكلات الحضرية حيث تناول العديد من الدراسات البحث في مشكلات المدن كالآثار الاجتماعية للهجرة إلى هذه المناطق الحضرية سعيا وراء العمل، مدى تكيف المهاجرين من الريف مع ظروف الحياة في المدينة، التحدث عن بعض عناصر التحضر كالانخراط في الجمعيات...(٢).

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فتعتبر دراسات "روبرن وهيلين لوند Robert et Hèlene Lynd–" عن إحدى المدن الأمريكية من العالم الأولى في حقل الدراسات الأنثروبولوجية الحضرية(٣) للأسباب أنها حاولت تناول الثقافة الكلية والبناء الاجتماعي لذلك المجتمع واستخدامها للمناهج الأثنوغرافية.

يمكن القول بصفة عامة أن الأنثروبولوجيين مؤهلين على أحسن وجه بالقيام بدراسات ذات طابع ثقافي مع التركيز على الجانب الميداني وذلك

(١)محمد حسن غامري ، المرجع نفسه. ص:04
(٢) محمد الجوهري: ، المرجع السابق. ص: 121.
(٣) المرجع نفسه. ص: 122.

بإجراء المقابلات المتعمقة والملاحظات المشاركة المتعلقة بعمليات التكيّف والتغيّر والثبات الثقافي والاجتماعي وأساليب الحياة وأنساق القيم ويمكن إجراء تلك البحوث جميعها في البيئة الحضرية، في استخدام الإحصائيات وجمع البيانات والعمل بها في الدّراسات التي تجري على مجتمع ما.

إنّ الأنثروبولوجيا الحضرية في إطارها العام تتضمن مجموعة من الدّراسات، وترتكز على موضوعات الهجرة الرّيفية الحضرية، التكيّف الذاتي للفلاحين والبيئة الحضرية وتعتبر هذه الدّراسات امتداد للدراسات الأنثروبولوجية التي تجري في القرية لأن السكان الريفيين في تحركاتهم نحو المدينة عادة يعيشون بين القرية والمدينة، إذ تبين هذه الدّراسات أسباب الهجرة وأنماطها وعمليات التكيّف الذاتي مع الواقع الحضري.

إنّ تاريخ الأنثروبولوجية الحضرية هو أيضا تاريخ في المفاهيم المختلفة التي عرفت بها المدينة: من النظرة الكلاسيكية التي عرفها بها "ماكس فيبر" إلى أحدث مفهوم لها التي طوّره "جيدنس - Gidnes" حيث يدخل مفهوم المكان في النظرية العامة التي تتحكم في المجتمع.

إن منظور الأنثروبولوجيا الحضرية يبقى منحصرا في موضوع دراسة حيث يحدّده المكان فالباحث إذن مطالب بتحليل المعطيات في إطار المكان والانتماء إلى نفس المجموعة الإثنية أو البشرية إضافة إلى اشتراك هذا الفرد أو هذه المجموعة في أفكار و معتقدات سواء كانت دينية أم سياسية ثقافية عملية[1].

إنّ اهتمامات باحثين مدرسة شيكاغو منصبّة على دراسة المدينة وما نجم عنها من عمليات هجرة وافدة قصد العمل وكثرة المهمشين الذين هم بدون مأوى وكثرة الانحرافات ومخلفات المخدّرات والأحياء القصديرية، والأحياء الفقيرة...

(1)Massimo Repetti, L'Anthropologie Urbaine et l'Anthropologie Urbaine en Afrique. Gallimard Paris. 1970. P.P : 83-84.

إنّ الأبحاث الخاصة بالأنثروبولوجية الحضرية في إفريقيا قد قام بها " وقد كان هذا في Rhodes Livingstone Institut مجموعة من الباحثين " في الأربعينيات والخمسينات وقد قاموا بدراسة وتحليل السكان الرّيفيين إلى المدن الصناعية. هذا الانتقال من الحياة البسيطة و الريفية إلى الحضرية يحث هؤلاء الباحثين في الدراسة والبحث عن هذا التغير الاجتماعي والاتصال الثقافي وانتقاله إلى الوسط الحضري وكذلك انتقال التصرّفات والأخلاق والعادات والتقاليد من المناطق الرّيفية والتطبع بها في الأوساط الحضرية ومدى التمسك بها.

إنّ الأنثروبولوجية الحضرية الإفريقية قد اهتمت بالحضرية كطريقة للعيش والحياة[1]. إن المدينة تعكس، قبل أن تعبر عن ثقافة ما، الحياة الحضرية الحديثة التي يعيشها الأفراد في حينها وهي تبحث في ماضيها حلولا وشفاء لمستقبلها ومن هنا يمكننا أن نعرّف الثقافة الحضرية للمدينة الحديثة التي هي دائما في تطوّر حضري مادام الإنسان هو صانعها[2].

ب- المدينة كمجال لدراسة الأنثروبولوجية الحضرية:

أصبحت المدينة والظواهر الحضرية المحيطة بها محور إهتمام ودراسة لكثير من المؤرّخين، علماء الاجتماع وكذلك الأنثروبولوجيين الذين اهتموا بدراسة ظاهرة ظهور المدن وتطوّرها وأنماطها بالإضافة إلى دراسة تأثير الحياة الحضرية على الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية والأنماط المدنية.

وقد ساعد على الاهتمام بهذه الدراسات ذلك النمو السريع الذي طرأ على المدن منذ مختلف العصور، وما صاحب ذلك من ظهور عوامل اجتماعية، كالهجرة الريفية الحضرية والكثافة السكانية، التقدم التكنولوجي.

لقد تعرض عدد من الباحثين الأوروبيين لمسألة المدينة قبل أن ينشأ علم الاجتماع الحضري في أمريكا بوقت طويل، حيث حاولوا أن يتتبعوا في

---

(١) IBID . P : 84.

(٢) P.L. Gervellati. R.S. Canavini. La nouvelle culture urbaine. Bologne face à son patrimoine. Edition Seuil, Paris 1981. P.P : 24-25.

دراستهم الأصول التاريخية للمدينة والتطورات التي طرأت عليها والوظائف التي تؤديها والآثار التي تتركها على حياة الإنسان[1].

ولقد كان للمدينة منذ فجر التاريخ دور رائد في تطور وسائل الاتصال والتبادل التجاري وكذا الخدمات بين الجماعات الاجتماعية المختلفة وبذلك ساعدت على تكيف النشاطات والتبادل وساهمت في عملية التحول حتى وصلت لنا المدن على ما هي الآن.

ومما لا شك فيه أن عنصر(هاما ألا وهو الدّين والمعتقدات الدينية كان له فضل كبير في إقامة الكثير من المدن والتاريخ يشهد على هذا مثلا أثينا (المدينة الدولة)[2] حيث قامت على أساس ديني حيث يقول في هذا أحد علماء الاجتماع: "إن المعتقدات الدينية أسهمت في توحيد الوحدات الاجتماعية التي كانت تقوم على الانتماء لدولة واحدة، وفي العصور الوسطى الأوروبية لم يفلت مدينة تقريبا من الأصل الديني حيث لعبت الكنيسة دورا هاما في حفظ تقاليد المدن وإعادة بناء بعضها في كثير من الأحيان "[3].

كما أن الدّين الإسلامي لعب دورا هاما في بعض المدن (مكة المكرمة، يثرب) وكذلك كان له الفضل في إقامة أخرى كالقيروان، فاس وتلمسان... وحتى الآن إن المعيار الديني لا يزال أساسا هاما للكثير من المدن والمراكز الحضرية التي هي مدينة في ظهورها كذلك للعامل السياسي، فغي كثير من الأحيان لعب الفلاسفة، السياسيون، الزعماء الدينيون في تدعيم الأنظمة السياسية الموجودة في المدن[4]، ونحن بصدد رصد أهم العوامل الثقافية التي ساهمت في ظهور المدن لا نهمل دور العوامل الثقافية والتوجيه الفكري الذي كان له الفضل في ظهورهاوكذا الاستعمار في العصر الحديث ودوره في قيام مراكز حضرية لتدعيم سيطرته وربط تلك المراكز اقتصاديا وثقافيا، وسياسيا وهذا يعني أننا لا يمكننا إغفال دور الدين، والسياسة والتجارة والثقافة وأخيرا الاستعمار في نمو المدن وازدهارها وظهور مناطق حضرية على ما هي عليه الآن.

---

(١) د. محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار النهضة العربية. بيروت. ص: . 105

(٢) السيد الحيسني، المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مطابع سجل للعرب- القاهرة- ط١- 1980. ص: 41.

(٣) المرجع نفسه : ص: 41.

(٤) المرجع نفسه: ص: 42.

ظهرت الاهتمامات الأولي لدراسة المدينة، في عهد الإغريق وقد قام "أبوقراط -Hipocrate"* في كتابة "الجو والمناخ والإقليم" إلى وضع فروق بين سكان المناطق الجبلية والمناطق السهلية السكانية من حيث الصفات الجسدية والنفسية، وحاول الربط بين البيئة وظهور بعض العادات والتقاليد والقيم الثقافية وكذلك الاهتمام بالأدوار الاجتماعية لكل فرد في الإقليم(١).

ويضيف أرسطو* أن الارتباط بين المناخ والعادات البشرية العالقة بأذهان الكثير من الشعوب واضحة في تصرفات المفكرين الذين ينتمون لهذه الشعوب وحاول بعد ذلك تصنيف المجتمعات البشرية حسب ظروفهم المكانية(٢).

وضلت هذه الأفكار سائدة حتى العصور الوسطى، حيث ظهرت اهتمامات ابن خلدون** بدراسة نشأة المدن والأمصار التي ضمها آراء حول أثر المناخ على طابع الشعوب وأحوالهم الاجتماعية والثقافية وأثر العصبية في تكوين الأمم، كما اهتم بشرح مقومات المدينة (الحضرية) وأثر البدو في تدهورها أو مدها بعناصر جديدة(٣).

أما بعض الكتاب الأوروبيين أمثال "مونتسيكو Montesquieu" و "داروين- Darwin" وآخرون فقد قاموا بمحاولة تحديد صفات البشر المختلفة بالاستناد لتنوع البيئات واختلافها(٤). أما "دوركايم" تقول الكاتبة فقد قام بنقد هذه النظرية حيث نظر إلى المجتمعات على أنها لاتتوزع توزيعا مكانيا وإنما وفق عوامل بيئية متعلقة لمعتقداتهم حيث تضيف الكاتبة أن تأثير العوامل البيئية كالقيم والنظم والعلاقات والتنظيمات يفوق تأثير العوامل البيئية، وأصبحت

---

*أبوقراط (420 ق الميلاد) ممثل النظرية الحتمية البيئية القديمة.
** أرسطو 384: 322 ق الميلاد
*** ابن خلدون _1406؟1332

(١) L. Mumford. La cité à travers l'histoire. Paris, 1961. P : 23.

(٢) IBID. P : 25.

(٣) فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع الحضري. دار علمر للكتب. الرياض. 1984 ص ص : 22-25
(٤) المرجع نفسه: ص: 28.

العوامل الثقافية والاجتماعية والشخصية في المدن هي القوى المحركة لسلوك الإنسان والموجهة لاتجاهات واهتماماته في إطار الحياة الحضرية[1].

إن الدّراسات الأولى التي اتخذت المدينة موضوعا لها كانت تبتعد كثيرا عن علم الاجتماع وتهتم مثلا بالجغرافيا والاقتصاد والنمو السكاني. ويمكن الإشارة إلى الدراسات الأولى التي قدمها أحد علماء الاجتماع الأوائل وهو "ريني موريه - René Maurier" عام 1910 في كتاب له نشر بعنوان "نشأة المدن ووظائفها الاقتصادية" وقد استعرضت "أنافيبر – Anna-Weber" في القرن 19 مراحل نمو المدن وانتهت إلى التأكيد على الارتباط بين التحضر والتصنيع نتيجة لتأثير الثورة الصناعية وقيامها في أوربا.

وعلى الرغم من ظهور مؤلفات في علم الاجتماع عامة في القرن 19 وخصوصا بعد الثورة الصناعية إلاّ إنّ تطوّر الدراسات الحضرية هو وليد القرن العشرين، إذ اصبحوا يهتمون بنشأتها، تطوّرها ووظائفها، والأبنية الإدارية والفنية القائمة هي تلك المدن إضافة إلى التقسيمات الطبقية والمهنية ومستوياتها التكنولوجية وجميع مشكلات الحياة الحضرية بوجه عام"[2].

ومن أهم من عالجوا موضوع المدينة "روبرت بارك ولويس ورث - Levis Wearth – Robert Park" حيث قاموا بمعالجة الحياة الحضرية من الجهة السوسيولوجية مركزين بذلك على ثلاث مسائل[3].

الأولى: الدراسة الإيكولوجية للمدينة ونعني بذلك التوزيع السكاني والعلاقات المتبادلة بين السكان، ثانيا: التنظيم الاجتماعي للمدينة وثالثا: دراسة سيكولوجية السكان، وأهم المظاهر النفسية التي تصاحب الحياة الحضرية الحديثة واصفين مقارنة بمكان الريفيين و القرويين" وتعتبر دراسة "بارك" عن المدينة التي أجراها عام 1915[4] كنموذج سار عليه عدد كبير من الباحثين فحسب "بارك" فإن ما يميّز المدينة الحديثة هو التقسيم المعقد للعمل وما ينتج عن المنافسة الصناعية... يقول: "أن الطرق التقليدية تنهار لتستبدل بأخرى، تقوم على المصالح الوظيفية والمهنية" ويضيف "بارك"

(١) فادية عمر الجولاني: المرجع السابق. ص.ص 84-85
(٢) المرجع نفسه:. ص: 58.

(٣) محمد عاطف غيث: المرجع السابق. ص: 107.
(٤) المرجع نفسه. ص: 107.

يقول: "إنّ المدينة ظاهرة طبيعية تنشأ لتوفر عوامل طبيعية... ولكل مدينة من المدن تنظيمها الخاص... لكل منها تنظيم خاص سواء أكان هذا النشاط صناعيا، تجاريا، سكني بل وأنّ لكل منطقة خصائصها الاجتماعية والثقافية التي تطبع حياة أهلها بطابع خاص[1].

ومن جانب علماء الاجتماع منذ مطلع القرن العشرين هناك اهتمام أخر من طرف الأنثروبولوجيين الاجتماعيين لا يقل أهمية عن اهتمام علماء الاجتماع، حيث أبدى باحثون أنثروبولوجيون اهتماما خاصا في أصول الحضرية وذلك بدراسة الوحدات الاجتماعية المحلية الصغرى من حيث تاريخها وجوانبها الاجتماعية والثقافية وحتى الأفراد (٢).

ولعلّ الدراسات التي قام بها "راد فيلد- Read Field" وكذلك "روبرت وهيلين ليندت - Robert et Helène Lund" تعتبر من الدراسات الرائدة في هذا المجال*.

ب- النظريات المفسرة للتحضر:

لقد تعدّدت المدارس التي قامت بدراسة التحضر والمدن واختلفت بذلك وجهات النظر والاتجاهات.

ومن خلال استعراضنا لأهم هذه الإسهامات الفكرية لكل مدرسة سوف نقوم بتحديد الأبعاد النظرية والأسس المنهجية التي يقوم عليها التحضر داخل المراكز الحضرية، وأهم الانتقادات التي وجهت لكل مدرسة.

أ- المدرسة الإيكولوجية:

برزت هذه المدرسة في الربع الثاني من القرن الحالي وهي ذات اتجاه فكري متميز ومن رواة هذه المدرسة كل من "بارك – R. Park" و "أرنست بيرجس – Burges E." و "ميكنزي - Mekenzie" فهم يعتبرون الأباء المؤسسون للدراسات الحضرية. وسيطرت هذه الأفكار على كتابات علماء الاجتماع في أمريكا، حيث قاموا بافتراض "أن جوهر المدنية يتمثل

(١) السيد الحسيني: المدينة. المرجع السابق. ص.ص : 115-116.

• راجع ما قدمناه في هذا الموضوع في المقدمة العامة للبحث.

(٢) بلقاسم لعروف التصنيع و التغير الاجتماعي في مدينة قسنطينة، رسالة لنيل شهادة الماجيستير ، تخصص علم الاجتماع ، جامعة عين شمس القاهرة 1990-1991،ص143

في تركيز أكبر عدد ممكن من السكان في نطاق جغرافي محدد"[1]. وقد بذلت محاولات عديدة لتوضيح الأسس التي تحدد النماذج الإيكولوجية للمدينة وقد صنفت هذه المحاولات في ثلاث نظريات شهيرة:

1- **نظرية الدوائر المركزية**: تندرج هذه النظرية ضمن المدخل التجريبي للدراسات الحضرية. فهي تقوم على أسلوب القياس للكشف عن العوامل المؤثرة في الظواهر الحضرية، ثم اختبار بعض الفرضيات المتعلقة بأثر العوامل على بعض جوانب الحياة الحضرية ومن ممثل هذه النظرية "أرنست بيرجس – E. Burgs" حيث قامت أبحاثه باستهداف أنماط النمو، وتركيب الوظائف في مدينة –شيكاغو- الأمريكية. انطلاقا من افتراض أن غلاء أسعار الأرض وبلوغ أقصاها في قلب المدينة التجارية، ثم انخفاضها كلما ابتعدنا عن النقطة المركزية يؤدي إلى انتقال الوظائف من قلب المدينة إلى نقاط أو حلقات كما يسميها "برجس" خارجية، ووفقا لهذا حدد خمس حلقات مركبة حول المركز[2]:

- حي الأعمال المركزية: ويمثل قلب المدينة النابض اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.
- المنطقة الانتقالية: وتسودها أحوال سكنية متدهورة تضم المهاجرين والجماعات الفقيرة تتميز بكثافة سكانية عالية، وانخفاض الدخل الفردي وكثرة الأمراض.
- المنطقة الثالثة: فتضم منطقة سكنى العمال والمهاجرين ويسكنها عمال الصناعة المحدودي الدخل.
- المنطقة الرابعة: فهي تشكل منطقة سكنية أفضل مساكنها من النوعية الممتازة وأسرها غنية ذوي الدخول المرتفعة.
- المنطقة الخامسة: وهي تضم الضواحي والمدن التابعة للمدينة المركزية و يسكنها ذوي الدخول المرتفعة .

وبالإضافة إلى ذلك حاول بيرجس معالجة المدينة في ضوء امتدادها الفيزيقي "وهو يرى أن ظاهرة النمو الحضري هي نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك، والتي تشبه تماما عمليات البناء والهدم في الكائن العضوي"[3].

---

(١) السيد الحسيني . المدينة – المرجع نفسه .. ص: 115.

(٢) السيد عبد العاطي السيد: علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق – ج١ – دار المعرفة الجامعية الاسكندرية – 1987 ص: 310.

(١) المرجع نفسه . ص.ص: 66-67

ومن الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية، صعوبة نقل بعض الاستخدامات العامة من منطقة إلى أخرى مثلا محطات السكة الحديدية، كما أن الصناعات الثقيلة ليست، دائما عامل تشويه ففي بعض المدن ترتبط هذه المصانع بمساكن العمال ذوي الدخل المحدود. إنّ هذا النموذج المثالي الذي قدمه هذا العالم لم يعد ينطبق على كثير من المدن[1].

2- نظرية القطاعات: ترى هذه النظرية أنّ أساس انتشار المناطق السكنية بأنواعها المختلفة مرتبط بدخل الأفراد. وأنّ التركيب الداخلي للمدن تحكمه الطرق التي تخرج من قلب المدينة في اتجاه الأطراف التي تؤدي بذلك إلى أماكن عدة وجدت فيها نشاطات تجارية، سكنات، مصانع...[2].

أمّا أحدث الاتجاهات الإيكولوجية في دراسة المدن فذلك الذي يعتمد على المنهج التحليلي للنظم، والذي يقول: "إنّ المدينة ليست إلاّ نظاما من العلاقات المترابطة، تضم النشاطات الإنتاجية والاقتصادية والثقافية والإدارية" وبمعنى آخر أن المدينة تتألف من مجموعة من الأنساق الفرعية التي تتبادل التأثر والتأثير في ضوء معطيات عديد ة متصلة بالشكل الحضري للمدينة والبعض الآخر مجتمعي، مرتبط بالمجتمع ككل[3].

ولعل المدرسة الإيكولوجية عند دراستها للمدينة تتركز على الجوانب الجيو-فيزيقية Géophysique للمدينة فقط دون أن تشير إلى دراسة نمط الحياة الاجتماعية الحضرية، مستبعدةً بذلك المظاهر الاجتماعية للعلاقات البشرية المتبادلة. في إطار تفسير الأنماط الإيكولوجية التي تضمنتها النظريات الإيكولوجية التي تناولت المدينة باعتبارها مكانا اقتصاديا دون الإشارة إلى العوامل الثقافية والسيكولوجية[4].

ب- المدرسة الأنثروبولوجية الحضرية:

ارتبطت هذه المدرسة بأعمال مجموعة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا معا حيث اتخذوا المدينة كمتغيّر محوري لتفسير بعض

(١) المرجع نفسه. ص.ص : 66-67.
(٢) المرجع نفسه . ص: 68.
(٣) فادية عمر الجولاني المرجع السابق . ص: 86.
(٤) د. عاطف غيث، المرجع السابق. ص: 8.

الأنماط الحضرية. وقد عرفت هذه المدرسة تطوّرا وتبلورا في أفكارها خاصة بعد نشر "لويس ويرث Lewis Wirth" سنة 1939 مقالا بعنوان الحضرية كأسلوب للحياة – Urbanisation as a way of life دراسة قام بها عن مدينة - شيكاغو - هو الآخر، وقد تدعم الفهم الأنثروبولوجي والثقافي للمدينة بظهور إسهامات "أندرسون – Anderson" "بيرجل – Bergel" و "زيمرمان – Zimerman" وكذلك "روبرت رادفيلد – Robert Rodfield".

ينطلق رواد هذه المدرسة من افتراض حيث اعتبروا الثقافة الحضرية طريقة معينة في الحياة لا تحدد وفقا لمقاييس إحصائية ككثافة السكان أو الزيادة في نسبة السكان داخل المدينة، وإنما يجب الانطلاق في دراستهم للمراكز الحضرية من تحديد أنماط السلوك الاجتماعي باعتبارها تمثل قلب الحياة الحضرية.

واعتمادا على هذا الافتراض أكّد "لويس ويرث هذا الافتراض إذ اعتبر أنّ الحضرية تتعدى حجم السكان وكثافتهم، لأنّ الآثار التي تحدثها العوامل الاجتماعية، تفوق تأثير حجم السكان وكثافتهم على الحياة الحضرية، وأنّ المدينة وحدة اجتماعية لها أنماطها، وأنساقها المميزة لها"(١). ويضيف قائلا: "إنّ المجتمع الحضري يتسم بخصائص مميّزة له، حيث توجد الروابط الثانوية وتتنوع فيه الأدوار الاجتماعية، وتتسارع فيه معدلات الحراك الاجتماعي، ويميّزه عدم التجانس، وسادت الضوابط الرسمية، وانهيار النسيج المعياري والأخلاقي وظهور الثقافات الفرعية"(٢).

وعلى الرّغم من أنّ هذه المدرسة قدمت شرحا مفصلا وشاملا للحضرية في إطار المظاهر المتواجدة في المجتمع الحضري، إلاّ أنّها تعرضّت لانتقادات فمبالغة ويرث في الحديث عن درجة التفكك واللاتجانس في المجتمعات المحلية الأمريكية، إلى جانب الإفراط في وصفه للعلاقات الاجتماعية بين سكان المدن واتسامها بالبساطة والتبسط الشديد، لأنّ ما يميّز العلاقات الاجتماعية الحضرية هو تنوعها وكثرتها وليس كونها ثانوية فقط(٣). ومن الأخطاء التي واجهت "لورث" هي التعميمات التي وصف بها طريقة

(١) فادية عمر الجولاني، المرجع السابق. ص: 78.
(٢) المرجع نفسه. ص: 78.
(٣) السيد الحسيني، المدينة، ، المرجع السابق . ص: 13.

الحياة وارتكازه على وصف المدينة الداخلية فقط، في حين أنه تجاهل الأطراف والقرى المجاورة للمراكز الحضرية وما يمكن انتشار الحضرية فيها كما أن استنتاجاته انطبقت على المدن الصناعية، فهل التحضر هو منحصر في المدن الصناعية دون غيرها؟(١).

ومن الانتقادات التي وجهت لهذه المدرسة أيضا أن الانتقال من مجتمع ريفي إلى مجتمع حضري لا يعني إحلال العلاقات الثانوية محل العلاقات الأولية، حيث أن الدراسات التي أجريت على مجتمعات حضرية غير أمريكية أشارت إلى أن العلاقات الثانوية لا تحل محل العلاقات الأولية، ولكنها تسير بوثائر أسرع منها.

جـ- المدرسة الأنثروبولوجية الثقافية:

ينطلق مفهوم هذه المدرسة من أنّ القيم الثقافية، هي الموضوع الأساسي الذي تفسّر على ضوئه كل مظاهر الحياة في المدينة وتنظيماتها الإيكولوجية والاجتماعية. وتدعمت أفكار هذه المدرسة بنشر نتائج دراسات قام بها روادها أمثال "والتر فيري – Walter Firey"، "كولب – W.L. Kolb" وقد تناولت أفكارا عديدة أمثال البناء الاجتماعي والوظيفي للمدن كما أنّ دراسات كلّ من "ديكينسون – Dickinson" المدينة الغربية، ودراسة "فون جرينباوم – F. Grunbaum" عن المدن الإسلامية، أكدت بصورة واضحة على القيم (الدينية لدى جرينباوم) كمتغير أساسي في تفسير المدن الحضرية، وأنّ نمو المدن يخضع لفاعلية الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تنتهجها، الذي يخضع بدوره للسياق العام للقيم السائدة في المجتمع، فإنّ للقيم فاعليتها وتأثيرها أيضا بالنسبة لظهور المراكز الحضرية ونموّها(٢).

أمّا "ماكس فيبر - Max Weber" ويعد من المنتمين لهذه المدرسة فقد أكد على تأثير القيم المسيطرة على الأنساق الاجتماعية، على البناء الاجتماعي وكذا تأثير القيم الدينية في تطوّر المشروعات الاقتصادية، ويبدو أنّ هذه المدرسة تبنت في اتجاهها الإطار الفكري الذي جاء به "تالكوت بارسونز – T. Parsons" والمتعلق بتأثير القيم على البناء الاجتماعي للمجتمع

(١)Alleau René, la ville, Edition de minuit, 2ème edit 1982 , P 83.

(٢) فادية عمر الجولاني، المرجع السابق. ص.ص: 82-84.

وهذا جلي في استخدام بعض الباحثين لمقولات "بارسونز" في تحليل نماذج في المجتمع المعاصر وحسب العلماء فإن "بارسونز" يؤكد على أهمية القيم وتأثيرها على النسق الاجتماعي وهذا يوافق كثيرا الدراسات التي جاءت حول البناء الاجتماعي الحضري(1).

د- المدرسة الحديثة:

فهذه المدرسة على خلاف المدارس الأخرى التي تمثلت في دراسة الحضرية والتي أجريت على مدن غربية "أوروبية – أمريكية" ونتيجة لفشل النظريات الحضرية الغربية بتطبيقها على واقع العالم الثالث في استيعاب ظاهرة التحضر وتحديد أسبابها وملامحها فقد جاءت هذه المدرسة بمنظور التحديث، إذ انه ينظر إلى التحضر من خلال مفهوم بنائي، حيث قام باتخاذ الظروف التاريخية التي ساهمت في تشكيل البناء الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي لمجتمعات العالم الثالث، ومن خلال الفهم الدقيق لدور الاستعمار. وقد تبلورت أفكار زعماء هذه المدرسة خصوصا بعد الحصول على الاستقلال السياسي بالنسبة لمعظم دول العالم الثالث، فقد تطورت أيضا من خلال بعض النظريات التي حاولت فهم تخلف مجتمعات العالم الثالث والتي سوف نلخصها بإيجاز:

1- النظرية البنائية للاستعمار:

وقد تجلت هذه النظرية من خلال الدراسات الكلاسيكية ذات المنظور الماركسي عن الاستعمار ابتداءا من (لينين، روزا لوكسمبورغ، ترتكسي، وبوخارين ... الخ)، ونقطة الانطلاق في هذه النظرية هي كيف استطاعت الدول المتقدمة، خلق والحفاظ على أنماط وهياكل للتبادل تفيد أساسا دول المركز؟ ويقصد بها الدول المتقدمة على حساب دول الهامش "المتخلفة" وتوضح هذه النظرية، كيف تستطيع الطبقة الحاكمة في دول المركز، اختراق دول الهامش، والتأثير على سياستها عن طريق وسائل متعددة كالشركات الدولية للنشاط، ومؤسسات التمويل والاقتراض،والقضاء على الزعماء،

(1) المرجع نفسه . ص: 91.

اهتمام هذه النظرية حول دور الطبقات الوسيطة بين الرأسمالية الخارجية والقوى الإنتاجية في المجتمع في تكريس عمليات الاستغلال في مجتمعات الهامش عن طريق سيطرتها على جهاز الدولة وهو ما يتيح لها صلاحية استخدام سلطة الدولة، بما في ذلك السيطرة على المدخولات والمصروفات من خلال علاقتها بالمصالح الأجنبية.

الفصل الثاني

أبعاد دراسة الثقافة الحضرية

إن اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة البناء الاجتماعي لمجتمع ما، هو الكشف عن خصائصه العامة و طبيعته الحضارية. و للحديث عن التحضر في الجزائر لا بد للرجوع إلى الجذور التاريخية لظهور تجمع بشري يحمل السمات الحضرية، و هذا يكون مشروطا بنشأة أول المدن في الجزائر و التي تعود إلى عهود قديمة. و عملت عوامل عديدة على انتشارها و تطورها و هذا ما سيكشفه لنا الفصل الموالي.

أمّا عند مجيء عهد الأتراك، فلم يعمل العثمانيين إلاّ على تطوّير المدن الساحلية وهذا كان متعلقا بالقدر الذي يضمن بقاء حكمهم وسلطتهم ولم تكن هذه المراكز الحضرية إلا قواعد لعمليتهم البحرية "ونظرا لعدم استقرار الحكم العثماني، استفحل القحط، وحدثت مجاعات رهيبة وتقلص نشاط الملاحة البحرية، وهذا مما أثر سلبا على المبادلات التجارية، وبذلك فقدت العديد من المدن العليا شأنها بعدما تلاشى دورها التجاري والصناعي"(١).

ومع بداية الاحتلال الفرنسي، بدأت تتضح معالم التوسع الحضري حينما شرعت السلطات الاستعمارية في إقامة المستوطنات التي كانت في بداية الأمر على شكل قواعد عسكرية لتتحوّل إلى مراكز عمرانية بعدما استولوا على أخصب الأراضي ووزعوها على المستوطنين الجدد.

وقد تميّزت هذه المرحلة بالتوسع الكبير للمدن لتواجه الزيادة السكانية الكبيرة الناتجة عن زيادة عدد المستوطنين الأوروبيين بفضل هجرتهم المكثفة إلى الجزائر خاصة بين سنتي 1886 إلى 1954 لما كانت تحتاجه الإدارة الأوروبية من عمال وموظفين لإنشاء العديد من المستوطنات في هذه الفترة، هذا إلى جانب هجرة السكان المحليين بعدما تطوّرت القاعدة الاقتصادية للمدن وذلك بإقامة صناعات مستثمرة من طرف الفرنسيين. وقد تمركزت ورشات صناعية في مدن الساحل على وجه الخصوص لتمكنهم من وضع حلقة وصل بين الجزائر كبلد مصدر لمواد أولية وفرنسا كبلد مصنع لهذه المواد.

أمّا من الناحية العمرانية فالمنشآت التي أقيمت من طرف الفرنسيين داخل النواة الحضرية التاريخية أصبحت تشكل عمرانا متميّزا ذو طابع مرفولوجي أوروبي خالص، "وبذلك أصبحت المدن الجزائرية ذات الطابع التاريخي في الجزائر تمتاز بظاهرة الثنائية الحضرية المتمثلة في تداخل، وتجاوز السنويات الحضرية القديمة التي تفتقر إلى الخدمات الحضرية، والتي يسكنها الجزائريون، مع الإمدادات الحضرية الحديثة ذات الطابع الأوروبي والمخصصة للمعمّرين بحيث يمكن التميّز داخلها بين مدينتين متباينتين في تركيبهما المورفولوجي والاجتماعي"(٢).

فقد عرفت المناطق الريفية هجرة واسعة إلى المدن بفضل البطالة التي عرفها الرّيف الجزائري، فكانت المدن بمثابة جذب لهؤلاء الأفراد الذين كانوا يودون العمل،

(١) ناصر الدين سعيدوني – مقالات في تاريخ الجزائر الديوان الوطني للمنشورات الجامعية – الجزائر – 1984. ص: 110.

(٢) Henin Stéphane, Aménagement rural en Algérie – Encyclopédie Universalis CD - ROM 2000.

هذا إلى جانب عمليات التهجير الجماعي التي قام بها الاستعمار الفرنسي بعد الاستيلاء على الأراضي الزراعية وطرد السكان الجزائريين خاصّة بعد تصاعد الثورة.

فنستخلص مما سبق أن التحضر ظاهرة قديمة عرفتها الجزائر التي كانت لها علاقة مع أشكال الاستعمار التي تعرضت لها على مر التاريخ، وقد تطوّرت خلال الاستعمار الفرنسي الحديث لها حيث كان له علاقة بنمو عدد السكان الحضر في المدن وخاصة الساحلية منها بعد إنشاء موانئ ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمصالح الاستعمارية ممّا استمرّ بعد الاستقلال وذلك بعد وضع خطط تنموية ساعدت على توسيع نطاق التحضر.

ب- عوامل التحضر في الجزائر:

تعددت العوامل التي أثرت في عملية التحضر في المدن الجزائرية منها ما هو تاريخي، ومنها ما يرتبط بالتغير الاقتصادي. وظهور الصناعة ومنها ما هو اجتماعي وعلاقته بتصاعد حدّة النزوح الرّيفي وهو ما انعكس على ارتفاع السكان.

1- الصناعة:

تظهر أهمية الصناعة في تدعيم ظاهرة التحضر في الجزائر من خلال التطوّر الكبير التي أحدثته في القاعدة الاقتصادية للمدن، وما صاحب ذلك تطوّر في الخدمات. فقد تميّزت العديد من المناطق بإنجاز وحدات صناعية كبيرة متوسطة وصغيرة، إذ أن بعض المدن الصناعية ارتقت إلى ولايات وفقا للتقسيم الإداري الذي حوّلها بدوره إلى مدن خدمات متعدّدة الوظائف. وهي مدن تتجانس فيها الصناعة مع باقي الاستخدامات الحضرية داخل النطاق العمراني للمدينة وخارجه وكذلك نجد أنّ بعض المصانع تقع داخل النطاق العمراني أي داخل النسيج الحضري، وهناك مناطق صناعية جديدة أو حديثة تقع عادة على أطراف المدينة والمناطق السكنية.

2- الهجرة:

الحركة هي من الضروريات في الحياة، يمكن أن تعرف كالانتقال من نقطة إلى أخرى أو من وضع إلى آخر. فمختلف أنواع الحركة متعلقة مع مختلف الأسباب: كالتنقل للعمل، للرحلات، للاستكشاف... على كلّ حال فإن عملية الحركة بالنسبة للفرد لا يمكنها أن تتعدى القرائن الاجتماعية أو التاريخية أين تدوّن، هذه القرائن تجتمع في أشكالها الاقتصادية، والجغرافية، والرّمزية، والسيكولوجية... في مكان ما وزمن ما[1].

---

(1) Mireille Meyer et autres , Des migrants et des villes mobilité et insertion. Travaux et documents de l'I.R.E.M.A.M N° 6 Aix en Provence 1988. P: 109.

ظاهرة الحركة كما يسميها البعض، والهجرة كما يسميها البعض الآخر تؤثر على شخصية الأفراد وبالتالي المجتمعات،والأماكن،والمواطن، ومهما يكن سواءامتعلقا بالأماكن الحضرية، الوطنية، الدولية، ذات الطبيعةالسكنيةالعملية أواليومية، فالفرد يبقى دائما سببا ومصدرا للتغيّر. بما أن الأفراد يعيشون في تجمعات سكنية داخل حدود جغرافية معينة، فيمكنهم أن يكونوا مختلفين سواء في اللغةأوفي العاداتأوالتقاليدأوفي نمط التنظيم، وكذلك في نظرتهم لمن يحيطون بهم[1]. لأنّ كل مجتمع له توسعته السوسيوتاريخية الخاصة به ومما لاشك فيه أن الهجرة في إفريقيا تعكس التحوّل الذي أصاب البناء الاجتماعي والاقتصادي التقليدي، فضلا عن كونها تمثل العامل الرئيسي في تشكيل الطبقات الاجتماعية الجديدة. وقد لخّص الباحث الاجتماعي الألماني "رودولف شتفنهاجن – Rodolfo Stvenhagen" خصائص هجرة العمال في: [2] أنّ المهاجرون يتألفون من ذكور بالغين، يجري تشغيلهم بوجه عام لفترة ما حيث تتكرّر هجرتهم عدة مرات في حياتهم (الريفية) قاطعين بذلك مسافات بعيدة من أجل حصولهم على هذا العمل. كثيرا ما تحدث هذه الهجرات على مدى واسع، لدرجة أنّها تسبب اضطرابات بين سكان المدن والأرياف.

ويعرفها آخرون: "بأنها إحدى الظواهر الديمغرافية المميزة لبلد ما، وهي فيما عدا الزيادة الطبيعية تعد المصدر الوحيد في تغير سكانها"[3].

كما تتميز الهجرة في البلاد النامية بأنها تعد ذات اتجاه واحد من الريف إلى المدينة، ولهذا فهي تتسبب في مشاكل عمرانية في ضواحي المدن مثل نمو الأحياء القصديرية والتلقائية، وما يترتب عليها من مشكلات عديدة، لأن الهجرة إلى المدينة تؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة و تقلل من عدد الأيدي العاملة في الزراعة، وتؤدي إلى ازدحام المراكز الحضرية بالسكان الأمر الذي يعوق البناء الاجتماعي عن أداء وظائفه الأساسية[4].

إن الجماهير الريفية الجزائرية عرفت منذ الاستعمار بالإضافة إلى عملية الأرض المحروقة، عمليات أخرى كالعيش في تجمعات بعيدة عن أراضيها فعاشت فيها أنواع الفقر والحرمان المصحوبين بالضغط والإرهاب.

إن سياسة التفقير التي انتهجت من طرف السلطات الاستعمارية، والتي تأسست على قاعدتها البرجوازية الكلونيالية في الجزائر، كانت من أهم الأسباب التي حولت

---

(١) Mireille Meyer et autres .O.P Cit. Page : 111.

(٢) د. محمد السويدي- بدو الطوارق بين الثبات و التغيير ، دراسة سوسيوأنثربولوجية في التغير الاجتماعي – Alger O.P.U 1986. ص: 169

(٣) د. فتح محمد أبو عيانة. السكان والعمران الحضري، دار النهضة العربية بيروت. 1984. ص: 38.

(٤) د. محمد السويدي ، المرجع السابق. ص: 170.

السكان الأصليين إلى "جيش متنقل" كما كان يسميهم المعمرون، ووصفهم أحدهم "بالتجمع الفريد من المنبوذين من مختلف الأصول، يعيشون مجموعات وزمرا، سكان أصليون اقتلعتهم نزع الملكية من أراضيهم وممتلكاتهم ورمي بهم البؤس على قارعات الطريق"(١).

كانت هذه الحركة السكانية نتيجة لأسباب الفقر والبؤس التي لحقت بالفلاحين وكان الهدف من هذه الهجرة في أغلب الأحيان هو البحث عن العمل.
وهناك دراسات أجريت في مجال الهجرة حيث توضح لنا نتائجها أن الفرد الجزائري يغادر وطنه من أجل عدة أسباب كالدراسة،والعمل،والصحة و الزواج. ولكن ما يتجلى لنا من هذه البحوث أن العمل هو العامل الأساسي للهجرة.

ومن خلال رجوعنا قليلا إلى الوراء في تاريخ المجتمع الجزائري، يتجلى لنا بوضوح، صفات وخصائص المجتمع الجزائري التي تعبر عن بنيته الزراعية العميقة التي تعبر وتكشف عن نفسها اليوم من خلال الفئات الاجتماعية الفلاحية العريضة المتبلترة مساهمة اليوم في عملية التنمية وبناء مجتمع جديد.

تنقسم الهجرة إلى نوعين داخلية وخارجية، وكلا النوعين عرفته الجزائر في فترة الاستعمار أو بعدها، ولازالت تشهدها إلى غاية الساعة.

- فقد عرفت المراكز الحضرية في الجزائر موجات مكثفة من الهجرة الريفية نجمت عنها امتدادات عمرانية جديدة معظمها على أشكال أحياء الصفيح BIDONVILLE والبناء الفوضوي العشوائي مما نجمت عنه ظاهرة ترييف المدن الجزائرية إضافة إلى الضغط على المرافق، وعدم كفاية الخدمات كالسكن، التعليم، الصحة، التموين...

- إن الهجرة الريفية تحدث نتيجة عوامل وتتمثل في قوى طاردة من الأرياف كالأوضاع الاقتصادية الصعبة وتفشي البطالة، وضعف الخدمات العامة كالصحة والتعليم، أما القوى الجاذبة لهؤلاء الريفيين هو توفر فرص العمل بالدرجة الأولى إلى جانب الارتفاع النسبي للأجور والمستوى المعيشي في المناطق الحضرية، وجود وسائل الترفيه حيث "أن الجمعيات و النوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة"(٢).

ارتبطت أسباب النزوح الريفي بالعهد الاستعماري إن المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة للهجرة نحو المشرق، فالسنوات التالية تعتبر كمعالم بارزة في تاريخ

(١) عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر ـ المؤسسة الوطنية للكتاب 1979 ص : 451.
(٢) أبو قاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي دار المغرب الإسلامي بيروت – ج 5- ط١- 1998 ص: 313.

الـهجرة [1830-1832 –1854– 1860 – 1870- 1875 – 1888- 1898-1910 – 1911]. ونعرف أن سنة 1911 قد شهدت هجرة غير عادية نتيجة فرض التجنيد الإجباري حيث كان بعض الحكام الفرنسيين يرخصون بالهجرة أحيانا من الجزائر لأسباب مختلفة، من ذلك الكثافة السكانية وفقر السكان بعد انتزاع أراضيهم(1).

عرفت الجزائر نزوحا ريفيا مكثفا بعد اندلاع الثورة التحريرية نتيجة لعمليات التشريد ولعل استمرار موجات النزوح الريفي في الجزائر بعد الاستقلال مرتبط بسياسة التنمية الاقتصادية والاجتماعية "كما تعود أسباب النزوح الريفي الحضري، إلى أسباب وعوامل كعدم توفير وسائل الحياة الضرورية بالأرياف كالكهرباء والطرق، والمرافق الصحية، والهياكل التعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية والامتيازات التي تحظى بها المناطق الحضرية"(2).

3- العامل الإداري:

- ساهم التقسيم الإداري في الجزائر في خلق الكثير من المراكز الحضرية و ما تصاحبه من صلاحيات، إذ أن القانون الجزائري يعطي صلاحيات واسعة وهامة للمجموعات المحلية كالبلديات والدوائر والولايات وهذا ما ينعكس بصورة واضحة على عملية التحضر ونمو المدن إذ أن هذه الهياكل تقوم بعمليات تنموية وإحداث تجهيزات في المراكز الحضرية.

وهكذا يلعب العامل الإداري، دورا حاسما في تطور عملية التحضر وما ينتج عنه من إدارات وهذا ما يزيد في الوحدات الحضرية وبالتالي عدد السكان الحضر.

جـ- مشكلات التحضر في الجزائر:

طرحت حركة التحضر في الجزائر عدة مشكلات اقتصادية وديمغرافية و اجتماعية يمكن حصرها فيما يلي:

1- الهيمنة الحضرية:

ظلت معظم المدن الجزائرية، تنمو حتى وقت قريب بطريقة عشوائية وفوضوية مما أدى إلى تدعيم الهيمنة الحضرية، بفعل استقطاب المراكز الحضرية للمشروعات الصناعية والهياكل الاجتماعية والثقافية.

(1) المرجع السابق ،ج5 ص 478 ، ج6 ص: 313.
(2) عبد اللطيف بن أشنهو – الهجرة الريفية في الجزائر – المطبعة التجارية - الجزائر 1986 ص.ص: 12,11.

وبدأت الدولة في تنظيم نطاقها الحضري عن طريق إنشاء مراكز حضرية في الداخل والصحراء و اتباع خريطة تنموية جديدة ومدققة. ولكي تحقق توازنا نسبيا بين مختلف مستويات الهرم الحضري.

2- مشكلة الإسكان:

تعيش معظم المدن الجزائرية اليوم، أزمة سكنية حادة بفعل النمو الحضري السريع، تحت ضغط موجات النزوح الريفي – الحضري"ولعل سبب تفاقم هذه المشكلة يعود إلى نموذج التنمية الذي تبنته الدولة الجزائرية في منتصف الستينات"(١). ويمكن تفسير العجز في الإسكان ليس فقط زيادة معدلات النزوح الريفي –الحضري وإنما بارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية. ومن الأسباب الأخرى التي ساهمت في مشكلة السكن، تغير نمط الأسرة من العائلة الممتدة La famille Extensive إلى العائلة النووية La famille nucleaire–(٢) ولذلك زاد الطلب على السكن وتضاعف الضغط على المرافق العامة والخدمات الاجتماعية في الحضر.

وأصبحت قضية الإسكان تشكل محور اهتمامات الدولة، حيث أن الدولة تكلفت بتمويل، إنجاز وتشجيع البناء والجهود الذاتية، وتشجيع الادخار الوطني وإنشاء البنك الوطني للإسكان إلا أن مشكلة الإسكان بقيت دائما موجودة.

فقد واجهت المراكز الحضرية في الجزائر صعوبة في النمو إذ كان من أجل تلبية الحاجات الملحة فرض نمو مشارع العمران مما أدى بالقضاء على الأراضي الزراعية التي كانت تمثل مخزنا للمدينة.

د- تنفيذ المخططات التنموية في الجزائر:

تعمد بلدان كثيرة إلى وضع خطط تنمية اقتصادية واجتماعية لها أهداف محددة، وتنفذ خلال فترات معينة بغرض تأدية أهداف معينة وهو توفير حياة أفضل للمواطنين واللحاق بركب المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا والوصول بالمجتمع إلى مصاف المجتمعات الحديثة(٣).

بهذا تصبح التنمية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتغير الاجتماعي وعلى هذا الأساس يمكننا ملاحظة العلاقة الموجودة بين التنمية والتغير الاجتماعي من خلال الآثار التي

---

(١) Cherif Rahmani . Croissance Urbaine en Algérie O.P.U. Alger – 1982. P 264.

(٢) Djilali Benomrane –crise de l'Habitat –perspectives de développement Socialiste . SNED 1980. P :173.

(٣) د. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التعبير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990. ص: 97.

وضعتها خطط التصنيع التي أدت إلى التغيير في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، هذا التحول كان نتيجة حتمية لعملية التصنيع التي ساهمت في الإسراع في عملتي النزوح الريفي والتحضر، وأمام هذا الواقع الجديد وجد الفرد الجزائري نفسه في دوامة ملؤها التحوّلات التي فرضتها عليه عملية التغيير الاقتصادي تحوّل من عالم زراعي تقليدي إلى عالم صناعي عصري.

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان العالم الثالث ظاهرة الاستعمار وكانت ظروفها سيئة و تحت سيطرته، هذا ما أدى بالجزائر أن تخوض سبيلا مخالفا للاستعمار الذي جعلها تعي واقعها المضطهد. وفي هذا يقول حميد تمار: إن الاحتلال الفرنسي يعتبر تسلطا خارجيا مرفوضا من طرف الشعب الجزائري، فالوجود الفرنسي مكث الوقت الكافي من أجل تفتح البلد من الداخل نحو الثقافة الغربية...

واتجهت الجزائر نحو التنمية لتجاوز التخلف الاقتصادي في إصدار مواثيق وطنية توضح الأبعاد السياسية والاقتصادية للتنمية والتصنيع بالجزائر فبدؤوا بتأميم كل الثروات الطبيعية التجارة الخارجية البنوك واعتبار الزراعة كقاعدة للتنمية، واعتبار القطاع الصناعي كأساس لتدعيم القطاع الزراعي[1].

إلا أنّ ميثاق الجزائر لسنة 1964[2]، اعتبر فيه التصنيع ظاهرة مغايرة للصناعة التقليدية، باعتباره له أهداف، كإنشاء أقصى ما يمكنه من الوظائف بقدر ما تتحمله المؤسسات.

- تلبية حاجيات الاستهلاك المحلي.
- توفير الأسواق الجديدة للمنتوجات الزراعية مما يساعدها على النمو. إن التغيرات التي عرفتها الجزائر سنة 1965 غيرت التصوّر التنموي للبلاد وظهر ما كان غامضا. وبعد مرحلة من الاستقرار السياسي والتنظيم مبنية على قاعدة تنموية محددة تمثلت في سلسلة من التأميمات، وظهر القطاع الصناعي العام الذي يعتبر القاعدة الأساسية لتنفيذ المشروع التنموي، إن الاستراتيجية التنموية الاقتصادية عبر المنهج الجديد استلزمت بالدرجة الأولى، وضع وإعداد سلسلة من المخططات.

فسنة 1966، تعتبر سنة تحضير المخطط الثلاثي (1967-1969) فتلاه المخطط الرباعي الأول (1970-1973) فالمخطط الرباعي الثاني (1974-1977) وأخيرا المخطط الخماسي (1980-1984)[3].

---

(١) Hamid Temmar . Stratégie de développement indépendant. le cas de l'Algérie OPU 1983 P 10.

(٢) د. محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير –المرجع السابق. ص: 5.

(٣) Guide d'Algérie - SNED. 1988.Page 07

ولإنجاز هذه المخططات خصّصت الدولة أموالا باهضة من أجل الإسراع في عملية التنمية.

أصبح التخطيط إحدى السمات المميّزة لعصرنا الحاضر ولا شك أنّه أسلوب علمي يضمن تخليص البلاد من المشكلات التي ترسبت وتراكمت عبر السنين[1]، فهو أسلوب تنظيمي يهدف إلى تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية وذلك لتحقيق أهداف المجتمع. وغايته، بما أن المجتمعات في تغيّر مستمر فإنّ التغيّرات تطرأ على مكونات الحياة الاجتماعية والثقافية. والاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصانع، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات[2].

وإثر تطبيق المشاريع التنموية استفادت منطقة الغزوات كغيرها من المدن الجزائرية بإنشاء مصنعين الأول يتمثل في وحدة صناعية للتحليل الكهربائي للزنك سنة 1974 والثانية وحدة الخزف الصحي التي أنشأت سنة 1976 بضواحي المدينة.
بالإضافة إلى موقعها الإستراتيجي وإطلالتها على البحر الأبيض المتوسط على طوال ساحل قدره 50 كلم. والذي ساهم في عملية الاستيراد والتصدير من أجل تدعيم الصناعة والاقتصاد.

إنّ التطوّر كان دائما سنّة الحياة، ونلمس هذه الخاصية في نشأة مدينة الغزوات و أصولها المتباينة، فقد ساهمت في تأسيسها جماعات بشرية مختلفة تعود إلى عهودغابرة حيث انعكس أثر هذه الاحتلالات على نموّ عمران المدينة. على طول الوادي حتى وصل الساحل وكذلك في تطوّر الميناء وازدهار نشاطه التجاري. فيقول "كانال – Canal": "المدينة (الغزوات) مبنية على طول الساحل لتوانت أمام شاطئ رائع يقع فوق منحدر رطب"[3]. فهذا الشاطئ لم يعد موجودا اليوم بعدما أسس الميناء وازدادت أهمية المدينة الاستراتيجية بعد الحملة الفرنسية حيث اتخذتها مركزا ومقرّا لجيشها.

فلقد شهدت مدينة الغزوات تحوّلات اجتماعية وثقافية مرتبطة بالمسار التاريخي لنشاط الاقتصادي للمدينة[4]، وكذا المشاريع الحضرية المنجزة في الميدان فتحوّلت من مدينة قائمة على نشاط الصيد البحري وانتشار ثقافة بحرية في أوساط السكان إلى مدينة صناعية مع بناء مؤسسات صناعية ذات تكنولوجية عالية.

---

(١) د. محمد السويدي- المرجع نفسه . ص.ص : 5-6.
(٢) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد- دار الفكر – دمشق. 1985 عن ط 1979. ص: 61.
(٣) Canal, Les villes de l'Algérie. Nemours. Paris. 1888.Page 319
(٤) مراد مولاي الحاج. الغزوات في ظل التحولات السوسيوثقافية ، مجلة إنسانيات. مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية- وهران – الجزائر. العدد: 5 ، ص: 46-47

ومن الظواهر الجديرة بالبحث، مرحلة التغيير البنائي وعلاقتها بالتغيّر الاجتماعي لهذا المجتمع الناتجة عن المشاريع التنموية الاجتماعية والاقتصادية وما لها من آثار مست بعلاقات الأسرة ومستوى المعيشة وطرق التعليم وحركة السكان واستقرارهم وكذا العادات...

ثانيا: التطور العمراني و البشري لمدينة الغزوات

أ- الموقع الجغرافي والطبيعة المناخية:

1-الموقع:

الغزوات مدينة ساحلية تقع في شمال غرب الجزائر، في سفح جبال -ترارا- تشكل في موقعها العلاقة ما بين الساحل وباقي البلاد، تبعد عن مقر الولاية تلمسان بـ 75 كلم. تمتد على مساحة 228 كلم^2 [1]. يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، جنوبا تيانت، ومن الجنوب الشرقي ندرومة ومن الغرب السواحلية ومن الشرق دار يغمراسن. أما عدد سكانها فقد بلغ 20 785 نسمة سنة 1966، وارتفع إلى 64,573 نسمة في آخر إحصاء سنة 1998.

إن قطاع الصيد البحري والقطاع الفلاحي يعتبران من أهم موارد معيشة السكان بالإضافة إلى قطاع الصناعة، ومن الملاحظ أن مدينة الغزوات تحتضن ميناء يعتبر من أهم موانئ الصيد البحري بالغرب الجزائري وأصبح يساهم بدوره بصفة فعالة في النمو الاقتصادي للمدينة وذلك بفضل نشاطاته التجارية التي تتوسع شيئا فشيئا. فبعدما كان يعرف بميوله نحو الصيد البحري، يتوجه اليوم نحو الصناعة بفضل الإمكانيات التي بدأت تتوفر بالناحية. "فكان الميناء يمثل بالنسبة للاقتصاد الوطني نقطة وصل مع الخارج من خلال تصدير السلع المغربية من جهة، ومن جهة أخرى من خلال تصديره المعادن من مناجم العابد"[2] وبحكم موقعها الجغرافي الهام تتوفر مدينة الغزوات على إمكانيات معتبرة جعلت العديد من المستثمرين الخواص يهتمون بها وينوون إقامة مشاريع مختلفة تمس كل القطاعات.

وما يجب الإشارة إليه أنه رغم الإمكانيات الهائلة لمنطقة الغزوات وكذا الجهود المعتبرة للمصالح المحلية في مجال تحسين وجلب رؤوس الأموال الخاصة من اجل

---

(١) Pdau – Phase3. Année 1995. P : 2.

(٢) Djilali Sari. Ghazaouet , les mutations socio-économique et spatiales en Algérie. OPU Alger edit 1993 page 310

الاستثمار فإن النتائج لم تبلغ المستوى المطلوب وذلك لعدم فتح الخط البحري باتجاه إسبانيا وكذلك عدم تكريس مشروع منطقة التبادل الحرّ.[1]

- الأحوال المناخية:

يعتبر المناخ من العوامل الهامّة والمؤثرة في نشأة أي مدينة ونموّها. وهذا خاصة بهندسة مبانيها وطرقها التي تتأثر إلى حدّ ما بدرجات الحرارة والرطوبة والأمطار واتجاهات الرياح. لذلك كانت دراسة المناخ ضرورية في بادئ الأمر من أجل تخطيط المدينة واتجاه عمرانها، وأخذها بعين الاعتبار قبل الشروع في اختيار أسلوب البناء اللازم ونمط عمرانها.

- **الأمطار:**

إنّ مناخ الغزوات متأثر جدّا بعدّة عوامل: كما طالها من الواجهة القبلية على البحر الأبيض المتوسط وخلفها المحمي من جبال ترارا في الجنوب.
والجدول التالي سوف يوضح لنا ارتفاع نسبة الأمطار في فترتين مختلفتين[2]

الشهور / المدة	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	حسب السنة
1938-1913 **25 سنة**	19	42	59	61	58	44	45	39	31	10	1	1	410
1978-1972 **6 سنوات**	72.6	31.4	14.8	60.6	33.48	51.3	80.5	75.5	13.2	3	0.5	0.5	436.12

يخضع نظام المطر في الغزوات لنظام البحر الأبيض المتوسط ويتفق ذلك مع فصل الشتاء وسقوط الكميات من الأمطار بينما فصل الصيف يتميز بالجفاف. والجدول يعطينا قيمة المعدلات للأمطار للفترتين المذكورتين وهذا لا يمنعنا من الذكر أن المناخ ليس مستقر وارتفاع الأمطار يمكن أن يكون متغيرا من سنة إلى أخرى ومن شهر لآخر، ومن خلال اعتمادنا على شرح هذا الجدول نلمح أن مناخ الغزوات يميزه فصلان:

(١) المصدر: دائرة الغزوات في حوصلة النشاطات لسنة 1998.

(٢) Pdau. OP. Cit. P : 5.

فصل ممطر يبدأ من شهر سبتمبر حتى أفريل على أمطار قصوى وصلت حتى 80.5 ملم في الفترة ما بين 1972-1978 و 61 ملم في ديسمبر من الفترة الممتدة من 1913 إلى 1938.

وفصل جاف يبدأ من ماي إلى شهر أوت. ومعدّل سنوي لا يفوق 36ملم في كلتا الفترتين.

بصفة عامة إنّ مناخ الغزوات وكمية الأمطار المسجلة تخضع لمتغيرين اثنين هما: المتغيّرات الفصلية والسنوية. ولا شك أنّ هذا التذبذب الحاصل في كمية الأمطار عبر سنوات مختلفة راجع إلى تأثر المدينة بحركة الكتل الهوائية والانخفاضات الجوية التي تحدث في مختلف فصول السنة، خاصة في نصف السنة الشتوي منها ومثل هذه الملاحظة تنطبق أيضا على كلّ شهر على حدّة.

- **الرياح:**

إنّ تردّد الرّياح وحدّتها وسرعتها وحتى حرارتها، لها أثر بالغ ومعتبر على نمو النباتات وتتحكم بشكل كبير في نظام سقوط الأمطار ومن الصعب أن نحّدد اتجاه الرّياح في مناخ متغيّر كهذا، وحتى موضع المدينة له أثر في كمية تحديد اتجاه وقوة الرّياح.

ومن خلال المعلومات التي استقيناها من محطة الأرصاد الجوية الكائنة في الغزوات، أنّ الرياح الشمالية هي التي تتغلب على هذه المنطقة وأمّا أثرها على حصيلة كمية الأمطار تبقى بدون معنى والسبب هو علاقتها بالرطوبة.

أمّا الرّياح الشمالية فهي رياح تهب خاصة في فصل الصيف، ويتضح أنّها نسيم فقط وذلك راجع لضعف حدّتها. إنّ الرّياح في فصل الصيف تهبّ في اتجاهين اثنين جنوبي، وجنوبي غربي، وهي الرياح الغربية والشمالية الغربية الرّطبة، جدّ متردّدة وشديدة ولها أثر بالغ على حصيلة كمية الأمطار الشديدة التي تعرفها المنطقة. وعليه، فإنّ موقع الغزوات المحمي بجبال ترارا يجعل المدينة محمية من عوامل ريح الشلوق (Sirocco)حيث نرى تردّده ضعيفا وقليلا.

- **الحرارة:**

إنّ أولها يلاحظ على درجة الحرارة في مدينة الغزوات هو أثر التلطيف البحري الذي يحدّ من ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف شأنه في ذلك شأن المحطات الساحلية التي لا تمثل أي اختلاف رئيسي يؤدي إلى انخفاض درجة الحرارة فيها إلى ما دون الصفر

والجدول التالي يمثل لنا معدلات درجة الحرارة في الغزوات :

الشهور / السنوات	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت
1972	20.40	18.44	15.91	12.40	12.36	13.81	13.02	15.11	15.81	19.05	22.10	22.42
1973	////////	18.08	15.74	12.48	12.07	11.57	12.11	13.77	17.00	20.17	23.12	////////
1974	22.56	17.85	15.13	12.17	12.90	12.42	13.02	14.15	17.62	20.66	23.11	24.05
1975	////////	18.82	////////	13.47	13.04	13.07	13.77	14.42	16.05	19.56	24.19	////////
1978	21.57	17.51	14.66	15.74	12.39	14.91	13.77	15.04	16.07	18.56	22.16	22.78
المعـــدل	21.51	18.14	15.36	13.25	12.55	13.51	13.15	14.49	16.51	19.60	22.93	23.11

من خلال تحلينا لهذا الجدول يمكن استنتاج ما يلي:

في فصل الشتاء تبقى درجة الحرارة لطيفة، ونادرا ما تنزل إلى أقل من 12 درجة.م. ويمكن أن تصل إلى 15.74 درجة.م. كما هو الشأن في شهر ديسمبر 1978.

في فصل الصيف الحرارة المسجلة في الشهور الأكثر دفئا تتعدى 24 م°. وهذا مما يدل على اعتدال مناخ الغزوات وانتمائه إلى فصل البحر المتوسط.

ولما كانت المدينة تحتل موقعا هاما على البحر فلا شك أن هذا الموقع قد أثر تأثيرا واضحا في تلطيف حرارة لمدينة وعلى العموم، لابد لنا من الإشارة إلى أن درجات الحرارة يمكنها أن تتعدى في بعض فصول الصيف إلى 39 ° م و 0 °م في الشتاء.

ب- أصول نشأة مدينة الغزوات:

1- الغزوات في العهود القديمة:

لو تغيّر الزمان واختلف المكان ورجعنا إلى هذا المكان لنعرف أصل حكايته نجده يحكي عن قصته في كلّ زمان، قصّة مدينة الغزوات والتي هي ثمرة إنشاء مقرّ عسكري فرنسي مؤقت سنة 1844[1] من أجل التدعيم المادي للجماعات التي تنشط على الحدود الجزائرية المغربيةوآنذاك، أعطي لهذه الرقعة من الوطن لسم "نمور - Nemours"، وهذا على شرف الأمير والابن الثاني "للويس فيليب"* والملكة "أميليا" وهذا بحكم ملكي موقع بباريس في ديسمبر 1846 ونفد في 15 فبراير 1847.

إذن فما أصل تسميتها بأدفراتراس التي أعطي لها وما أصل الأسماء الأخرى التي دعيت لها ما دامت المدينة لم تنشأ إلاّ في 1844؟

تعدّ مدينة الغزوات من بين المدن العريقة التي غطتها العديد من الأحداث التاريخية التي غيّرت أو أثرت إلى حدّ ما على ثقافتها والعادات والتقاليد التي عرفت بها، ويعود ذلك لجذورها التاريخية العتيقة التي اجتاحتها العديد من الحضارات بموجبها غيّرت من مجرى حياة شعوب هذه المنطقة. فعندما تتصبّ أعين من شاهدها، يلمس فيها البعد التاريخي وقدم نشأتها، فآثارها لا تزال شاهدة على تلك الجذور الضاربة في تاريخها الحضاري.

ومن أهم هذه الآثار بقايا حائط لالة غزوانة التي يطوقها وكان الحاسم في مناعتها، وآثار معركة سيدي إبراهيم والنخلة التي خاضها الأمير عبد القادر أمام القوات الاستعمارية وكذلك وجود آثار المدينة التي لم تندثر وهي مدينة "تونت" العتيقة.

فمند عهد بعيد كان خليج الغزوات محطة لفتت الأنظار وركزت انتباه البحّارة والمكتسحين الغزات الذين تعاقبوا عبر حقبات زمنية من التاريخ.
جميعهم مند الوهلة الأولى جذبوا بموقعها الجغرافي المميّز وكذلك محاسن صورة خليجها الخاص والمتميّز الذي أهدى ملجأ حسنا لقوارب القدماء.

---

(1) Nemours : B.C.E.O.M. Equipement urbains Octobre 1959, P : 3.

* Duc de Nemours, deuxième fils de Louis Philippe et la Reine Emilie.

وإذا تحدثنا عن المدينة القديمة لا نتحدث عن غزوات اليوم، فالمدينة نفسها لم تنشأ إلاّ مع قدوم الفرنسيين أمّا المدينة القديمة فآثارها باقية على قمّة الجبل في الجهة الشرقية للمدينة الحالية.

فمن خلال البحوث القديمة التي أجريت عن المنطقة توصّلوا لخلاصة أن "منطقة الغزوات ونواحيها كانت ومند أبد بعيد معمورة من شعوب مجهولة أو إذا صحّ القول لم يعرف أصلها. وذلك لما وجد في نواحيها من حفريات وأدوات استعملت من طرفهم"(١).

الفنيقيين(٢) ممّن تبين لهم آثارا ما بين مدينة الغزوات وبني صاف تقلع على أنهم قد حطّوا الرّحال في المدينة العتيقة وربّما كذلك اليونانيون.

أمّا الرّومان فكان لهم الفضل في تأسيس مقرّ "أدفراتراس - Ad-Fratres"(٣) وتعني هذه التسمية نحو الأخوين نسبة إلى الصخرتين العظيمتين الموجودتين بالقرب من الميناء والتي يدعونها اليوم بالأخوين أو "Les deux frères" وهذا الإسم يعود حسب بعض المؤرّخين إلى القرن الرابع(٤).

وهكذا فشاطئ الغزوات قد جلب أعين شعوب قديمة وكانت أولا مرسى للرّومان القدامى.

وفي هذا الصدد كتب أحدهم "كلّ مرّة أينما عثر الفينيقيون أو الرّومان على رأس قرن بارز تضم مساحة أو خليجا صغيرا محميا من الرّياح أو شبه جزيرة منعزلة تضم شاطئ صغيرا شيدوا منشأة صغيرة، وهكذا كان الساحل مقرّا لهم وقرى ضمّت شعبهم"(٥).

و يضيف "ماكارتي – Mac Carthy": "ماذا يهمنا وأننا نجد دائما الصخرتين في مكانهما ويحملان نفس التسمية الأخوين، الصخرتين التي عرفت بها هذه المحطة"(٦).
هذه التسمية المعطاة مسبقا لهاتين الصخرتين الرّمزيتين المنتصبتين وسط الخليج على ارتفع 24 مترا عن مستوى البحر، استعملت بعد ذلك للإشارة للمحطة

(١) Bulletin de la SOC de GEO et D'ARCH. Tome XLV. Page : 278.

(٢) Bulletin de la SOC de GEO et D'ARCH. Tome XLI. 1935. Page : 35.

(٣) IBID. Page : 38.

(٤) F. Llabador Notice historique sur Nemours et Touent depuis l'antiquité jusqu'à l'arrivé des français.mars 1935, Page : 8.

(٥) E. Cat. L'Algérie nouvelle, Revue hebdomadaire n°23. Juin 1900. Page : 47.

(٦) Mac Carthy in Bulletin de société. Tome 56. Fasc 199. Année 1953. Page : 8.

الرومانية والذي بدون أي شك موجودة على مرتفعات توانت. أمّا القبائل التي كانت تقطن منطقة "أدفراتراس"، في عهد الاحتلال الروماني لإفريقيا، كانوا يدعونهم بـ "les Herpiditanes" وكانوا يسكنون جبال تزارا، بلاد بني زناسن، بلاد مسيردة، السواحلية والجبالة.

في رأس الجبل الشرقي للمدينة وعلى ارتفاع 130 متر قامت قرية "تاونت" الأمازيغية التي هي غرض دراستنا اليوم، ذكر إسم "تاونت" من طرف البكري خلال القرن 11، وصفها على أنها ميناء محمي من طرف حصن وصومعة للمسلمين[1].

شكل البازالت تاجا حول قمة جبل تاونت وانصب على شكل صخور عالية انحدرت على سطح البحر. لقد كانت تاونت طبيعيا محميّة من الجهة البحرية ويمكن الوصول إليها من الجهة القبلية حيث كان يغطي الطريق المنحني المؤدي لها ببعض النباتات البرية والشجيرات الشائكة.

ولكن ما هو معنى تسمية "تاونت"؟ كما يلاحظ هي كلمة أمازيغية وتعني في الجهة الوسطى من الغرب الأقصى "بالحرير" أمّا في بلاد "سوس" فهي تعني "حجر"[2]. من جهة أخرى أعطيت معاني عديدة؛ عين، رؤية، حاجب وحتى مركز ترصّد، والمعنى الأخير كان الملائم لتسمية تاونت التي تسود خليج الغزوات. اسم تاونت لا نجده في مؤلفات الجغرافيين العرب القدامى قبل القرن الحادي عشر، وأول ما ذكر هذا الإسم هو أبو عبد الله ابن عبد العزيز البكري وفي هذا الصّدد يصفها على أنّها "تاج يطوق ذاك الجبل المحاط بالبحر من ثلاث نواحي، ولا نصل إلى هذا المكان إلا بصعوبة ومن الجهة الشرقية فقط... يشغله قبيلة بربرية تدعى بني منصور وكذلك نجد منجما للكحل. " Antimoine" ويضيف إن سكانها يمتلكون حدائق من شجر التين يجفف قسم منها تحت أشعة الشمس لكي تباع في البلدان المجاورة" [3].

أثناء الحكم التركي أعطي لها اسم جَمَاعَة الغَزَوَات ويدّل على تاونت. فكانت هذه القرية المعلقة فوق رأس الجبل وهذا الشاطئ الجميل محطّة للقراصنة البربر لكي يختفوا عن أنظار البحارة المارين قرب هذا الساحل، ومن ثم كانوا يستولوا على أملاكهم.

عند عودتنا لكتاب "لابادور" والذي يعدّ دراسة مونوغرافية دقيقة لمدينة الغزوات حيث يصف فيه بالتدقيق جميع مظاهر الحياة وحتى السكان فيقول: "سكان تاونت مركبين من مختلف الأجناس فمنهم البربر، العرب، الأندلسيين المطرودين من

(١) F. Ilabador. Monographie illustrée, Nemours, Alger, 1948. Page 172.

(٢). IBID. Page 178.

(٣).IBID Page 178.

إسبانيا، الأتراك...، وعند سقوط الظلام، كانوا يشعلون النار، لكي يجلبوا السفن العابرة من هناك ويستولوا على ممتلكاتهم ونسائهم، فمنهم من يتزوج منهن وأخريات تستخدم كجواري... رجالهم يرتدون ملابس نقية، هيئتهم ليست كهيئة العرب، ونساؤهم لهن في طبائعهن نوعا ما من التدلل والتطرف، نجد فيهن شبها من الإسبان والإيطاليين..." ويقول أيضا: "هذا العفش من الخراب وهو يتحدث عن هذه القرية هو عش من مراكب للقراصنة يعطي ويفر لهؤلاء الجريئين مأوى استغنوا من غزواتهم في البحر الأبيض المتوسط..."(١).

على كل حال، شاطئ جماعة الغزوات لم يشغل من قبل الفرنسيين إلا في سبتمبر 1844 هذا التاريخ الذي اختاره "اللواء لامورسيار - Général Lamorcière" كمنطقة مؤقتة لإعالة جنودهم على الحدود المغربية(٢).

بعد معركة سيد إبراهيم سنة 1845 (٣)، سكان تاونت الذين ساهموا في هذه المعركة وأين قتل "DE Montagnac" بدؤوا بالرحيل خوفا من إلقاء القوات الفرنسية القبض عليهم. مدّة بعد هذه الواقعة طلب سكان تاونت مرّة أخرى الرّجوع إلى مساكنهم، فردّ عليهم الجنرال بيجو، بنفسه، أنهم طالما كان لهم يدّ وخيانة للفرنسيين في معركة سيدي إبراهيم ومساندتهم للأمير عبد القادر فليس لهم الحق في العودة وقاموا بهدم منازلهم وهكذا انتهت قصة تاونت مع القضاء على القرية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر فما نراه حاليا إلا الأطلال القائمة كآثار تاريخية.

وهكذا شد سكان القرية الرّحال نحو القرى المجاورة مثل سيدي عمرو، أولاد زيري والسواحلية(٤).

2- المدينة في العهد الاستعماري:

مدينة الغزوات أو نومور. كما كانت تدعى لم تنشأ إلا في 1844 بعد العديد من التردّدات، لم يكن في نوايا الحكام الفرنسيين إنشاء مدينة في وادي غزوانة، والسبب كان فقط إنشاء محطة عسكرية مؤقتة لتزويد عساكر فرنسا على الحدود المغربية الجزائرية بالمؤونة.

---

(١) IBID. P.P 189-190.

- Extrait des lettres de : Lieutenant Colonel De Montagnac, lettre d'un soldat, Djemaa Ghazaouet le 6 septembre 1844 à son oncle Bernard de Montagnac.

(٢) F. Ilabador. OP Cité. Page 193.

(٣) IBID. Page 196

(٤).IBID Page 197.

فالمدينة حديثة النشأة على أثر صدور القرار الملكي في 24 ديسمبر 1846 لإنشاء مدينة على طول ساحل يقدر بـ تسع مائة متر من الشرق إلى الغرب محمي من الجهتين بجبلين ومن الجنوب ببساتين وحدائق من شجر التين والعنب(١).

نمت الغزوات في بداية عهدها على شكل بلدة صغيرة تمتد على الضفة، واستقر بها بعض الجنود والعساكر الفرنسيين، وأول خيمة وضعت، كانت في أربعة سبتمبر 1844 وهي للقائد (De Montagnac) مؤسس هذه المدينة وبعض عساكره، وبعد ذلك عرفت المدينة قدوم بعض المزارعين والتجار الفرنسيين والأجانب.

ولما كانت الغزوات تتميّز بموقعها الجيّد، فقد كان لها الأثر في اجتذاب عدد كبير من سكان المناطق المجاورة وكذلك من أوربا. وبذلك أخذت الحياة العمرانية تتطوّر والمدينة تنمو وتتوسع على طول وادي غزوانة حتى وصل عمرانها طول الساحل البحري الذي بدوره له مكانة هامة في التجارة والصيد بجانب الزراعة وتربية المواشي. وأصبحت المدينة تنعم بقسط وافر من الثراء والرخاء تبعا لوظائفها الزراعية والبحرية واعتبارها منفذا تجاريا لمنطقة تلمسان في الداخل، وإحاطتها بصور متين من كل جانب وأبراجها حصينة وعالية توفر الحماية لسكانها الزيادة السكانية الهائلة التي عرفتها المدينة كان لها علاقة مباشرة مع التطوّر الهائل الذي عرفه الصيد البحري والتجارة البحرية خصوصا بعد بناء مرسى الغزوات.

ويذكر أنّه في جانفي 1846 أي ستة عشر شهرا بعد قدوم الفرنسيين وصفها أحد القادة الفرنسيين أنها عبارة عن بعض الأكواخ من صفائح اللوح تناثرت فوق الساحل الرملي الواقع بين الجبلين وعلى إحدى هاذين الجبلين ومن الجهة الشرقية آثار القرية، ووصفها كذلك بـ "La puce vile" أو "Planche ville" لأنّها كانت من الخشب فقط(٢).

ووصفها "ألكسندر دوماس – Alexandre Dumas" الكاتب المشهور إثر زيارة له في 27 نوفمبر 1846: "إن جماعة الغزوات بدأت في التطوّر وكذا في الاستيطان فنرى هناك منازل جديدة فوق الساحل"(٣).

وابتداءا من 1855 حدث تطوّر وتغيّر في شكل المدينة واستبدلت الأكواخ بالمنازل التي بنيت بالحجر ومن خلال الإحصاء لسنة (1854-1855) كان بالمدينة 28 منزل معظمهم من طابق علوي(٤).

---

(١) O. NIEL, Géographie de l'Algérie : Nemours.bulletin de société de géo et de l'arch Oran .tome XLV P : 495.

(٢) F. Ilabador. Op Cit. P : 443.

(٣) IBID. P : 444.

(٤) IBID. P : 445.

في هذه الحقبة الزمنية لم تكن للمدينة الشكل التي هي عليه الآن والطرق نفسها لم تكن قد خطت من طرف المهندس العسكري. فنجد المرافق الأولى للمواطنين الفرنسيين، سوق، كنيسة (أو مكان للعبادة) ساقية في وسط المدينة وبعض المنازل على طول وادي غزوانة، ثكنة عسكرية، ساعة في وسط المدينة ومع 1862 بدؤوا في غرس الأشجار وسط المدينة على طول جانبي الشارع الثاني الموجود في وسط المدينة.

مع 1865، شرعوا في بناء كنيسة جديدة لم ينتهوا من تشييدها إلا مع حلول 1867، وفي السنة الموالية وضع مخطط جديد للمدينة من طرف المهندس العسكري، في هذه السنة شيد مقر للشرطة وبدأت المدينة تأخذ شكل المدينة الاستعمارية. ولا ننسى أن سنة 1872 قد عرفت تشييد العديد من المباني الحالية ومن بينها، المستشفى العسكري وبدأت المدينة تأخذ روح المدن الأوروبية وفي هذا الصدد يقول أحدهم: "شوارع نمور هي مستقيمة ومتوازية وتؤدي إلى مكانين مختلفين، الأول لساقية بنيت بالرخام، والأخرى تؤدي إلى مديرية الجمارك، جهة الميناء وثكنة البحارة،أو إلى باب تاونت، الموجود في شرق المدينة، وإلى باب ندرومة في غربها... الكنيسة، هذه المنشأة الغاية في الجمال قد أخذت طابع روماني"[1].

وبدأت المدينة في التوسع والاستيطان في نواحي الوادي، وبعد ذلك وخاصة في فترة ما بعد الحربين في الضواحي الأخرى من الجهة الشرقية. وأن تطوّر المدينة كان دائما له علاقة بتطوّر الصيد ومصانع التمليح وخصوصا بعد بناء المرسى[2].

تقريبا جميع المباني العمومية تتواجد في الوسط الشرقي للمدينة:

- دار البلدية.
- ثكنة الدرك.
- المستشفى.
- مصلحة البريد والمواصلات.
- المحكمة.
- قسم الشرطة.

أمّا الثكنة العسكرية فهي متواجدة في الجنوب الشرقي للمدينة. أمّا المحطة فتتواجد في وسط المدينة على اليسار على طوال وادي غزوانة.

والميناء متصل بالسكة الحديدية.

إنّ المدينة نفسها تتوسع على حولي 7 هكتارات بها خمس شوارع رئيسية.

---

(١) IBID. P : 451.

(٢) Nemours- Octobre 1959. Op Cit. P : 3.

3- النظام الهيكلي لمدينة الغزوات بعد الاستقلال إثر وضع المخططات التنموية:

تقوم مدينة الغزوات بوظائف متعدّدة تلبّي حاجات ومتطلّبات سكانها وإنّ التطوّر العمراني والبشري الذي مرّت به هذه المدينة عبر فترات عديدة، أدى إلى ظهور نوع من الخلط الشديد في تركيبها الداخلي واختلاف في وظيفة مناطقها المختلفة، حيث تحوّل بعضها من أماكن تجارية إلى أماكن سكنية والبعض الآخر تحوّل إلى أماكن صناعية.

ومن خلال دراستنا للخرائط التي وضعت للمدينة، نرى أنّ المدينة القديمة أو قلب المدينة بقي على ما هو عليه منذ أن وضعت مخطط لها، وتوزيع النشاطات والمساكن والمباني وكذلك تخطيط الشوارع والخرائط* القديمة والحديثة تشهد على أنّ قلب المدينة بقي على ما هو عليه إلاّ ذلك التغيير الذي حصل في بعض المباني حيث قام أصحابها بإعادة بنائها.

ويمكن تقسيم التركيب الداخلي للمدينة إلى خمس مناطق رئيسية:
1- المناطق التجارية.
2- المناطق الصناعية.
3- مناطق الخدمات.
4- الميناء.
5- المناطق السكنية.

• المناطق التجارية:

تمثل التجارة إحدى الوظائف الرئيسية لأي مدينة . وبالنسبة لمدينة الغزوات وبفضل موقعها على البحر ونشاط مينائها أدّى بهذه المدينة إلى جلب العديد من الجماعات البشرية مما أدى إلى نموّها وامتدادها وتوسعها. تتمركز التجارة في هذه المدينة، في قلب مدينة الغزوات نفسها. فمنذ نشأتها وتخطيط المدينة من طرف المهندس العسكري الفرنسي نجد أنه قام بوضع سوق مغلق * في وسط المدينة، إضافة إلى وجود العديد من المتاجر التي كانت للتجار الفرنسيين واليهود، وبعد الاستقلال، أصبحت هذه المتاجر نفسها ملكا للسكان، وأصبحت تقام سوق أسبوعية في وسط المدينة على امتداد الشارع الأول. شارع الشهداء. وفي السبعينات، وإثر الهائل الذي عرفته، المنطقة والزيادة في السكان الراجعة لعوامل عدّة كالنزوح الرّيفي من أجل العمل وكذلك الاستقرار نرى أنّ التجارة التي كانت مركزة في وسط المدينة، انتقلت نوعا ما إلى الأحياء المجاورة والتي أصبحت امتداد للمدينة نفسها وهذا إثر وضع

• أنظر في الملاحق.
• أنظر مخطط لسنة 1851

مشروع تنموي في حي الرملة وذلك بإنشاء حي سكني تجاري به محلات تجارية تلبي حاجات المواطنين من مأكل، ملبس، مواد تجميل ومواد كهر ومنزلية. وما نلاحظه كذلك هو رواج السلع الأجنبية كما هو الحال في جميع المدن الجزائرية. وما نلاحظه أيضا أنه ليس هناك فرق بين المنطقتين التجاريتين القديمة التي تقع في وسط المدينة والحديثة الواقعة في حي الرملة. فكلتا المنطقتين تقوم على تلبية الحاجات لجميع سكان الغزوات دون استثناء.

- **المناطق الصناعية:**

ظهرت الصناعة في الغزوات في بداية الأمر على شكل حرف وخدمات صناعية، ووجود مصانع صغيرة للمعمرين الفرنسيين خاصة بتصبير السمك، وحرف تقليدية بسيطة ذات الصلة بالمطالب الحياتية للسكان مثل غزل الصوف. وما ساعد المعمرين على إنشاء هذه المصانع الصغيرة لتصبير السمك يرجع إلى الميناء وجود ثروة سمكية هائلة، وكذلك التصدير للخارج ومن أمثال هذه المصانع نجد: مصنع "بيتزني- Pitzini" لتصبير السمك، وقبو لصنع الخمر "البيس – Besse" وكذلك شركة للحفر والردم لبناء الميناء وتوسيعه "لبيس" كذلك.

وبعد الاستقلال وإثر ظهور مشاريع تنموية آنذاك، قامت المنطقة بمشاهدة إنشاء أهم مصنعين هما مصنع الحديد والصلب والآخر مصنع الخزف الصحي الواقع على بعد بعض الكيلومترات في غرب المدينة أما المصنع الأول فقد شيد في سنة 1974 والثاني في 1976.

وضمن هذه الاستراتيجية التي انتهجتها الجزائر في السنوات التي تلت الاستقلال، عرفت مدينة الغزوات تغيرا صناعيا كبيرا مستفيدة في ذلك ببعض العوامل ومنها إطلالتها على البحر وتوفرها على ميناء ذي استراتيجية هامة وسهولة اقتنائها للمواد الأولية عن طريق البحر وعن طريق البر وذلك لتواجد سكة حديدية تربطها بداخل الوطن ومنجم العابد.

كما تحتوي المنطقة على منطقة صناعية موجودة على الطريق السريع الرابط بين الغزوات ويغمراسن ولكن لم تستغل لأنها لم تجد مستثمرين.

- **مناطق الخدمات:**

تعتبر مدينة الغزوات مركزا للعديد من المؤسسات الإدارية ويتركز معظمها في وسط المدينة القديم وبعض المؤسسات الأخرى المحيطة بوسط المدينة. ولذلك فمن السهل تحديد منطقة الخدمات الإدارية لأن تخطيطها في السابق كان يهدف إلى تركيز

هذه الخدمات في منطقة معينة وفي السنوات الأخيرة ويتوسع منطقة الخدمات شيدت مؤسسات جديدة في الشوارع المحيطة بوسط المدينة. وبما أنّ وسط المدينة يحتوي على ثلاث شوارع رئيسية يميّزها الطابع الطولي الموازي للبحر. فتوجد بها مختلف الإدارات المحلية، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات التعليمية والثقافية والمديريات، البريد والمواصلات، البنوك إلى جانب العديد من المحلات التجارية المتنوعة -كما أشرنا سابقا- وأهم ما يميّز هذه الشوارع الثلاثة هو أنّها تعتبر محاور رئيسية توصل بين وسط المدينة وأطرافها.

كما يقع مبنى البلدية والدائرة في الجنوب الغربي من المدينة، أمّا مصالح المياه والكهرباء في الجهة الغربية...

نجد في وسط المدينة مسجدين مسجد قديم وهو أول مسجد بالغزوات والثاني على نهاية الشارع الأول، و الدرك الوطني،وحديقة،والبلدية،ومفتشية التربية.

إنّ التغير التي عرفته مدينة الغزوات في جميع نواحيها وكذلك زيادة النسبة السكانية في هذه المنطقة كان له الأثر على حالة التمدرس في هذه المنطقة إذ أنّ الالتحاق بمقاعد الدّراسة بالنسبة للأطفال البالغين 6 سنوات هو من الشيء الضروري وذلك لما له علاقة بوعي الأفراد بأهمية التعليم لأبنائهم.

عرفت مدينة الغزوات إنشاء المؤسسات التعليمية منذ السنوات الأولى لإنشائها، و ولوج العديد من المعمرين الأجانب مع عائلاتهم إلى هذه المدينة، فكان لا بد من توفير التعليم لأبنائهم. فقد بلغ عدد الممدرسين في سنة 1857 خمسة و خمسون تلميذا. صعد إلى 354 تلميذا أثناء السنة الدراسية (1943-1944) .

آنذاك كان التعليم الابتدائي يقدم في خمس مراكز تعليمية؛ مدرسة البنين، مدرسة البنات، الحضانة، قسم لتعليم الفرنسية خاص للسكان الأصليين بقرية أولادزيري، و قسم آخر خاص لتعليم الفرنسية بقرية سيدي عمرو.

و الجداول التالية تمثل لنا حالة التمدرس في هذه المؤسسات التعليمية الخاصة بالسنة الدراسية (1943-1944).

مدرسة البنين : (١)

عدد الأقسام	الفرنسيين	المسلمين	الأجانب
7	150	109	05
المجموع	264 تلميذا		

مدرسة البنات : (٢)

عدد الأقسام	الفرنسيات	المسلمات	الأجانب
5	145	34	11
المجموع	190 تلميذة		

الحضانة : (3)

عدد الأقسام	الفرنسيين	المسلمين	الأجانب
2	72	32	03
المجموع	107 تلميذا		

القسم الفرنسي الخاص بالسكان الأصليين بقرية أولادزيري كان يضمن 36 تلميذا خلال السنة الدراسية (1940-1941).

القسم الفرنسي بقرية سيدي عمرو كان يضم 40 تلميذا خلال السنة الدراسية 1940-1941 .

و قد عرف التمدرس تغيراً على حسب التغيرات التي عرفتها مدينة الغزوات سواءا أثناء فترة الاحتلال الفرنسي أو الاستقلال و ذلك راجع إلى الزيادة الهائلة للسكان، فكان لا بد على الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال أن تلبي حاجات السكان من مأكل و مسكن و بدون أن ننسى حقهم و حق أبنائهم في التعليم.و قد بلغ عدد التلاميذ الذين يتراوح عمرهم ما بين 6 إلى 12 سنة في السنة 1994 – 1995: 5171 تلميذ أي 82.52% من العدد الحقيقي الذي كان يرجوه المسؤولون والذي قدر بـ 6266 تلميذ.

وأمّا توزيع التلاميذ والمعلّمين لهذه السنة فهو موضح كالآتي:

	عدد التلاميذ	البنات	البنين	عدد المعلمين	عدد الأقسام	النسبة	عدد التلاميذ في القسم الواحد
14	5171	2738	2433	207	196	26.38	29

من خلال الجدول نلاحظ أنّ عدد التلاميذ في القسم الواحد هو بنسبة 26.38 % يعني 29 تلميذ للمعلّم الواحد

- تحتوي بلدية الغزوات على أربعة مؤسسات تربوية للطوّر الثالث وحالة التعليم في هذه المؤسسة هي ممثلة كالتالي:

- عدد التلاميذ الذين نجدهم في مقاعد الدراسة بمقدار 2285 تلميذ أي نسبة 77.58%
- عدد الأقسام البيداغوجية 71.
- نسبة التلاميذ في القسم الواحد هو 32.18%.

- التعليم الثانوي:

تتمكّن المدينة على ثانويتين، لكن الإحصائيات التي بحوزتنا هي للسنة الدراسية 1994-1995 والثانوية الثانية لم تكن قد فتحت أبوابها.

ومن خلال بحثنا في هذه السنة الدّراسية نجد أن التمدرس في القسم الواحد هي نسبة 40.45% أي أنّ عدد التلاميذ الذين هم في صفوف الدّراسة هم 1335 بينما نجد أنّ عدد التلاميذ الذين يلزم أن يكونوا في صفوف الدراسة يقدر بـ 2098 يعني بنسبة 60.48%.

- التكوين المهني:

يوجد بمدينة الغزوات مؤسسة واحدة فقط للتكوين المهني وتتضمن خمسة عشر (15) فرعا.

أمّا عدد المتربصين بمعدل 743 من ضمنهم 11 فردا من الصحراء الغربية و 05 من المالي ومتربصان من السنغال،وبه فرع داخلي و أهم الفروع التي تدرس هي:

- النجارة،والسباكة،وكهرباء السيارات،والآلة الراقنة،والحلاقة،والمحاسبة...

الميناء:

لابدّ الإشارة إلى الدور الذي لعبته إطلالة المدينة على الشريط ساحلي مطل على الخليج الصغير والذي كان له الفضل في نشأة المدينة وتوسع العمران وبذلك نشأة وبناء الميناء الذي هو مركز النشاط التجاري للمدينة ومحور حياتها.

وعليه فإنّ أهم الاستخدامات التي يمكن تمييزها في منطقة الميناء المخازن والمستودعات لحفظ السلع المصدرة والمستوردة بالإضافة إلى دور السكك الحديدية ومجاورتها لمصنع الحديد والصلب. وينبغي الإشارة إلى أن معظم الاستخدامات تخدمها الطرق البرية والخط الحديدي ويتم توزيعها بواسطة هذه المواصلات على مختلف مناطق الجزائر.

المنطقة السكنية:

تمثل المنطقة السكنية في الغزوات الجزء الأكبر من الأرض المستخدمة لها. ومن الملاحظ أن مساحة هذه المنطقة قد زادت في السنوات الأخيرة بسبب حركة البناء المطردة وزيادة عدد المساكن والتقسيمات الإدارية الجديدة التي تعرفها المنطقة كغيرها من مدن الجزائر.

ويمكننا أن نلاحظ أن مدينة الغزوات ليس لها شكل معين ومحدّد وذلك راجع إلى عدم توسعها الغير متوازن. فيمكننا أن نتمثلها كيد مبسوطة، فوسط المدينة هو وسط اليدّ والأصابع هي ما يحيط بها وكذلك يلاحظ أن معظم مبانيها جديد ومشيد بطريقة جيدة وجميلة.

وما نلاحظه في نوعية البناء أن قلبها ذات طابع استعماري، وهنا كذلك مزيج من الطابع العربي الإسلامي وهذا ما نلاحظه في الأحياء المجاورة كسيدي عمروا

وأولاد زيري وحي الدرّار. إلى جانب البنايات المستحدثة التي تعرفها في السنوات الأخيرة. منزل صغير ذات شكل استعماري مستحدث تحيط به حديقة صغيرة.

وما يمكن خلاصته مما يلي أن جغرافية مدينة الغزوات حالت دون توسيع طبيعي لهذه الأخيرة، وبقاء الشبكة العمرانية محصورة في نطاق يكاد يبقى على حالته الأولى (قدم العمران)وضيق وسط المدينة الذي انشأ أصلا للسكان الأوروبيين،وانعدام المساحات الخضراء والحضيرات...

وهناك تحوّل تدريجي للنشاطات الرئيسية (الصيد البحري، مصانع المصبرات وفلاحة معاشيه) إلى صناعات ثقيلة ومتوسطة غير متلائمة مع النمط الاقتصادي التقليدي للمدينة، أمّا التلوث فأصبح الخطر الذي يدق ناقوسه. هذه الظاهرة الغريبة عن المنطقة التي هي في طبيعتها أكثر ملائمة مع تطوير لنشاط معاشي وصناعة تحويلية خفيفة. كما أنّ هذه الظروف ساعدت لظهور نشاطات تجارية بحكم أن المنطقة حدودية، الهجرة التي عرفتها المنطقة. وتأثرت الزراعة واشتد التخصّص في العلم والعمل وتقدمت وسائل المواصلات والاتصال فالغزوات لم تسلم كغيرها من المدن من التغير في النواحي الاجتماعية،والاقتصادية والثقافية...

جـ- سكان مدينة الغزوات:

تعتبر دراسة سكان المدينة ذات أهمية كبرى، نظرا لأنّها تسهل في فهم جميع الخصائص الطبيعية والتاريخية والوظيفية في الحياة البشرية التي تظهر عن طريق تفاعلها مع بعض، لكي تشكّل (وبوضوح) العلاقة المكانية التي تربط بينهما.

ولذلك سنتصبّ دراستنا في هذا الفصل بالدرجة الأولى على الجانب الجغرافي من موضوع السكان، مع تناول بعض الأسس الديموغرافية بالقدر الذي يفيد البحث.

ومن هنا سنعتمد في تحليل سكان مدينة الغزوات على بعض التعدادات التي أجريت تحت الإدارة الفرنسية أثناء العهد الفرنسي خاصّة في نمو السكان وتوزيعهم. على الرّغم من عدم دقة بعض المعلومات، نتيجة عدم تسلسل سلم التعدادات واختلاف أنواع وأحجام البيانات التي تشتمل عليها جداولها.

"فقد أجرى نحو 20 تقديرا وتعدادا خلال فترة الحكم الفرنسي للجزائر، كان أولها في يوم 15 ديسمبر 1843، تلاه الثاني في عام 1851 والثالث في عام 1856، ثم استمر إجراء التقديرات كل خمس سنوات حتى أدخل نظام السجلات الحيوية في البلديات لأول مرة في الجزائر في 23 مارس 1882، ومن ذلك التاريخ أصبح رجال الإحصاء الفرنسيون يعتمدون على سجلات الأحوال المدينة وعدد النفوس، حتى ظهر

أول تعداد في عام 1886 شمل كل تسجيلات النفوس والمدنيين والعسكريين بصورة صحيحة نسبيا"[1].

وفي بداية القرن العشرين بوشر في التسجيل وإجراء تعدادات السكان في الدولة من فترة لأخرى كل خمس سنوات، باستثناء تلك التي كانت تصطدم تواريخها مع فترات الحرب (الحرب العالمية الأولى، الحرب العالمية الثانية والحرب التحريرية) وأهم تلك التعدادات كانت لأعوام (1911، 1948، 1954) حيث كانت ناجحة ونشرت تفاصيلها في جداول خاصة بها.

وكان آخر تعدادات القرن العشرين تعداد 1966 وتعداد 1977 وهما يعتبران من أهم التعدادات التي استخدمت فيها الطرق والآلات الحديثة لجمع وتصنيف المعلومات حسب الطريقة الفعلية الراهنة التي تقوم بتسجيل العدد الفعلي للسكان الموجودين في مكان ما، وفي نفس اليوم الذي يجري فيه الإحصاء .فكان إحصاء 1966 ناجحا لحد ما وذلك رغم واقع الظروف التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة الحديثة من الاستقلال. ونظرا لبعض النقائص التي ظهرت حاولت الجهات المختصة معالجة تلك المشاكل التي جابهت تعداد 1966 بإجراء تعداد في عام 1976 تطبيقا لنصوص اللوائح في الجزائر على أن يجري تسجيل عام للنفوس مرة كل عشر سنوات خلال شهر ديسمبر من السنة إلا أنّه أجرى بعد الموعد المحدّد له بشهرين* بسبب ظروف معينة أدت إلى تأخير موعده ولم تنشر بياناته التفصيلية.

وقبل التعرّض لتحليل سكان مدينة الغزوات، يجدر بنا أن نلقي نظرة سريعة على الحملات البشرية التي توالت على المدينة منذ تطوّرها التاريخي حتى بداية عهد التعدادات وإبراز آثارها على بنية الغزوات.

1- نموّ سكان مدينة الغزوات:

لم تكن الغزوات في بداية نشأتها سوى بلدة صغيرة تقطنها بعض القبائل البربرية. كما كان لموقعها الاستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط أهمية كبرى في جلب أعداد من المهاجرين إليها من الخارج والداخل وذلك قصد التبادل التجاري مع دول العالم.

ثم استقرار الأوروبيين في مدينة الغزوات خلال مراحل مختلفة ومتسلسلة.خمسة وثلاثين يوما بعد استقرار الفرنسيين في المدينةوكان المقر العسكري لجماعة الغزوات يضم ثمانية وعشرين مواطنا فقط في سنة 1805، أصبحت هذه

(1) بشير مقيس – مدينة وهران – دراسة في جغرافية العمران – المؤسسة الوطنية للكتاب .ص.ص: 127-128.

* أجري تعداد 1977 في 12 فبراير من نفس السنة.

الرقعة تأوي 216 شخص من بينهم 24إسرائيلي، وفي السنة 1845 كانت مدينة نومور التي تأسست تحت الأميرال بتاريخ 24 ديسمبر 1846 تضم 498 مواطن. لكن في 1847 أصبح عدد سكانها 464 حيث كان في استراتيجية المعمرين الفرنسيين أن تكون العلاقات مع المغرب مساعدة على جعل هذه المدينة تجارية لكن النتائج كانت على العكس خصوصا بعد إلقاء القبض على الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1947[1].

وفي سنة 1852 عرف نمو السكان ارتفاعا ملحوظا حيث قدر بـ 746 مواطن من بينهم 525 أوروبي، فقد تنبأت الحكومة في تلك الآونة أن المنطقة ستعرف نموا في السكان في السنوات المقبلة وكان يخمّن أن يلحق مجموع المواطنين 1200 فرد لذلك كان لابدّ من وضع مشاريع[2].

وفي الجدول رقم 04 يمثل الإحصاء السكاني ابتداء من سنة 1846 إلى غاية سنة 1854 فنلاحظ من خلال النمو السكاني:

التعداد السكاني* (من 1846 إلى 1854)[3].

السنوات	السكان	الولادات	الوفيات	الزواج
1846	498	16	13	1
1847	465	15	///////	6
1849	///////	22	52	//////
1850	357	20	23	6
1851	372	21	18	4
1852	746	32	59	3
1853	1029	29	24	9
1854	600	35	27	4

وهناك قانون ملكي جديد أسس في 1858 حيث لابدّ من تأسيس مفتشية في مدينة نومور لكي تقوم بعملية إحصاء الأوروبيين حيث كانت الزيادة في السكان ملحوظة خاصة أن المنطقة تعتبر همزة وصل بالنسبة للمغرب الأقصى (طنجة) وهران والساحل الإسباني ولها أهمية بالغة بالنسبة للتجار وابتداءا من هذه الفترة عرفت التعدادات السكانية حركة ارتفاع جد ملحوظة كما هو ملاحظ في الجدول الموالي:

(١) F. Ilabador Op Cit. P : 379.

(٢) Ibid P :379.

* هذا الجدول خاص بالسكان الأوروبيين في هذه الحقبة الزمنية.

(٣) عدد سكان التعداد (1846-1854) مأخوذة من .F. Ilabador. Nemours. OP Cité Page : 381

السنوات	السكان	الولادات	الوفيات	الزواج
1858	800	45	36	5
1859	////	45	238	5
1860	985	55	37	8
1866	1745	39	39	6
1867	/////	53	24	11

نلاحظ خلال هذه العشرية أن العدد المرتفع للوفيات (سنة 1859، 238 وفات) وذلك أن المواطنين قد أصيبوا بوباء الكوليرا ففي سنة 1866، كانت نومور تظمّ 1745 نسمة من بينهم 466 فرنسي، 731 أجنبي، 107 إسرائيلي و441 مسلم.

ولكي نعطي لمحة خفيفة عن مدى نموّ السكان في رقعة نومور هذا الجدول سوف يوضح لنا أنّه في مدّة ثلاثين سنة مجموع السكان قد زاد ضعفه:

السنوات	الفرنسيين	الأجانب	الإسرائيليين	أهل بلدة (نمور)	السكان الإضافيين	المجموع
1872	514	590	56	478	////////////////	1638
1876	609	835	24	597	326	2391
1881	631	771	55	978	292	2727
1886	450	855	133	1052	279	2769
1901	806	343	161	2083	////////////	3348

الحركة السكانية ما بين (1872-1901)

جدول يمثل التعداد السكاني (1872-1901) الحركة السكانية بالنسبة للأجانب واستقرارهم.

في تعداد 1906 كان يبلغ سكان البلدة 4260 نسمة من بينهم 1523 أوروبي أما إثر فترة الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) فلوحظ تجديد في حركة السكان وذلك راجع إلى الأوضاع والمرحلة الصعبة المعاشة آنذاك ولكن على عكس الأوروبيين لوحظ زيادة في سكان البلدة الأصليين وذلك راجع لنزوحهم من الريف إلى المدينة وكذلك هجرة الإسرائيليين وذلك بسب تطويرهم للأعمال التجارية وكذا بناء الميناء والسكة الحديدية وبعض المعامل لتصبير السمك فكان لابدّ من اليد العاملة.

فالإحصاءات التالية أعطت ما يلي:

السنوات	الفرنسيين	السكان الأصليون	الأجانب غير الأصليون	الأجانب المسلمين	السكان المجاورون	المجموع
1926	1.799	4.392	556	180	431	7.358
1931	1.766	4.402	629	187	489	7.073
1936	2.126	4.594	222	114	459	7.515

-التعداد السكاني لسنوات (1926-1936)

مجموع سكان مدينة الغزوات الذي بلغ 12.800 نسمة في 1954 قد أصبح 18,000 نسمة في 1959 وهذا راجع إلى النزوح نحو المدينة من طرف السكان القرويين الذين كانوا يخشون العمليات العسكرية التي كانت تنشطها القوات الفرنسية[1].

لم تكن المدينة مبنية أصلا للسكان الأصليين (الجزائريين) ويبين لنا تاريخ المدينة أن نزوح السكان الأرياف الأكثر قوة كان بعد الاستقلال ثم بدأ تدريجيا بعد برامج التنمية الصناعية والتوسع العمراني فقد قدر عدد السكان لسنة 1977 ب 21.400 و قد تجاوز هذا العدد في تعداد 1987 نسبة 1.05% إذ قدر بـ 27,815 نسمة.

إنّ تطوّر السكان في هذه الحقبة الزمنية ضعيف جدّا ولقد عرفت الغزوات هبوطافي المجموع السكاني في الفترة الممتدة من 1977-1978 على الفترة ما قبلها الممتدة من 1966-1977 أي بنسبة 3.73% إلى 1.05%.

وهذا النقص الذي عرفته راجع إلى النزوح القروي و إلى مشكلة العمل والبطالة وكذلك إلى التجزئة الإدارية الجديدة (Le nouveau découpage Administratif

أمّا إثرالقيام بالإحصاء السكاني لسنة 1998 نجد أنّه قد قدّر بـ 32.811 نسمة.

ولهذا التأثر علاقة بعاملين أساسين الزيادة الطبيعية والهجرة والنزوح السكاني من الأماكن المجاورة إلى الغزوات وهذا لعدة أسباب، الأمنية منها التي عرفتها المنطقة كغيرها من مناطق الجزائر،أو المعاشيةأو المهنية...

(1) Nemours. B.C.E.O.M. Equipement Urbains Octobre 1959. P : 6.

خـــلاصـــــة الـــبـــــاب الأول

لقد احتوى الباب الأول على فصلين : تضمن الفصل الأول منه، تطور مسار البشرية و أهم التغيرات التي عرفها الإنسان ،حيث انتقل فيها من الحياة البسيطة التي كان يعتمد فيها كلية على نفسه و على أدوات بسيطة إلى حياة كلها تعقيد ،و من تم تبلور وضع الإنسان وتطور في معاشه و تفكيره.

فهذا الانتقال الذي عرفه المجتمع التقليدي إلى أخر متحضر، له علاقة بفكر الإنسان و حبه للتطور، فانتقل من الإنسان الأول الذي سكن الكهوف إلى آخر سكن القرى و بنى المدن، و لهذا التطور علاقة وطيدة بأهم التطورات التاريخية التي عرفتها البشرية و ما ساهمت فيها من نهضات و ثورات و اكتشافات و توسع في دائرة المعرفة لدى الأفراد هما انعكس على الفكر الإنساني من تحولات في جميع المستويات سواء العلمية و الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية وحتى العمرانية.

إضافة إلى هذا قمنا في هذا الفصل بتحديد و تفسير أهم المصطلحات التي تطرقنا إليها خلال هذا البحث ،لأن ذلك يساعد على توضيح الغموض الذي تعمل على التسهيل في فهم إطار الموضوع.

و قد تمثلت هذه المصطلحات في المحاولة بشرح مصطلح المدينة بما أن بحثنا هذا هو عبارة عن دراسة أنثروبولوجية لمدينة الغزوات، فقد قمنا بتحليل مصطلح المدينة من الجهة النظرية و تعريفها من منظور أنثروبولوجي، سوسيولوجي و لغوي.

بالإضافة إلى مفهوم الثقافة و البناء الاجتماعي بما أن الثقافة هي العملية التي يكتسب بها الفرد المعرفة و المهارة و الأفكار و المعتقدات و الأذواق و العواطف عن طريق الاتصال بأفراد آخرين مشكلا في ذلك بناء اجتماعيا و تنظيما العلاقات تربط الأفراد ببعضهم البعض ضمن جماعات بشرية تربطهم علاقات و روابط تنشأ عن طريق التفاعل و الاحتكاك فيما بينهم. ثم تطرقنا إلى مفهوم التغير الاجتماعي إذ يعد من اللمسات التي واكبت الإنسانية منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر، و هو بادي في جميع نواحي الحياة منها السلوكية،والعملية،والاقتصادية،...الخ. و إذا تحدثنا عن التغير الاجتماعي نتطرق إلى أهم مفهومين : الحداثة و التقليد، و لهذا عملنا على شرح هذين المصطلحين ثم تطرقنا إلى مصطلح التحضر بما أنه هو الآخر أحد السمات الهامة للتغير الاجتماعي لما له علاقة مع التصنيع و الهجرة نحو المدن.

و في آخر هذا الفصل تطرقنا إلى الاهتمامات الأولى للدراسات الأنثروبولوجية الحضرية وفكرة نشأة الفكر الأنثروبولوجي الأول و أهم الدراسات التي قام بها الباحثين مركزين بذلك على الجانب الميداني لإجراء المقابلات المتعمقة و الملاحظات المشاركة، و الأساليب المختلفة في استخدام الإحصائيات و العمل بها في الدراسات التي تجرى على مجتمع ما، مرتكزين بذلك على موضوعات مختلفة إضافة إلى موضوع المكان التي تجرى به الدراسة و دعمنا هذا باستعراضنا لأهم الإسهامات الفكرية لأهم المدارس التي قامت بدراسة التحضر و المدن.

أما في الفصل الثاني من هذا الباب فقد قمنا بإعطاء نبذة عن التحضر و النمو الحضري في الجزائر راجعين بذلك إلى الجذور التاريخية لهذه العملية و النمو التي عرفتها. المدن الجزائرية عبر حقبات زمنية مختلفة و أهم العوامل المؤثرة في هذا التغير، منها ما يرتبط بالتغير الاقتصادي كظهور الصناعة، و منها ما هو اجتماعي و علاقته بتصاعد الهجرة...الخ.

و ختمنا هذا الباب بتعريفنا لمدينة الغزوات الذي هو مكان إجراء الدراسة فقد قمنا بسرد تاريخ هذه المدينة، إذ تعتبر الدراسة التاريخية عاملا مهما لمعرفة أصول و ظروف نشأتها و تطور سكانها عبر العصور لما له أهمية في تسهيل فهم المجتمع الذي نحن بصدد دراسته.

الباب الثاني

مظاهر الثقافة الحضرية في مدينة الغزوات

الفصل الأول

الصفات العامة لعينة الدراسة

والكشف عن مظاهر التغيرات الاجتماعية و الثقافية في مدينة الغزوات، لا بد من إبراز أهم المواصفات التي تمتاز بها مفردات عينة الدراسة في مجتمع البحث و الوقوف على أهمها و هذا ما سنراه في الفصل الذي سنتطرق له.

الخصائص العامة لعينة الدراسة :

تمهيد:

لما كان هدف هذا البحث هو الكشف عن مظاهر التغيّرات الاجتماعية والثقافية للمجتمع الغزواتي، الذي نحن بصدد دراسته، فقد حاولنا في هذا الفصل، الوقوف على طبيعة التحضر كظاهرة مستحدثة في مجتمع البحث وما نحمل في مضمونها من تغيّرات اجتماعية سواء أكان ذلك بنائي أو وظيفي في كيان المجتمع وصولا إلى الحضرية باعتبارها أسلوبا عاما للحياة الحضرية الحديثة.

ومن خلال إستعراضنا للمدارس* النظرية المختلفة التي قامت بدراسة المدن، وتفسيرها للتحكم في ضوء حجم وكثافة التركيز السكاني باعتبارها مراكز مميزة للحضرية . وانطلاقا من مفهوم الحضرية، فالدراسة الحالية لا تأخذ الحجم والكثافة السكانية وزيادتها بل تتعدى إلى اعتبار الحضرية طريقة للحياة، وأبرزها طبيعية للتنظيم الاجتماعي والقيم وأنماط السلوك والتفكير.

إن أول سؤال يتبادر إلى أذهاننا ونحن نريد البحث عن مظاهر الثقافة الحضرية بمدينة الغزوات. من أين أتت هذه الجموع من الأفراد التي تشكل سكان المدينة؟ هل يمكن القول أن هناك وجود هجرة ثقافية وأثنية ETHNIQUE[1] أم أن الهجرة تتم من خلال أبسط مظاهرها ، وهي قدوم هؤلاء الأفراد من أجل هدف وفقط؟

أ) الأصول الجغرافية:

إن معرفة الأصول الجغرافية للعمال باعتبارهم أفرادا يعشون حاليا في المنطقة تعطينا فكرة عن انتمائهم ولهذا يمكننا الإجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هم من المدينة نفسها أم يعتبرون من النازحين من الريف أم هم من مدن جزائرية مجاورة؟ باعتبار أن المدن الجزائرية أصبحت اليوم أداة جدب لليد العاملة التي كانت بالأمس تمارس نشاطات زراعية وتركت أراضيها متجهة إلى المدن رغبة منها في العمل بالمصانع والحصول على مستوى معيشي رفيع وذلك بما توفره هذه المدن من رفاهية في العيش-(حسب ما يضنون) كتوفير المساكين،والخدمات الاجتماعية،والراتب الشهري المضمون نهاية كل شهر،والتعليم بالنسبة للأبناء،والتقاعد...

* ارجع إلى الفصل الذي يستعرض أهمية دراسة المجتمع الحضري. ص 19

(١) أثنية ETHNIQUE

وفي هذا الصدد يقول بورديو PIERRE BOURDIEU –"الفلاحون يتمنون كلهم وجود في الزراعة الفوائد المقترنة بالعمل الصناعي"[1].

ومن خلال التطلع على السجلات الانتخابية بالبلدية استطاع المسؤولون معرفة أهم التحولات على مستوى نسبة السكان[2] للمدينة، فمن خلاله نستطيع التأكيد على ارتفاع نسبة النزوح الريفي وقدوم السكان من مناطق أخرى بغرض العمل سواء في ميادين التصنيع، التعليم أو أعمال حرة...

ومن نتائج قيام المشاريع التنموية في الجزائر بصفة عامة وفي مدينة الغزوات بصفة خاصة، فقد لعب إنشاء المصانع دور فعال وجاء كنتيجة لهذه العملية، التغيير الاجتماعي والاقتصادي للبلاد إذ أن التصنيع "يشكل الركيزة الأساسية للمشروع التنموي الذي يستهدف تكيف الجزائريين " في تحويلهم إلى مواطنين عصريين[3].

جدول رقم 01 : توزيع أفراد العينة حسب الموطن الأصل

المواطن الأصلي	التكرارات	النسبة
مدينة الغزوات	30	30%
خارج مدينة (الريف)	45	45%
خارج المدينة (حضر)	21	21%
خارج الوطن	04	04%
المجموع	100	100%

تؤكد المعطيات الإحصائية التالية عملية النزوح الريفي إلى مدينة الغزوات والتي تبين لنا من خلال المعطيات أن الفترة الواقعة ما بين 1966 إلى 1978[4] هي الفترة التي نشطت فيها الهجرة نحو المدينة حيث تبين معدلات الهجرة في هذه الفترة أكثر من غيرها.

حاولت الدراسة أن تقف أمام الدوافع التي حتمت على الأفراد ترك محل سكناهم الأصلي حيث توصلت هذه الدراسة أن الرغبة في الحصول على فرص العمل تعتبر

---

(١)P.Bordieu et Soyed: le Déracinement et de minuit, Paris 1964- P 67

(٢) PDAU plan directeur phase 3 .1995 P3.

(٣) د. جمال غريد العامل الشائع، انسانيات 1-1997 ص 16

(٤) المصدر بلدية الغزوات

عاملا أساسيا لنزوح الأفراد إلى المدينة حيث بلغت نسبة من أكدوا هذا الكلام بـ 45% من القادمين من المناطق الريفية وبنسبة 21% من القادمين من المدن المجاورة وهذا ما يتفق مع ما ذهب إليه في سياق التحليل النظري. كما توصلت الدراسة إلى أن الرغبة في تعليم الأبناء كانت من العوامل التي أدت بهؤلاء الأفراد للنزوح كما يرجع الفضل لأهل، إذ أنهم ساهموا في عملية الجدب وتوفير شروط الاستقرار للمهاجرين.

2-الهجرة وأسبابها:

إن الهجرة كحراك اجتماعي، تعبر عن ردود أفعال قوية وذات أبعاد اجتماعية ونفسية واقتصادية، والفرد يلجأ إلى الهجرة عن وعي، لذلك تعتبر عملية هامة في حياة الإنسان ومسار تحوله. ومع ذلك يضل المهاجر مرتبط بموطنه الأصلي عاطفيا تاريخيا عضويا وحتى أخلاقيا.

ولمعرفة كيف استقر المبحوث بهذه المدينة طرحنا السؤال التالي: هل سبق لك أن هاجرت إلى مدينة أخرى و استقريت بها ؟.

جدول رقم 02 : يمثل أهم الأماكن التي قطنوها قبل الاستقرار في مدينة الغزوات

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
يقطنون منذ الولادة	19	19%
انتقلوا إلى الريف	04	04%
أبناء مغتربين	07	07%
انتقلوا إلى أحياء شعبية	03	03%
أحياء محيطة بالمدينة	04	04%
مدن محيطة بالمدينة	41	41%
مدن مجاورة (أقاليم حضرية أخرى)	29	29%
المجموع	100	100%

إن 19% , من مفردات عينة البحث كانوا يقطنون في مدينة الغزوات منذ الولادة و انهم لم ينتقلوا لأي مكان و استقروا به مدة، إلا من اجل مواصلة الدراسة أو من أجل تربص قصير المدى لم يدّعي منهم مدة الاستقرار وقت طويل في أية مدينة قصدوها من أجل ذلك .

وقد اتضح أن 04% من مفردات العينة قد كانوا يقطنون في مدينة الغزوات وانتقلوا للسكن بالريف في ضواحي مدينة الغزوات- والسبب يعود إلى بناء مساكن عائلية في هذه المنطقة أوالسكن مع الأهل أو بجوارهم أو ارث لبعضهم أوبناء سكن

بالريف نظرا لضيق المسكن الذي كانوا يسكنون به في الغزوات ولقدمه أو لأنه كان كراء وكان لا بد لهم من تركه.

7% من مفردات العينة هم من أبناء مغتربين جزائريين قد قضوا فترة من حياتهم في الغربة سواء في فرنسا أو المغرب ، وقد جاءوا لمدينة الغزوات قصد الزواج أو لا نهم رجعوا مع عائلاتهم واستقروا بها.

وما لا حضناه أثناء قيامنا بإلقاء الأسئلة أن 3% من هؤلاء الأفراد قد انتقلوا إلى مدينة الغزوات وسكنوا أحياء شعبية بالمدينة. و4% منهم انتقلوا إلى مناطق ريفية محيطة بالمدينة نفسها.

أعلى قيمة سجلت هي تلك الخاصة بالمفردات التي قدموا من الرّيف من اجل العمل والاستقرار بعائلاتهم وقد قدّرت بـ 41% وهم ينتمون على التوالي للمناطق التالية (تونان، جبالة، سواحلية، جامع الصخرة، البور، مسيردة، باب خروفة، تيانت).

أمّا الفئة الباقية والتي تقدر بـ 29% فقد قدموا من مدن أخرى. وتعتبر مناطق حضرية وهي كالتوالي (مستغانم، تلمسان، وهران، ندرومة، سطيف، العاصمة، سيدي بلعباس، بني صاف، مغنية، سكيكدة، عنابة، عين تموشنت). وعند قيامنا بالمقابلة، قد استخلصنا أن هؤلاء الأفراد، قد قدموا وسكنوا في مناطق ريفية (كالسواحلية والبور) ثم استقروا في المدينة أو في مساكن صناعية تابعة للوحدة ومنهم من أتى إلى المدينة مع بداية الأشغال لبناء الوحدة وبقي فيها، وتزوج واستقر، ومنهم من أتى مع والديهم، عند قدومهم للعمل في بداية السبعينات وبعدها، قد قام بالعمل هو كذلك بالوحدة أيضا.

- **الطابع القبلي للهجرة :**

يؤكد بعض الدارسين على الطابع القبلي أو الطابع للهجرة ؛غير أن دراسات حديثة أكدت أن هذه النزعة التي كانت تلاحظ في بداية الستينات قد بدأت تندثر.
فيما تعرضنا إلى كيفية الهجرة إلى مدينة الغزوات وكيفية الاستقرار، الآن سوف نطرح سؤالا آخر: هل لهؤلاء الأفراد علاقة بالموطن الأصلي أو الريف، وهل قاموا بتكوين صداقات، وهل هم حارسون على تبادل الزيارات كما في الريف أو في مراكز سكناهم؟

- جدول رقم 03 :علاقة الأفراد العينة بالريف.

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
وجود أقارب بالريف	40	%40
الأبوين	20	%20
الزوجة والبناء	150	%15
يملك بيتا عائليا	03	%03
يملك قطعة أرض	07	%07
حالات أخرى	15	%15
المجموع	100	%100

يتبين من خلال الجدول أعلاه علاقة أفراد العينة بالريف، فهم يحرصون على عدم قطع الصلة بالريف، حيث يتبين من خلال الإحصائيات التي استقيناها من البحث الميداني أن 40% من مفردات العينة توجد لهم أقارب بالريف. تليها نسبة 20% ممن يوجد لهم والديهم بالريف. أما من يوجد عائلاتهم النووية المتكونة من الزوجة والأبناء 15% من يملك بيت عائلي ويتردد عليه كلما أتيحت له الفرصة 03% ،ومن يمتلكون قطعة أرض 07% والباقي 15% هم من مفردات العينة من الحضر الذين ليس لهم أية علاقة بالريف. إن تحرك الريفيين إلى المدينة سعيا لتلبية الحاجات الاقتصادية لم يمنع هؤلاء المبحوثين بالاحتفاظ ببعض الصلات التي تربطهم بالموطن الأصلي، كاحتفاظ بعضهم بالأرض أو وجود الوالدين، أو لارتباطهم بأسرتهم، أو حتى بقاء أبنائهم وزوجاتهم هناك .

- جدول رقم 04 : وجود أقارب في المدينة وطبيعة العلاقة بهم:

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم		
يعيش معهم	20	20%
يسكن بجوارهم	10	10%
يتبادل الزيارات معهم	55	55%
مجموع نعم	85	85%
% من مجموع الكلي	85	85%
لا	15	15%
المجموع الكلي	100	100%

يتضح من خلال الجدول مدى ارتباط الأفراد في مجتمع الدراسة بالعلاقات القرابية حيث بلغت نسبة من لهم أقارب بـ 85% والأفراد الذين ليس لهم أقارب بجوارهم بـ 15% ورغم ما يبدو ومن انتشار علاقة القرابة باعتبارها سمة من سمات المجتمع إلا أن الدراسة الميدانية توصلت إلى أن طبيعة العلاقة القرابية تغيرت عما كانت عليه حيث لم تعد المشاركة في السكن بجوار الأهل من مقومات تلك العلاقة التي أصبحت تقتصر على تبادل الزيارات فقط. وقد أكد ذلك الإحصائيات المقدمة من خلال الجدول أعلاه حيث أنه قدر 20% ممن يعيشون مع الأهل ومن الملاحظ أن معظم لم يتزوجوا بعد من أفراد العينة مقابل 10% ممن يسكنون بجوار الأهل وتدل هذه النتيجة عن تغير طابع العلاقات القرابية واتجاهها نحو السطحية حيث لم تعد المشاركة في السكن أو السكن في الحي الواحد من مقومات تلك العلاقات بل أصبحت تقتصر على تبادل الزيارات.

إن معرفة الصفات العامة لعينة البحث لا يقتصر فقط على معرفة الأصول الجغرافية لهؤلاء وكيفية هجرتهم إلى مدينة الغزوات، بل فقد يتعدى ذلك إلى معرفة مستواهم المهني، العمر و الجنس ... وفيما يلي سوف نقوم بشرح هذه الصفات كالتالي.

- **جدول رقم 05 : توزيع أفراد العينة حيث المستوى المهني:**

المستوى المهني	التكرارات	النسبة
إداريون	35	35%
عمال مختصون	24	24%
عمال بسطاء	41	41%
المجموع	**100**	**100%**

اشتملت العينة على ثلاث مستويات مهنية، تمثلت بأعلى نسبة وهي للعمال البسطاء بـ 41% ثم للإداريين والإطارات العليا ب 35% ثم تليها فئة المختصين بـ 24%.

- **جدول رقم 06 : توزيع أفراد العينة حسب الجنس:**

الجنس	التكرار	النسبة
ذكور	89	89%
إناث	11	11%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول السابق أن أغلب أفراد عينة الدراسة من الذكور حيث بلغ عددهم 89% فيما لم يتعد نسبة الإناث 11% ويمكن تفسير نقص عدد الإناث في العينة أن عدد النساء العاملات في المصنع في مجال الدراسة قليل , إلى جانب أننا نريد إجراء الدراسة على أرباب الأسر.

- **جدول رقم 07 : توزيع أفراد العينة حسب العمر :**

فئات السن	التكرارات	النسبة
24-20	07	07%
29-25	08	08%
34-30	11	11%
39-35	12	12%
44-40	10	10%
49-45	28	28%
54-50	19	19%
59-55	05	05%
المجموع	100	100%

يتضح من الجدول أن مفردات العينة التي أقيمت عليها الدراسة تتركز في الفئات العمرية الواقعة ما بين 30-49 سنة والتي بلغت في مجموعها 61% وتمثل الفئة العمرية ما بين 45- 49 سنة أعلى نسبة في العينة 28% ثم تليها مباشرة الفئة 50-54 نسبة 19% بينما انحصرت باقي مفردات العينة في الفئات العمرية الأخرى.

كما يلاحظ من الجدول أن الهرم العمري لمفردات العينة يأخذ شكلا حادا في فئات السن ما بعد 54 سنة حيث بلغت نسبة الفئة العمرية 55-59 بنسبة 05%

وتدل هذه المعطيات على ارتفاع نسبة أفراد العينة ضمن الفئات العمرية من 45 سنة إلى 54 سنة، التي تمثل الفئة النشيطة والتي يقع على عاتقها الحياة الاقتصادية بالمدينة

- جدول رقم 08 : توزيع أفراد العينة حسب المستوى الدراسي:

المستوى الدراسي	التكرارات	النسبة
أمي	06	06%
ملم	02	02%
ابتدائي	25	25%
متوسط	16	16%
ثانوي	24	24%
جامعي	27	27%
المجموع	100	100%

من ملاحظة الجدول يتضح أن أكثر النصف تجاوز مستواهم التعليمي الثانوي والجامعي، والباقي لم يتجاوز مستواهم التعليمي الابتدائي والمتوسط أما الأميين فقدر بـ 06% والملمين بـ 02% فقط ومن الملاحظ أن اغلب أفراد العينة تركز مستواهم التعليمي بين الابتدائي الذي قدر بـ 25% و الثانوي بـ 24% والجامعي بـ27% والتي تعتبر أعلى نسبة فمن خلال هذا الجدول نلاحظ أن المستوى التعليمي لدى عمال الصناعة مرتفع نوعا ما.

- جدول رقم 09 : - توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية.

الحالة العائلية	التكرارات	النسبة
متزوج	70	70%
مطلق	10	10%
أعزب	16	16%
أرمل	04	04%
المجموع	100	100%

من خلال ملاحظة الجدول أن أغلب أفراد العينة من المتزوجين حيث بلغت 70% وقد بلغت نسبة الغير المتزوجين بـ 16%، ونسبة المطلقين بـ 10% وتليهم نسبة الأرامل بـ 04% والجدول بالملاحظة أن نسبة الأرامل من العينة هم من الإناث أما المطلقون فأغلبهم ذكور.

- **جدول رقم 10 : توزيع أفراد العينة حسب عدد الإبناء (ذكور + الإناث)**

عدد الأبناء	التكرارات	النسبة
بدون أبناء	24	24%
من 1-3	30	30%
من 4-6	41	41%
7 فأكثر	05	05%
المجموع	100	100%

يلاحظ من الجدول أعلاه أن أكبر الفئات يتمركز فيها عدد الأبناء من 4-6 أطفال حيث بلغت 41% تليها فئة من 1-3 أطفال بنسبة 30% أما الفئة الذي لديهم 7 فأكثر فقد شكلت 05% في حين تراجعت فئة من ليس لهم أطفال بـ 24% وهم من المتزوجين حديثا على وجه العموم أو العزاب.

وهذا ماله علاقة بالزيادة الطبيعية التي بلغت في مدينة الغزوات بـ 4,66% في 1988.(١)

- **جدول رقم 11 : توزيع أفراد العينة حسب عدد المقيمين من غير الأبناء:**

الفئات	التكرارات	النسبة
الزوجان	39	39%
الوالدان و الاخوة	40	40%
أكثر من أسرة زواجية	21	21%
المجموع	100	100%

كشفت الدراسات كما يتضح من الجدول أعلاه أن حجم الأسرة في مدينة الغزوات يميل إلى التوازن النسبي حيث بلغت نسبة الأسر النووية التي تشمل على الزوج و الزوجة و الأبناء 39% إلى جانب ذلك شملت الأسر التي تشتمل على الأقارب من الدرجة الأولى أي الوالدين و الأخوة غير المتزوجين، قد بلغت بـ 40% أي بفارق 1% بينما اتضح من البحث أن نسبة 21% تمثلت فيها خصائص الأسر الممتدة، حيث أنها تشتمل أكثر من أسرة زواجية وعلى أفراد من أجيال مختلفة (الجد، الأب، الحفيد) في أسرة واحدة وتدل هذه المعطيات أن شيوع الأسرة النووية *كنمط اسري بديل للأسرة الممتدة **الذي كان سائدا من قبل، وهذا ما يتفق مع الظروف الحضرية وظروف العيش بالمدينة، كما أصبح الضيق النسبي للوحدات السكنية يمثل اكثر

صعوبة أمام أية محاولة للاشتراك اكثر من أسرة واحدة في الوحدة السكنية وبالتالي حتمت انفصال الأسرة الزواجية عن الجماعات القرابية الممتدة وبالتالي التقليل من نسبة المقيمين بالأسرة.

- **جدول رقم 12 : توزيع أفراد العينة حسب العمل السابق (الأصول المهنية).**

العمل السابق	التكرارات	النسبة
صناعة	12	12%
زراعة	14	14%
صيد بحري	16	16%
إدارة وخدمات	21	21%
تجارة وأعمال حرة	10	10%
بطالة	09	09%
طلبة	14	14%
التجنيد	04	04%
المجموع	100	100%

من ملاحظة الجدول تبين لنا أن 16% من العمال كانوا يشتغلون بالإدارة والخدمات، فمنهم من كانوا بالتمريض وآخرون بالتعليم و سبب انتقالهم للعمل في المصنع يرجع للاستقرار في العمل أولا، ولأن بعد المسافة بالنسبة للأعمال التي كانوا يزاولونها سابقا- أما من كانوا يشتغلون بالصيد البحري فيقدر عددهم بـ 16% تليها الزراعة بـ14% في نفس الموقع مع نسبة الطلبة وقد بلغت نسبة من كانوا يشتغلون بالصناعة بـ 12% وهم من كانوا يشتغلون بنفس الوحدة منذ أن كانت الشركات الأجنبية والوطنية تقوم بتأسيسها.

أما نسبة من كانوا في حالة بطالة قبل حصولهم على منصب عمل فقد بلغت 09% من مفردات العينة.

ويستدل من معطيات الجدول أن الصناعة لم تكن تشتغل محور النشاط الاقتصادي لمفردات العينة ومع ذلك فإن هذه المعطيات تشير إلى أن المصنع استوعب عددا كبيرا من فئات مختلفة من المجتمع حيث فتح آفاق التشغيل.

ب- العلاقات الاجتماعية:

إن محاولة عن مظاهر العلاقات الاجتماعية من خلال تغير العلاقات القرابية وعلاقات الصداقة والجيرة بالإضافة إلى رضى هؤلاء الأفراد عن إقامتهم في المدينة ومدى علاقتهم بالموطن الأصلي.

- جدول رقم 13 : الحرص على تكوين صداقات وأنواعها:

أنواع الصداقات	التكرارات	النسبة
أصدقاء في مكان العمل	35	35%
في الحي الذي يسكنه	48	48%
في أماكن أخرى	17	17%
المجموع	100	100%

وحول الحرص على تكوين صداقات داخل عينة البحث، توصلت الدراسة إلى أن 48% من الأفراد يفضلون تكوين صداقات داخل محل إقامتهم مقابل 35% من الذين يفضلون أن يكونوا صداقات من المكان الذين يعملون به، وقد توصلت الدراسة أن 17%من أفراد العينة ممن يحرصون على تكوين صداقات في أماكن مختلفة .

ومن خلال المقابلة التي أجريت على مفردات العينة لا حظنا أن الصداقات التي يحرص على تكوينها داخل مقر سكناهم، هي صداقات في أغلب الأحيان مع الجيران على أن تكون مع أقارب أو أبناء موطنهم الأصلي. وتوصلت الدراسة إلى أن مفردات العينة أوجدت نمطامن العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس الصداقة التي تحددها جملة من العوامل، كالزمالة في العمل، وحسن المعاشرة والجيرة وكذا المصلحة المتبادلة بين الأفراد.

- جدول رقم 14 : الحرص على تبادل الزيارات

تبادل الزيارات	التكرارات	النسبة
نعم	68	68%
لا	16	16%
حالات أخرى	16	16%
المجموع	100	100%

بعد تحصل المبحوثين الذين نحن بصدد دراساتهم على عمل و إقامة بالمدينة، فمنهم من وجد نفسه أمام الأهل مرة أخرى، ومنهم من وجد نفسه مع أناس آخر وليس له أهل أو أقارب بقربه، أما من لديهم أقارب يقطنون بجوارهم ، فوجودهم يشكل حافزا لارتباطهم بالقيم والمعايير، لأنهم دائما في تفاعل فيما بينهم، وخاصة وهؤلاء يتبادلون الزيارات مع أقاربهم وهذا ما يوضحه الجدول أعلاه فالزيارات والعلاقات الحسنة مع الأقارب والجيران ترفع معنويات الفرد وتجعله يرتبط أكثر بمقر سكناه و هم يمثلون نسبة 68% وهناك نسبة قليلة لا يتبادلون الزيارات ويمثلون نسبة 16% أما النسبة الباقية فقد بقيت بدون إجابة.

خلاصة:

مما تقدم نستطيع أن نستخلص بعض النتائج نوجزها فيما يلي:
إن معرفة الصفات العامة للدراسة من خلال معرفة أصولهم الجغرافية وكذا طبيعة العلاقات الاجتماعية الذي حرصوا على القيام بها في مجتمعهم.

فقد تبين من معطيات الدراسة أن معظم مفردات العينة من خارج مدينة الغزوات ينتمون إما للريف أو لمراكز حضرية أخرى، قد انتقلوا إلى هذه المدينة سعيا وراء العمل، وهذا مما دفعنا إلى التطرق إلى عامل الهجرة، وما للعلاقات الاجتماعية وتواجد أقارب في المدينة من عوامل ساعدت على استقرار هؤلاء الوافدين إليها.

و لتحديد أسباب الهجرة طرحنا مجموعة من الأسئلة حاولنا من خلالها حصر الأسباب العميقة للهجرة و هذا ما بينته الإجابات المسجلة عند طرحنا لهم أسئلة عن المهن التي زاولوها من قبل مكان العمل، و كذلك أسباب تغيير العمل بالإضافة إلى السؤال المتعلق بأهم الأماكن التي أقام بها منذ الولادة إلى يومنا هذا ومن هنا نستطيع أن نتحصل على مسار إقامتهم حتى استقرارهم في مدينة الغزوات.

فنرى أن معظم الإجابات كانت متعلقة بالعمل و الدخل، إذ أن الهجرة أصبحت المخرج الوحيد لحل مشاكل العمل و العيش. ومن هنا نلاحظ أن الفئة المهاجرة

من أفراد العينة لم تهاجر من أجل الهجرة، أي من أجل البحث عن مستقبل أفضل فقط، و إنما من أجل تحسين ظروفهم المعيشية و توفير التعليم و أسرهم والاستقرار و أحسن الخدمات.

وقد تطرقنا أيضا إلى ما إذا كان هؤلاء المبحوثين قد انتقلوا إلى أماكن أخرى قبل الاستقرار بصفة دائمة في الغزوات .و قد تبين من هؤلاء المبحوثين انه وجدت علاقات اجتماعية وثيقة بين المبحوثين تقوم على دعائم وأسس جديدة تختلف عن تلك التي كانت تقوم على أسس تقليدية كالقرابة و النسب.

كما قمنا بتصنيف المبحوثين حسب مستوياتهم المهنية , الجنس، السن، المستوى الدراسي، الحالة العائلية وعدد الأبناء إضافة إلى العنصر أساسي ألا وهو المهن السابقة لهؤلاء الأفراد.وذلك للتعرف أكثر على حياتهم ونمط معيشتهم.
وهذا ما سوف نوضحه في المبحث الذي سوف نقوم بدراسته فيما بعد.

الفصل الثاني

النمط المعيشي في مدينة الغزوات

للكشف عن النمط المعيشي في مدينة الغزوات لا بد لنامن الوقوف على طبيعة الحياة في هذه المدينة بالنسبة للفرد و العلاقات التي يضعها مع أسرته في إطار السكن و نوعيته و كيفية تنظيمه و تأثيثه و طبيعة الحي الذي يسكنه بدون أن ننسى كيفية نظرته و التعامل مع أهم الأمور التي يعيشها في أسرته.

أولا : تحديد النمط المعيشي

في هذا المبحث ترتكز دراستنا هذه عن البحث عن كيفية النمط المعيشي للأفراد في مدينة الغزوات.

كشفت العديد من الدراسات التي أجريت في مجتمعات حضرية وما يميز هامن تفاعل اجتماعي حضري واتساع نطاق التسامح وسيطرة وسائل الضبط الرسمي، وسيطرة قوة العزف والتقاليد على المجتمعات الغير الحضرية ومن أهم هذه الدراسات تلك لـ"صموئيل ستوفر - Sammuel Stauffer"والتي قام بقياس حدود التسامح في مناطق تختلف في درجات التحضر، ومن خلال هذه الدراسة توصل إلى أن سكان الحضر اكثر تسامح، من سكان المدن الصغيرة والرّيف الأقل تسامحا[1]. غير أنّ هذه الدّراسات قامت على قياس مدى التسامح في حدود معايير معينة كالتعصّب الديني والسياسي والعنصري، ونظرا لاختلاف الأبعاد الاجتماعية والثقافية لمجتمع البحث، وعليه قامت الدراسة على اختيار معايير أكثر ملاءمة لواقع المجتمع مثل مدى مراعاة العادات والتقاليد في حلّ الخلافات. ووجود روح التعاون بين السكان، الانحرافات التي تعاني منها المدينة بالإضافة إلى المشاكل الخاصة بالحيّ الذي يسكنه المبحوث. وفي الأخير تقييم وتحديد النمط المعيشي للسكان ثم لأسرة المبحوث. وما لاحظناه فيما سبق مدى استمرار تمسك الأفراد بالعادات والتقاليد مع العلم دخول بعض القيم المستحدثة في كرق الحياة على الرغم ما أوضحته دراسات غربية عن تحرر الفرد في المراكز الحضرية من سلطان العادات والتقاليد تبقى مدينة الغزوات مع أن سكانها قد اقتاتوا بعض القيم الحديثة لأنّ يبقى سلطان العادة والتقاليد هو المسيطر عن طريقة وكيفية العيش ويورثها للأجيال القادمة وهذا ما يراه كذلك مصطفى بوتفنوشات في تحليله للتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري حيث قال: "أنّ استمرار تشبث الحضريين بالعادات والتقاليد والخضوع لسلطانها، إذ أنّه على الرّغم من أنّ التنمية الحضرية، كان يمكن أن تؤدّي إلى التعبير بانهيار النسق القديم، إلاّ أنّها دعمت على العكس من ذلك بعض أشكال النسق القديم وخاصة في الأحياء الفقيرة.[2]

وفي هذا المجال طرحنا أسئلة حاولنا الإجابة عنها:

---

(١) السيد عبد العاطي السيد: التصنيع والمجتمع، المرجع السابق. ص: 113.

(٢) Mustapha Boutefnouchet, Système Social et Changement social en Algérie O.P.U. Alger. 1986. P : 25

أ-طبيعة الحياة في المدينة

جدول رقم 15: يبين روح التعاون بين السكان:

العينة	التكرارات	النسبة
نعم	63	63%
لا	37	37%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن 63% من مفردات عينة البحث يقرّون عن وجود روح التعاون بين الأفراد في مجتمع البحث (مدينة الغزوات أما الفئة المقدّرة بـ 37% فهم يرون أن سكان الغزوات تغيّروا عن ما كانوا عليه في السابق، فهم يرون أنّهم كانوا جدّ متعاونين في السابق أمّا اليوم فأصبح كل واحد يرى مصلحته بنفيه ولا ينتظر المساعدة من أحد.

أمّا عن سؤالنا عن المشاكل التي يعاني منها الحي الذي يقطنه فأجابنا بما يلي:

جدول رقم 16: يبين نوعية المشاكل التي يعاني منها الحي الذي يسكنه المبحوث.

العينة	التكرارات	النسبة
نقص المرافق	70	70%
الانحرافات	23	23%
حالات أخرى	17	17%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول أن 70% من عينة البحث تعاني من مشاكل في الحي الذي تسكنه وهذه المشاكل متضمنة نقص المرافق الضرورية كالغاز الطبيعي، الهاتف، الطرق الغير معبدّة وكذلك المياه. 23% من عينة البحث تعاني من الانحرافات في مقر سكانهم أمّا الباقي 17% فهم لا يبالون بهذه المشاكل إذ أنهم يقطنون في أحياء راقية.

جدول رقم 17: يبين أهم الانحرافات التي تعاني منها المدينة.

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
المخدّرات والخمر	72	72%
حالت أخرى	28	28%
المجموع	100	100%

إنّ 72% من إجابات المبحوثين تقرّ على أن مدينة الغزوات تعاني من وباء المخدّرات والخمور مقابل 28% من حالات الانحراف الأخرى التي تعاني منها المدينة.

ويستدل من هذه النتيجة إن سلطة المجتمع على سلوكيات أفرادها قد تراجعت نسبيا وعدم التزام الأفراد بالآداب العامة للمجتمع حيث لم يعد الأفراد يستشعرون بسلطان المجتمع على تصرّفاتهم وهو ما يدل على تمتع الأفراد بحرية أكبر فيما يتعلّق بالفعل والسلوك، وفيما يتعلّق بالرأي بانحراف الشباب في تعاطي الخمر، المخدرات، لعب الورق، السرقة، اتضح أنّ عدم الرّضا على السلوكيات والذي عبّر عنه أحد المبحوثين بأن (شباب ليس لهم حياء).

جدول رقم 18: رد فعل الأفراد والمساهمة في حل هذه المشاكل.

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
تبليغ الشرطة	26	26%
الصلح بالطرق الودّية	17	17%
النصح والتوجيه	10	10%
الردع بالقوة	06	06%
تبليغ أولياء الأمور	13	13%
اللامبالاة	28	28%
المجموع	100	100%

حاولت الدراسة من ناحية أخرى الكشف عن ردود الأفعال الاجتماعية اتجاه هذه السلوك الانحرافية، حيث توصلت إلى أنّه رغم استياء هؤلاء الأفراد من تلك السلوكيات: كما تبين ذلك فيما سبق، إلاّ أن مواقفهم لم تبد أي ردّ فعل اتجاه هؤلاء الشباب حيث سجل بوضوح 28% ظاهرة اللامبالاة، تليها تبليغ الشرطة بنسبة 26% كموقف متحضر، ممّا يدّل على اتجاه الأفراد في مجتمع الدراسة نحو الأخذ بأساليب الضبط الرّسمي.

تليها 17% بضرورة الصّلح بالطرق الودية دون أن يتعدى الأمر إلى الأساليب الرّسمية أو تبليغ الأولياء بنسبة 13% كموقف تقويمي لسلوكات المنحرفين، هذا ولم تكشف الدراسة عن لجوء الأفراد إلى استعمال القوة كأسلوب ردعي اتجاه السلوكيات الانحرافية إلا في حدود ضيقة لم تتعدّ 06% وفي الأخير أظهرت الدراسة أن مبدأ النصح والتوجيه بنسبة 10% واستمرار المواقف الإيجابية اتجاه هذه السلوكات.

يستدل من خلال هذه المعطيات الميدانية عن تعدّد مواقف الأفراد في مجتمع الدراسة من السلوكات الانحرافية، حيث تراوحت اللامبالاة كمؤشر لاتساع حدود

التسلح الاجتماعي والنصح والتوجيه وتبليغ الأولياء كموافق تقويمية وهذا ما تعكسه الاختلافات المتواجدة بين الأفراد على اختلاف مواطنهم الأصلية والثقافية والقيم وغيرها، في مقابل موافق أكثر صرامة متمثلة في تبليغ الشرطة واستعمال القوة كمؤشرات لسيطرة وسائل الضبط الرسمية في مجتمع البحث.

ب- تحديد النمط المعيشي:

عند طرحنا سؤالين مباشرين لمفردات عينة البحث المتعلقين بتحديدهم لنمط معيشة سكان مدينة الغزوات بصفة عامة وتحديد نمط معيشة أسرهم بصفة خاصة تحصّلنا على الإجابات التالية:

جدول رقم 19: يبين النمط المعيشي لسكان الغزوات.

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
تقليدي	10	10%
حديث	42	42%
بين وبين	48	48%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول أعلاه أنّ 48% من مفردات عينة البحث حددّوا النمط المعيشي لأفراد مدينة الغزوات، وهو يعتبر المجتمع الذي أجريت عليه الدراسة بأن نمط معيشة يمزج بين التقليدي والحديث ،بينما ذهب 42% وهي نسبة تقريبية للنسبة للأولى أن مجتمع مدينة الغزوات، مجتمع ذو نمط معيشي حديث بينما نسبة ضئيلة وتقدر بـ 10% ذهبت بالقول بأنه مجتمع تقليدي.

لم نكتفِ بهذا السؤال فقط بل طرحنا سؤالنا الموالي لنعرف إلى حدّ ما نمط معيشة المبحوثين.

جدول رقم 20 : يبين لنا النمط المعيشي لأسرة المبحوث.

الاحتمالات	التكرارات	النسبة
تقليدي	03	03%
حديث	10	10%
بين وبين	87	87%
المجموع	100	100%

يبين لنا الجدول أعلاه تحديد المبحوثين لنمط معيشتهم ونمط معيشة أسرهم إذ تقدر نسبة 87% النمط المعيشي الذي يمزج بين التقليد والحداثة، مقابل 10% من المبحوثين من يعللون عن نمط معيشي أسرهم بالحديث أمّا 03% من هم يعبرون عن نمط معيشة أسرهم بالتقليدي وهي نسبة ضئيلة جدّا.

ثانيا- السكن:

أ- تقديم:

عرفت مدينة الغزوات منذ نشأتها سنة 1846 حركة في عملية السكان والوافدين إليها، وبالتالي نشاط في عمرانها فقد تعدّت حدود تلك المدينة المشيّدة على الساحل إلى مدينة مترامية الأطراف، فبذلك تنوّعت البنايات وكذا المعمار بهذه الرقعة الصغيرة من الوطن.

فالارتفاع السريع في عدد المساكن راجع وله علاقة وطيدة بارتفاع نسبة السكان أو بالأحرى إلى الذين هم بحاجة إلى مأوى.

إن الوفود إلى مدينة الغزوات -سواء في السابق وهذا يعني السنوات الأولى لمجيء المستوطنين الفرنسيين و استقرار مزارعهم في المنطقة ، أو ما بعد الاستقلال ، و وفود الرّيفيين من أجل العمل والاستقرار في المدينة وذلك لتحسين مستواهم المعيشي- فرض على هؤلاء الأفراد واقعا معينا من العيش حيث اضطّروا إلى التنقل من أسرهم المركبة إلى أسرة صغيرة كوّنها كل فرد منهم في هذا المكان ، و هذا ما فرض عليهم بالبحث عن سكن خاص بعائلاتهم من أجل الاستقرار والاقتراب من أماكن عملهم. فالاحتياج للسكن لا يقتصر على الوافد من فحسب بل على القاطنين في المدينة نفسها.

إن معرفة الحالة الاجتماعية لسكّان مدينة الغزوات ضرورية لمعرفة التحوّلات والتغيّرات في أشكال تفكيرهم وتعاملاتهم وسلوكهم اليومي، وهذا لا يكون إلاّ من خلال دراستنا للسكن والتعمّق في السّلوك الداخلي لهؤلاء الأفراد. وهذا ما تدعّمه الفكرة

الشائعة لماركس التي تقول: "تفكير المرء في الكوخ يختلف عنه في القصر". إذن فالواقع الإنساني هو الذي يحدّد الوعي الإنساني باعتبار أنّ هذا الوعي هو وعاء يلمّ بتطبعهم وأحاسيسهم وأفكارهم وحتى تصرّفاتهم.

فما هو مفهوم السكن إذن؟ إن الوحدة الابتدائية للإحصاء عرّفت السكن على أنّه: "مكان مغلق، مغطّى، مسكون من طرف واحد أو أكثر من شخص، أو هو مكان عامر، ولكن خاص بالسّكن، وفي معظم الأحيان هو مجموعة من الغرف، أو هو غرفة واحدة فقط مخصّصة للسّكن، ويجب أن نلجها بدون أن نعبر سكنا آخر"(١). هذا التعريف هو خاص بالهيئة الشكلية للبيت وطريقة سكنه، فالبيت الواحد يمكن أن يسكنه أسرة: واحدة أو عدّة أسر والذي بدورهم مشكلون من عائلة أو عدّة عائلات.

لكن ما المقصود بالسّكن من النّاحية الأنثروبولوجية؟.
اتفق علماء الأنثروبولوجية على أنّ السكن هو: "مكان مصغّر أنشأ أو حوّل لسكن الأشخاص وكذا لحماية الحيوانات المحصول...".

"المسكن يجب أن يكون مميّزا، طريقة تفرقة وإنشاء الوحدات السكنية على أرض معيّنة، إذ على إثر اختلافها في الأشكال الأنواع،والمواد المستعملة في البناء... والمسكن هو مرآة تعكس الوسط المعيشي الذي هو موجود به"(٢).

لن نكون على صواب إذا قلنا: إنّ جمع الرّقع الجغرافية تتطلّب نوعا معيّنا من المساكن بنفس الشروط، صحيح أن السّكن احتاج شامل من أجل الحماية وهو يتطلّب جميع مرافق الرّاحة والوقاية. لكن أنواع المساكن تختلف ويمكن أن تقدّم تباينا معتبرا في أماكن أو أقطار بيداغوجية مشابهة بين أناس وأهالي يتقاسمون نفس المستوى التقني أو العكس، وكذلك استمرارية كبرى داخل جماعات بشرية مختلفة.

والغرض من دراسة إثنوغرافية أو أنثروبولوجية للبيت هو إلقاء الضوء على هذا العامل المركّب من المتطلّبات وكذا الحدود التي تتدخّل في الإنشاء دون أن ننسى السّكن في مكان مشيّد. فهناك عدّة مناظر يجب الارتكاز عليها والأخذ بها من أجل تشييد بناية ما مثلا: كهندسة المكان، الاحتياجات النقدية، وتوفير الوسائل اللازمة لذلك كسمك الحائط، نوعية السقف،وتوزيع البناية على الرقعة الجغرافية المخصّصة لها... إلى ذلك من مناظر يجب أن يأخذها الفرد بعين الاعتبار.
"طرق استقبال، وسكن محيط اجتماعي هو تعبير عن ثقافة لمجتمع معيّن، وكل ثقافة تعبّر بطريقتها الخاصة عن نوعيّة البنايات الخاصة والشعبية، سواء كانت هذه

(١) شريفة حجيج: العائلة بين الأمس واليوم. إنسانيات 4 جانفي أفريل 1998. ص: 101.

(٢) Dictionnaire de l'Anthropologie et de l'Ethnographie. OP CIT Page : 318.

البنايات من الناحية الدّاخلية، أو الخارجية، المغلوقة منها أو المفتوحة، وكل عائلة لها طريقتها الخاصة بها في البناء، حيث تبقى العلاقات الخاصة محميّة من النظرات الخارجية"(١).

المسكن يمكن أن ينقسم إلى حجرات خاصة،أمثال حجرة النوم، المطبخ، الحمّام... أو العكس يمكن أن تشكّل وحدة متعدّدة الاختصاصات.
"الرموز التي يصنعها مجتمع ما كحاجز بين بيته واعتقاداته هذا يرجع إلى ممارساته للطقوس والمعتقدات التي تضمن له الحماية"(٢).

كثرة التعاريف التي أعطيت لمصطلح السكن تعكس انقلاب سريع وتحوّلات اجتماعية واقتصادية للمجتمع فينتقل بذلك من نمط معيشي معيّن إلى نمط آخر مخالف. ولكن المسؤولين والمهندسين لهم دورهم الهام في الحدّ من عملية البناء الفوضوي الذي شاهدناه في السنوات الأخيرة في المدينة، ونسينا أمرا مهمّا ألا وهو الدور الهام الذي يلعبه المحيط الاجتماعي في عملية وضع الخطوط الخاصة التي تمثل عمران مدينة ما.

وعليه فيمكن أن نعتبر أنّ المعرفة التي يكتسبها مهندس معماري لا يمكن أن تكون كاملة إلاّ بالمعرفة الكافية بالمعطيات الثقافية والاجتماعية بمحيط ما ومجتمع ما(٣).

البناء الحديث للمسكن وضع مشكلتين أساسيتين: هناك من جهة الهندسة المستوحاة من الثقافة المحلية للمجتمع الجزائري عامّة، والمجتمع الغزواتي على وجه الخصوص ، ولكن هذا دائما يلتقي بحّب التطوّر والعصرنة، وفي هذا يجد المهندس نفسه في دوامة، فهو يحاول البقاء على القيمة الحضارية للمكان ووضع اللمسات الثقافية لمجتمعه من جهة، ولا يخيّب آمال من قصده في عصرنة هذا المكان من جهة أخرى.

لمّا نتحدث عن المسكن الحديث والتقليدي لا نتحدث فقط عن المعمار أو هندسة المكان ولكن، بالفعل نقصد كيفية السكن واستخدام المكان يعني يسميه "هنري لوففر – Henry Lefebvre" المكان الملموس: "إشارات، مسارات،أجساد وأفكار، دلالات

(١) Dictionnaire de l'Arth et de l'Eth. OP. Cit. Page : 317.

(٢) Dictionnaire de l'Arth et de l'Eth. OP. Cit. Page : 319-320.

(٣) Abdullah Hamad Dulaymi, le logement contemporain et les traditions, science sociale et phénomène urbains dans le monde Arabe, sous la direction de Mohammed Nacir, Edition Fondation du Roi Abdelaziz Al Saoud pour les études Islamiques. 1997. Page : 227.

واتجاهات"[1]. وعلى ضوء الدراسات التاريخية وعلاقاتها سعي الباحثين الأثنوغرافيين من أجل البحث في هذا الموضوع يمكننا أن نوضح أكثر الخطوط الواضحة والأخرى التي هي غامضة نوعا ما.

ومن خلال هذه الخطوط التي تعبر عن ثباتها الكبير لا بد علينا هنا أن نشير إلى أهمية المكان الذي شغلها هذا أو ذاك في مقلم "معين" أو العلاقات داخل حجرة معينة، فنجد وسط حجرة ما فراغ أين يكون الجلوس على طوال الحائط، لكي يسمح لهؤلاء من تأدية طقوس دينية معينة وبالمقابل، نجد هذا الاختلاف واضحا وخاصا بمجتمع آخر، وهذا يكون طبقا لتقاليده وكذلك معتقداته.

"الاختصاص الوظيفي للغرف هي إحدى الاختصاصات الواضحة والتي تخصص كيفية سكن وتنظيم البيت حسب ما نلمحه في العالم العربي أو ما نراه في المجتمعات الغربية الأخرى"[2].

إن التحدث عن التقاليد والسكن التقليدي هي بالضرورة التحدث عن الوظائف التي يقوم بها السكان لتطورهم حسب المكان التي تنشأ عليه البناية، والذي على العموم لا يتغير على نفس الوثيرة بل على مراحل، فالمهندس إذن مطالب في تقديم هندسة ذات مصطلح عصري ويمكن أن يكون مسكونا بصفة تقليدية والعكس.

إذا رجعنا إلى مدينة الغزوات نجد أن معظم مساكنها ذات طابع استعماري فهو متكون إما من طابق أرضي أو طابقين، أما إذا خرجنا عن نطاق حدود المدينة الصغيرة فنجد أنها عرفت انفجارا سكانيا هائلا في السنوات الأخيرة وبذلك يمكننا ملاحظة توسيع رقعة البناء في هذه المدينة وتوسيع أحيائها.

فبعد إنشاء المصنع عملت السلطات المحلية للمدينة والتابعة للمصنع بتشييد أحياء صناعية، وذلك لتوفير المساكن لعمالها القادمين من هنا وهناك وحتى لأبناء المدينة. وعلى إثر البحث الميداني الذي أقيم على مفردات عينة البحث يمكننا ملاحظة نوعية السكن والتي تنحصر في ما يلي:

(١) Henry Le febvre, La révolution Urbaine, Paris Guallimard. 1970. Page : 240.

(٢) Jean Charles Depaule, ". OP. Cit. Page : 217.

جدول رقم 21 : يبين نوعية السكن.

نوعية السكن	العدد	النسبة
ملكية خاصة	47	47%
سكن وظيفي	31	31%
كراء خاص	13	13%
حالات أخرى	09	09%
المجموع	100	100%

يثبت الجدول أعلاه أن أغلبية المبحوثين يقطنون في مساكنهم الخاصة، وتقدر نسبتهم بـ 47%، وهذا يبيّن أنّ نسبة لا بأس بها لا تعاني من مشكل السكن، كما أنّ هناك نسبة لا يستهان بها يقطنون في مساكن تابعة للمساكن الوظيفية للوحدة وتقدّر بـ 31%، أمّا من يمتلكون مساكن عن طريق الكراء فنسبتهم تقدّر بـ 13%، النسبة الباقية التي هي 09% فهي حالات من عمال لا يصطحبون عائلاتهم ويقيمون في الفندق الخاص بالعمال أو هناك حالات أخرى كالإقامة عند عائلاتهم.

إلاّ أنّ السؤال الذي يطرح نفسه، هل أن هؤلاء المبحوثين يعانون معبأة بما يكفي من لوازم منزلية أم هناك نقص؟.

إنّ اقتناء اللوازم المنزلية دليل على ارتفاع في المستوى المعيشي ويدّل على مركز اجتماعي ممتاز، فامتلاك بعض الكماليات كالثلاجة أو التلفزة أصبح أمرا مسلما به في مجتمعنا، فمعظم النّاس أصبحوا يمتلكون هذه الأشياء.

إنّ الاندماج في الحياة الحضرية تطلّب من المبحوث أن لا يبقى بدون هذه اللوازم التي أصبحت من مستلزمات المجتمع الحضري ولكن اصبح الأمر يتطلّب أن نطرح سؤالا آخر: هل أصبح الفرد الغزواتي يمتلك كماليات كالبرابول مثلا والهاتف النقال والإعلام الآلي في البيت؟ إذ تعتبر هذه الأشياء من الضروريات في هذه العشرية الأخيرة.

فنجد أنّ خلال هذه السنوات حتى يومنا هذا استطاع الفرد الغزواتي أن يحصل على بعض هذه اللوازم وهذا لكون ظهور، بعض المحلات التجارية بالمدينة والتي تسهّل على المواطنين إلى حدّ ما باقتنائها، لا نقول كلها وإنّما بعضها كالبرابول مثلا، فنجده في معظم البيوت، ويضيف حسن الساعاتي هذه الفقرة مدعّما بقوله: "إن قطع الأثاث التي يحتوي عليها مسكن العامل تدل إلى حدّ كبير على مستوى معيشته، ودرجة احترامه لذاته، فالعامل الحضري أصلا قلما ينام على حصيرة أو غيرها وعلى الأرض مباشرة، أمّا المهاجرون من الرّيف فلا يجدون غضاضة في النوم على هذه الحال، ذلك

لأنهم قد اعتادوا النوم كذلك في القرى، ولكنّهم بعض مضي المدة الكافية لتبيئهم واعتيادهم الحياة الحضرية لا يرضون عن طريقة نومهم هذه، ويفضلون النوم على السرير أو على أي شيء مشابه يكون مرتفعا عن الأرض... ولذلك نرى أن الأثاث بمسكن العامل يمكن أن يعدّ مقياسا طيبا يقاس به مدى التغيّر الحادث في حياته"[1]. إنّ هذه المساكن تتوزع في أحياء سكنية نلمحها من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 22 : طبيعة الحي الذي يسكنه المبحوث.

طبيعة الحي	العدد	النسبة
قصديري	00	00%
شعبي	50	50%
راقي	06	06%
صناعي	20	20%
عمارة	10	10%
غير ذلك	04	04%
المجموع	100	100%

فنجد أنّ معظم المبحوثين يسكنون في أحياء شعبية إذ لم نقل النصف 50% والباقي يتوزعون على أحياء راقية 06%، أحياء صناعية 20%، وعمارات 10% وأمّا الباقي 04% وهم يسكنون إمّا في فنادق أو بيوت الشباب (عزاب).

توزيع معظم هؤلاء السكان في الأحياء المجاورة والشعبية راجع لسبب واحد فقط ألا وهو ضيق المدينة نفسها والتي تتربع على مساحة قدرها 7 هكتارات* وتحتوي على 3 شوارع رئيسية، هذه المنطقة كلّها مشيّدة فبناياتها إمّا بطابق واحد أو طابقين، ونصف هذه البنايات هي مخصّصة للمباني العمومية ونسبة سكانها تقدّر بـ 500 ساكن في الهكتار.

---

(١) حسن الساعاتي، التصنيع والعمران، ط٣. دار النهضة العربية- بيروت- 1980. ص: 307.

(٢) B.C.E.O.M : Equipements urbains, Nemours Octobre 1959. Page : 05.

ثالثا: العلاقات الأسرية داخل مدينة الغزوات.

تمهيد:

انطلقت هذه الدّراسة من فكرة نظرية بأنّ التغيّرات والتحوّلات الاجتماعية والثقافية التي طرأت على بناء المجتمع وأنساقه ونظمه وطبيعة الحياة الاجتماعية التي لحقت بالأسرة، حيث تعتبر هذه الأخيرة الوحدة البنائية التي تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الإنسانية، كما تعمل على تدعيم وتنظيم سلوك أفراد المجتمع بما يتلاءم مع أدوار كل هؤلاء الأفراد محدّدة وفقا لنظم اجتماعية.

الحقيقة أن الفرد إن يعايش يوميا أسرته، وينصهر فيها ويستنبطن واقعها يتوقع أنّه يعرف الأسر الأخرى وكل واحد منّا يعرف ما هو مفهوم الأسرة، إذ هو بطبعه ينتمي إليها.

"فالأسرة هي مجموعة من الأفراد من نفس قرابة الدّم، يعيشون مع بعضهم البعض"(١). أمّا تعريف آخر للأسرة: "هي تزاوج رجل وامرأة واستقرارهم داخل بيت مع أبنائهم"(٢).

حاولت دراستنا أن تكشف بالبحث الميداني عن التغيّرات التي صاحبت الحياة الحضرية والتي أثرت بصورة مباشرة عن نسق الحياة العائلية.
وقد استعرضت الدّراسة في موضع سابق التغيرات المتصلة بالجانب الاقتصادي للأسرة وفيما يتعلق بتأثيث البيت، ومدى إقبال الأسرة على شراء الأدوات المنزلية الحديثة والأثاث والإنفاق على مجالات الترفيه وقضاء العطلات الأسبوعية الصيفية.
وفي هذا الفصل سوف نتعرّض للتغيّرات البنائية للأسرة خاصة بما يتعلّق بالعلاقات والقيم داخل الأسرة.

1- اشتراك الزوجة في تدبير شؤون الأسرة كمظهر من مظاهر تغيّر دورها في الأسرة:

يمثّل التغيّر في دور الزوجة في حياة الأسرة المعاصرة، حيث كشفت بعض الدراسات التي تناولت الأسرة الغربية، عن تغير مكانة المرأة ودورها في الأسرة، وهذا ناتج عن تغيّر سلوك الأفراد وتغيّر أنماط سلوكهم وتفكيرهم وثقافتهم واتساع آفاق

(١) Dictionnaire d'AnthoPologie OP CIT. P : 251.

(٢) Dictionnaire de Sociologie .OP CIT P : 273.

نظراتهم إلى الحياة الاجتماعية المستحدثة ، و من هذه الفكرة حاولت الدراسة تناول وتوضيح هذا التحول نحو اشتراك الزوجة في تدبير شؤون الأسرة مثلا كالنظرة التقليدية لمكانة المرأة في البيت و لحتكار معظم الوظائف على الزوج أو الوالدين، ما عد الأشغال المنزلية التي هي ملزمة بها.

فقد ارتأينا أن نطرح سؤالا على أفراد عينة البحث، ما إذا كانوا يشاركون برأيها في اتخاذ القرارات الأسرية، وقد كشفت الإجابات أن 63% من أفراد العينة يشاركون زوجاتهم في تدبير شؤون الأسرة وأما الفئة الباقية والمقدرة بـ 37% لا يشاركونها في تدبير شؤون البيت، حيث لا زال يحتفظ الزوج بمكانة متسلطة في أسرته.

وبالإضافة إلى ما أكدته الدّراسة من ارتباط ظاهرة اشتراك الزوجة في تدبير شؤون الأسرة بالمكانة المهنية التي يحتلها الزوج حيث أوضحت أنّ العمال المختصون والإطارات اكثر الفئات اشراكا لزوجاتهم في تدبير شؤون أسرهم بالقياس مع فئات البسطاء، ويبدوا أنّ اشراك الزوجة في تدبير شؤون الأسرة بين المتعلمين أعلى منها بين الأميين وغير الحاصلين على شهادات تعليمية.

أمّا بالنسبة لمجالات اشتراك الزوجة فلقد تبينّ من البحث أن بعضها تقليدي يتعلق بالعناية بالأبناء وتربيتهم وأمّا الفئة الأخرى فقد أكدت أنّ اشتراك المرأة يكون في تسيير الميزانية وحل المشاكل الأسرية. وقد اتضح من خلال المقابلات أن المبرّر لأقوالهم أن المرأة حريصة على تدبير شؤونه البيت والصرف.

يتضح من معطيات الدراسة أن دور المرأة في مجتمع الدراسة قد تغيّر وتغيّرت وظيفة المرأة التي كانت بالدرجة الأولى مقتصرة على الإنجاب وتربية الأبناء ولم تكن سلطتها ممتدة إلى المشاركة في تسيير الميزانية وحل المشكلات الأسرية المستعصية التي كانت فيما قبل حكرا على الرجال فقط

وربّما أنّ خروج المرأة للعمل غيّر من مكانتها التقليدية وغيّر المرأة بشكل عام. فقد تبّين من الدّراسة أن على الرّغم من عمل المرأة كان عاملا مساعدا على تدعيم مكانة المرأة داخل الأسرة وهذا ما أكدته النساء العاملات التّي تضمنتها عينة البحث لكن ما زال عمل المرأة مقتصرا على مجالات معينة كالتعليم، الإدارة والصحّة، وهناك خاصة لمسناها في مجتمع الدّراسة أنّ استمرار الفتاة غي عملها بعد الزواج أمرا نادرا.

إنّ اتساع مجالات التعليم والخدمات، قد أدت باضطلاع المرأة ببعض المهام التي كانت حكرا على الرّجل، واستغلالها اقتصاديا. من الملاحظ أن اشتراك الزوجة

في مجتمع الدّراسة في تدبير شؤون البيت والأسرة ليس له علاقة بعمل المرأة، بل أنّ ذلك يحدث رغم استمرار تبعيتها الاقتصادية لزوجها أو لوليها.

كما توصلت الدّراسة الميدانية إلى أنّ عمل المرأة يتيح لها الفرصة لتأمين حاجاتها الخاصة كاللباس، الزينة، الترفيه، خاصة عندما لا يكون بمقدور الزوج أو الوالد النهوض بجميع متطلبات أسرته.

وفي المقابل هذا أوضحت الدّراسة الميدانية أنّ هناك أسبابا وراء عدم القبول بعمل المرأة، وتبيّن أنّ السبب الرّئيسي هو رغبة الزوج في أن تتفرّغ الزوجة للقيام بشؤون البيت ورعاية الأبناء.

وقد ظهرت، في الدراسة الميدانية المقامة على مجتمع مدينة الغزوات استمرار تأثير التقليد والعادات، وهو ما يعني استمرار مقاومة النسق القديم الرافض للتغيّر في دور المرأة التقليدي، وأكدوا أنّ عمل المرأة يتناقض مع العادات والتقاليد، وتبين من خلال المقابلات التي أجريت مع النساء من أفراد العينة أن دوافع الالتحاق بالعمل هو ظروفهن الاقتصادية والحاجة إلى المال لإعالة أسرهنّ خاصة الأرامل والمطلقات، إذن فالسبب العام لخروج المرأة للعمل هو العامل الاقتصادي حيث يعتبر عمل المرأة هي المشاركة في نفقات الأسرة وضمان مستقبل أفرادها حيث مع غلاء الحياة والمشاركة في نفقات الزوج غير قادر على تلبية متطلبات أسرته، إضافة إلى عوامل سيكولوجية كخروج المرأة للعمل هي وسيلة لتحقيق ذاتها وبروز شخصيتها.

كشفت الدّراسة الميدانية أن للمستوى التعليمي للمرأة دور في خروجها للعمل.

جدول رقم 23 : موقف من عمل البنت خارج لمدينة الغزوات

العينة / الاحتمالات	التكرار	النسبة
نعم	58	58%
لا	42	42%
المجموع	100	100%

بالإضافة إلى ما أكدته الدّراسة الميدانية من التغيّرات التي أصيبت بها الأسرة الغزواتية، ارتأينا أن نطرح سؤالا على أفراد العينة وهو يتعلّق بعمل الفتاة الغزواتية ليس فقط في مدينتها، بل وخارج المدينة أي في مدينة أخرى. اتضح من الإحصائيات التي تلقيناها إثر قيامنا بالبحث أنّ 58% من مفردات العينة هم موافقون على عمل البنت خارج مدينتها أمّا الباقي 42% فهم مخالفون له، والسبب يعود إلى أنّ عملها لا يوافق

تقاليد المدينة، أو أن اغتراب البنت من أجل العمل لا يتناسب مع عقليات المجتمع التي تنتمي إليه، فمع أن نسبة الموافقة تفوق مسبة الذين يعارضون عمل البنت خارج الغزوات إلا أن هذا العمل يبقى مرتبطابالشروط المسبق ذكرها وهذا ما لاحظناه إثر قياما بالمقابلة.

وعلى الرغم من أن الأسرة الغزواتية أصبحت تواكب التغيرات التي حدثت فيها وفي المجتمع تنتمي إليه، إلا أننا من خلال الدراسة الميدانية والمعطيات التي استقيناها نجد أنها ما زالت محافظة نوعا ما في أن تسافر من أجل العمل خارج المدينة، ولهذا ارتأينا أن نطرح سؤالا أخرا، بما أن العمل بالنسبة للبنت هو الاستقلالية التامة عن الأسرة والاعتماد عن النفس من أجل تحقيق الذات،وسؤالنا الذي طرحناه عن مفردات العينة هو منقسم إلى شطرين القسم الأول منه هو غربة البنت من أجل متابعة الدراسة داخل الوطن، والقسم الثاني هو غربتها من أجل متابعة الدراسة خارج الوطن.

جدول رقم 24 : الرأي في غربة البنت من اجل متابعة الدراسة داخل أو خارج الوطن:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة	العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
داخل الوطن نعم	41	41%	خارج الوطن نعم	04	04%
لا	59	59%	لا	96	96%
المجموع	100	100%	المجموع	100	100%

أوضحت الدراسة الميدانية على أن هناك تأكيدا على تعليم الفتاة في الجامعة، فقد قدرت نسبة مفردات العينة الذين أكدوا على تعليم الفتاة في الجامعة بـ 41% أما الباقي الذي قدر بـ 59% عن عدم موافقتهم لتعليم الفتاة بالجامعات الجزائرية.

وامتنع 96% من مفردات العينة عن إرسال الفتاة خارج الوطن من أجل متابعة الدراسة.

جدول رقم 25 : يوضح مدى أحقية الفتاة في اختيار شريك حياتها:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم	48	48%
لا (الوالدين)	52	52%
المجموع	100	100%

أوضحت الدّراسة الميدانية المقامة على أفراد العينة في مدى أحقية البنت في اختيار شريك حياتها أنّ هناك رأيين متقاربين الأول والمقدّر بـ 48% حوالي نصف العينة توافق على أن الفتاة لها الحقّ في الاختيار بما أنّ هذا الأمر متعلّق بحياتها أما الباقي والذي قدر بـ 52% من الأفراد هم ليسوا موافقين وتعليلهم على ذلك أن للوالدين الحق في اختيار الزوج بحكم الولي والمسؤولية وهم أدرى بهذه الأمور. فأجابنا أحدهم: وهو عامل عمره 55 سنة وأب لسبعة أطفال "زْوَاجْ لِيلة، تَحْمَامُوا عَامْ" فلا بدّ للوالدين وخاصة الأب هو اتخاذ القرار في هذه الأمور.

تبين من البحث، أنّه مع أنّ هناك نسبة من الفتيات لها الحقّ في أن تختار لحرية واستقلالية شريك الحياة، إلاّ أنّه تبقى نسبة أخرى تفوق الأولى وهم يرون بضرورة إخضاع السلطة للوالدين ولا يتمّ الزواج إلا أن يكون الوالدان راضيين ويباركان هذه المصاهرة.

جدول رقم 26 : يوضح مدى أحقية الأبناء في اختيار شريكة حياتهم:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم	68	68%
لا (الوالدين)	32	32%
المجموع	100	100%

بالإضافة إلى ما كشفت عنه الدّراسة الميدانية من مدى أحقية الفتاة في اختيار الشريك، وما قمنا بكشفه من نتائج عن مدى أحقية الذكور في حرية اختيار مهنة المستقبل، فقد أصبح للابناء الحق في اختيار بحرية شريكة حياتهم واستقلالهم إلى حد ما عن رأي آبائهم حيث أظهرت نتائج الدراسة أن الوالدين يقران بحق أبنائهم في حرية اختيار شريك حياتهم حيث بلغت النسبة 68% مقابل 32% يرون بضرورة الإخضاع لسلطة الوالدين، وإن إتمام مراسيم الزواج لا يكون إلا بمباركة الوالدين وتحت إشرافهم

وهذا ما يدل على تمسك العائلة بالعادات والتقاليد والاستمرارية في التشبث بها حيث تمرد الأبناء عن الوالدين يعتبر خروجا عن التقاليد، ويعرضهم للسخط الاجتماعي.

ومما لا حظناه أثناء قيمنا بالمقابلة مع أفراد العينة تأكيد أعلى حق الأبناء في اختيار الشريك، على خلاف البنت التي عليها بأن تراعي ما يوافق عليه الوالدا ن، كما أثبتت الدراسة أيضا أن ظاهرة حرية الاختيار أكثر انتشارا بين المتعلمين عنها بين الأميين وهذا ما يدل على التحول في حرية الأبناء في اختياراتهم، أحد المؤشرات الدالة على التغير الاجتماعي في مجتمع الدراسة ولعل أبرز عوامل التغير هو المستوى التعليمي وهذا ما جعل الأفراد يتحررون نوعا ما عن سلطة الوالدين وقواعد الأسرة.

جدول رقم 27 : حق الخطيب في مرافقة الخطيبة للبيت العائلي قبل الزواج:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم	12	12%
لا (الوالدين)	88	88%
المجموع	100	100%

ينضح من خلال الجدول أن مفردات العينة عبروا عن عدم موافقتهم بأن يرافق الخطيب خطيبته للبنت العائلي قبل الزواج وما لاحظناه إثر قيامنا بالمقابلة عن سخط معظم أفراد العينة عن هذه الظاهرة التي أصبحت تنتشر نوعا ما في مجتمع الدراسة. فأكثر فئات العينة أكدوا عن عدم رضاهم عن هذا التصرف الذي يصفونه بعدم اللياقة، لأن في رأيهم أن التقاليد لا تسمح ومما هو واضح من المعطيات أن 88% من الأفراد لا يسمحون بان ترافق من طرف خطيبها إلى البيت قبل الزواج أما القسم الباقي والمقدر بـ 12% فهم لا يرون عيبا في ذلك وأن هذا الوضع لا يضايق سمعة الفتاة كما قال أحدهم.

جدول رقم 28 : يوضح مدى السماح للابن في أن يعيش في بيت مستقل بعد الزواج.

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم		
ضيق المسكن	55	**55%**
تجنب المشكلات الأسرية	21	21%
مواكبة الحياة الحديثة	15	15%
لا	09	09%
المجموع	100	100%

ومن المجالات التي تبينت فيها نزعة الاستقلالية عن الوالدين في اتخاذ نمط معيشي جديد ومستقبل عن سلطة الوالدين ما توصلت إليه الدراسة الميدانية من تفضيل الأباء للاستقلالية الأبناء معيشيا بعد الزواج بعدما كان استمرار إقامة الأبناء والإخفاء مع العائلة الكبيرة حتى بعد زواجهم صفة من الصفات الدالة على تماسك العائلة ورمز لقوتها المادية والأدبية على مستوى المعيشي فقد اتضح أن نسبة 91% يفضلون استقلال أبنائهم معيشيا، و9% فقط يحرصون على استمرار معيشة وإقامة أبنائهم ضمن العائلة حتى بعد الزواج.

إن الأسباب التي جعلت الأفراد من مجتمع البحث يفضلون استقلال الأبناء بعد الزواج أبرزها هو ضيق السكن بنسبة 55%، أما الذين أبدوا هوا فقدتهم تجنبا للمشاكل الأسرية فقد قدروا بـ 21%، في حين بلغت 15% من المتغيرات الذين يفضلون مواكبة الحياة الحديثة باعتباره عاملا لاستقلال الأبناء معيشيا بعد الزواج

إذا كانت المعطيات الدراسية قد كشفت عن اتخاذ الأبناء نحو الاستقلالية بعد الزواج باعتبار ظاهرة من ظواهر التخلص من التسلط الأبوي التقليدي، فيمكننا كذلك تفسير هذه الظاهرة بطريقة أخرى، وهي تأشير بعض العوامل الخارجية على الأفراد كمثلا طبيعة السكن، الذي لا يستطيع استيعاب عدد كبير من الأفراد إضافة إلى تجنب المشكلات الأسرية، ولعل زيادة فرص العمل في المدينة والتحاق الشباب بالمدن من أجل العمل في مختلف الوظائف وكذلك خروج الفتيات للعمل، وهذا ما كان ليس موجودا في العائلات فقد تعد من العوامل التي حتمت ذلك. ولكن تبقى هناك التزامات عن الأبناء، مثل رعاية الوالدين، المساهمة الاقتصادية في معيشة الأسرة، رعاية الأخوة ماديا لا زالوا في دراستهم.

جدول رقم 29 : يبني الاتفاق مع فكرة الأخر بآراء الأبناء:

مشاورة الأبناء	تكرارات	النسبة
نعم	80	80%
لا	20	20%
المجموع	100	100%

نستخلص من هذا الجدول أن أغلبية المبحوثين هم يتفقون مع هذه الفكرة بمعنى يجب الأخذ بعين الاعتبار آراء الأبناء ويمثلون 80% مقابل 20% التي هي ضد هذه الفكرة.

وما نلاحظه هو التغير الذي طرأ على السلطة داخل الأسرة فبعد ما كان الأكبر هو الذي يفرض رأيه، أصبح هناك نوع من التشاور وأخذ الرأي الأصوب والأفضل حتى ولو كان يصدر من الفرد الأصغر في الأسرة.

وهذا التغير قد فرض على الآباء من جراء تغييرهم واحتكاكهم بالمحيط والوسط الجديد بحيث يمكننا تصنيف جيل الأبناء بالمدنيين، لأنهم يعيشون في المدينة وهو في اختلاط وتفاعل مع أبنائها،وكذلك الآباء يلاحظون الجيران وأفراد المجتمع يفعلون كذلك.

جدول رقم 30: يبين المشاركة في إحدى الجمعيات الثقافية، الرياضية، العلمية

المشاركة	التكرارات	النسبة
نعم	09	09%
لا	91	91%
المجموع	100	100%

نلاحظ من هذا الجدول أن 09% يشاركون في جمعيات ثقافية وعلمية، هذا يدل على أن لهم اهتمامات في هذا المجال أما النسبة الكبيرة وهي 91% فمثلتها الفئة التي لا تشارك في أي جمعية، وهذا راجع إلى عدم وجود اهتمامات، أو لعدم وجود آمال بعد المشاركة وهذا ما لاحظناه والتمسناه من خلال قيامنا بالمقابلة.

هذا لا يعني أن مدينة الغزوات تخلو من وجود جمعيات ثقافية وعلمية*[1].

وفي هذا المجال يقول أبو القاسم سعد الله:"الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة"[2].

الترفيه :

الترفيه حاجة أساسية لدى الإنسان حيث يقوم بتلبيتها بأشكال مختلفة عبر مساره التاريخي، حيث أن الترفيه صحي و مطلوب، حيث يقوم بتحقيق صحته النفسية و العقلية، و بامتاعه و تسليته و تجديد نشاطه. و هو أبعد من أنه مجرد تسلية بل هو تخلص من التوتر الذي أصبح يداهم الفرد، إذ يعتبر إحدى الأمراض التي تهدد الفرد و المجتمع معا في هذا الزمن الذي كله مشاكل و مشاغل لما يميزه من كثرة الحركة و قلة الراحة.

---

(١)وجود جمعيات: جمعية حماية البيئية، وجمعية أد فراترس ومن الملاحظة أن هذه الجمعيات تضم اغلب فئاتها من ذوي المستوى العلمي العالي والجامعي- ومع أنها تقوم بملتقيات سنوية إلا أن الإقبال عليها من طرف فئات المواطنين يبقى ضئيل.

(٢) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6- دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1-1998 ص 313

"والترفيه أيضا وسيلة لكي نصبح اجتماعيين و نتعلم الأدوار و القواعد و القيم، علاوة على أننا نعبر في لهونا عن أنفسنا و ثقافاتنا، كما يحدث في الرقص و الرياضة و الطقوس و الاحتفالات"(١).

لا توجد كتابات كافية للإجابة عن ما هو الترفيه ؟ و ما تأثيره على سلوك الفرد. و يؤكد الباحثون أنه ليس ثمة اتفاق على تعريف الترفيه لتنوع و اختلاف الأدوار و الوظائف و المهام التي يقوم بها، فيعرفه أحد الباحثين أنه : " كل ما يمنح أو يريد أن يمنح نوعا من الارتياح من حقائق الحياة المكدرة و الرتيبة"، و يرى آخر أنه مجرد " انقطاع في نشاط متواصل " (٢).

و لمعرفة كيفية قضاء أوقات الفراغ و العطل الأسبوعية و السنوية كذلك طرحنا أسئلة على أفراد العينة، و قد أجابوا بما هو موضح بالجدول الآتي :

جدول رقم (31) يمثل كيفية قضاء أوقات الفراغ :

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
أمام شاشة التلفزيون	60	60%
زيارة الأهل	10	10%
حالات أخرى	30	30%
المجموع	100	100%

يوضح الجدول أعلاه أن 60% من عينة البحث تقضي أوقات الفراغ أمام شاشة التلفزيون . أما 30% من أفراد العينة فهم يقومون بأشغال أخرى كالرياضة، و التقاء الأصدقاء خاصة في المقاهي، أما 10%الباقية فهم منتظمون على زيارة أهلهم و ذلك للمحافظة على العلاقات القرابية. أما الإقبال الهائل على التلفزيونفربما يعود إلى تزويد معظم المنازل إذ لم نقل كلها بالبارابول و الذي أدى بالمشاهد إلى المداومة و مشاهدة البرامج الترفيهية،والعلمية...الخ

جدول رقم (32) كيفية قضاء العطل الأسبوعية :

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
في البيت	62	62%
في زيارة	26	26%
حالات أخرى	12	12%
المجموع	100	100%

(١) كمال عبد الرؤوف – نظريات وسائل الإعلام – الدار الدولية للنشر والتوزيع – القاهرة – 1992 ص 418

(٢) عدنان المبارك – الحدود بين الترفيهي و الإيديولوجي – مجلة الوحدة – عدد 89 –1992 ص 205

من خلال الجدول نلاحظ أن 62% من عينة الدراسة تقضي العطلة الأسبوعية في البيت ،أما 26% فتقضي عطلتها في زيارة الأهل سواء في الريف أو في مدن مجاورة أو قريبة ، أما 12% من أفراد العينة التي أن قضاء العطلة الأسبوعية أو كما يقولون (Week -End) إلا بالذهاب إلى مدينة أخرى للترفيه عن النفس و يبعد فيها عن جوّ البيت و العمل للاستراحة و إستقبال أسبوع جديد حافل بالتعب .

جدول رقم (33) يمثل كيفية قضاء العطل السنوية ـالصيفية-:

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
على شاطئ البحر	50	50%
السفر خارج الوطن	08	08%
السفر عند الأهل	30	30%
حالات أخرى	12	12%
المجموع	100	100%

في الجدول أعلاه نلاحظ أن نصف مفردات العينة و المقدرة ب 50% تقضي عطلتها السنوية على شاطئ البحر لما تتوفر عليه المنطقة من شواطئ جميلة و هادئة يقصدها معظم السكان. أما 30% من مفردات العينة فهم يسافرون عند الأهل و ما لاحظناه خلال إلقائنا لهذا السؤال أنه يقصدون أهلهم سواء في الريف أو مدن أخرى و هم بذلك يترددون باستمرار إلى شواطئ البحر القريبة من المكان الذين يكونون به.

أما 8% من مفردات العينة فهم يسافرون بانتظام إلى خارج الوطن لزيارة الأهل (الوالدين) أما الفئة المتبقية و المقدرة ب 12% هم من الذين يفضلون العمل بالصيف و يقضون أوقات فراغهم أو عطلهم الأسبوعية بترددهم على البحر أو أعمال أخرى.

قراءة الجرائد:

يقول إبراهيم إمام: "وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة و السينما والتلفزيون من أهم مميزات العصر الحديث"(1). فكيف هي اهتمامات أفراد العينة المبحوثة اتجاه الصحافة وقراءة الجرائد؟

(1) ابراهيم إمام، العلاقات العامة والمجتمع، المكتبر الغنجلوا – المصرية 1974 ص 174.

جدول رقم 34: يبين قراءة الجرائد

قراءة الجرائد	التكرارات	النسبة
نعم	55	55%
لا	45	45%
المجموع	100	100%

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن نسبة 55% يقومون بمطالعة الجرائد وهذا راجع إلى المستوى الثقافي أما نسبة 45% فهم لا يقومون بمطالعة الجرائد، ومن الملاحظة أن أغلب أفراد العينة الذين أجابوا بنعم فهم يطلعون الجرائد باللغة العربية، ويتابعون مستجدات الأحداث والإقبال البشري عن جريدة "الخبر " باللغة العربية بالمقابل الجريدة " Le quotidien" التي تصدر باللغة الفرنسية من غرب الجزائر وهران

و قد طرحنا سؤالا آخرا، لكي نعرف هل هم منتظمون على قراءة الجرائد يوميا أو أحيانا :

جدول رقم 35 :

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
يوميا	**31**	**31%**
أحيانا	**24**	**24%**
أبدا	**45**	**45%**
المجموع	**100**	**100%**

و نلاحظ من الجدول أعلاه أن 45% من مفردات العينة لا يقرؤون الجرائد أما الباقي فمنهم من يطالعها يوميا و هو مقدر ب 31% أما الباقي فيطالعها متى سمحت له الفرصة.

و بذلك طرحنا سؤالا أخرا عن ماهية المواضيع الذي يفظلون قراءتها؟ فهنا نجد أن الأذواق تختلف و أن هناك من يقرأ الجريدة من أولها إلى آخرها، و هناك من يقرأ صفحة التسلية فقط و آخرون يفظلون صفحة الأخبار الوطنية و الدولية و هناك من يقرأ الخانات التي توفر الخدمات...الخ.

خـــلاصـــــة:

تمثلت أهم النتائج التي كشفت عنها الدراسة بصدد الكشف عن النمط المعيشي للأفراد داخل مدينة الغزوات، كرد فعل لطبيعة الحياة داخل المدينة وإبراز روح التعاون بين السكان و هذا لا يعني أن الأحياء السكنية خالية من المشاكل بل فقد أبرزت الدراسة . وجود مشاكل داخل الأحياء نظرا لما تعانيه المدينة من انحرافات، وقد يساهم الأفراد في حل هذه المشاكل سواء بطرق قانونية كتبليغ الشرطة والمناطق المسؤولة، أو باللامبالاة وفي بعض الأحيان يلجئون إلى الطرق الودية للمصالحة.

أما فيما يخص تحديد النمط المعيشي لسكان الغزوات فمعظم المبحوثين أقروا على أنه يمزج بين الطابع التقليدي والحديث إضافة إلى نمط معيشة أسرهم وهذا ما نلاحظه في مدينة الغزوات على الرغم من أننا في الألفية الثالثة إلا أن السكان لازالوا متشبثين بتقاليد وأعراق توارثوها عبر الأجيال ومن يجيء إليها يتطبع بطابع سكانها.

هذا لا يقتضي على نمط العيش وإنما حتى المكان الذي يعيشون فيه على الرغم من تغير السكن وتوفر جميع متطلبات الحياة الحديثةمن تأثيث وتنظيم لهذا الوسط إلا أن شكل السكن والبناء يبقى دائما يستوفي شروط البناء في هذه المدينة.

كما أوضحت الدراسة الميدانية طبيعة العلاقات للأسرة إذ تغيرت أدوار الزوجة وأصبحت البنت ذات حقوق في التعليم خارج الوطن والمدينة مقابل أن تبقى العادات والتقاليد هي الطاغية في تسيير هؤلاء الأفراد.

الفصل الثالث

التغير الاجتماعي و الثقافي في الغزوات

لا يمكن معرفة التغيرات الاجتماعية و الثقافية في الغزوات إلا بالوقوف على أهم التغيرات التي حدثت في البناء الاجتماعي، و السبيل إلى تحقيقه يكون بالبحث عن أهم العوامل التي أدت إلى ذلك.

أولا- التوارث المهني عبر الأجيال

حاولت الدراسات الوقوف على طبيعة التغيرات التي حدثت في النسق الطبقي من حيث زيادة التمايز الاجتماعي وكثافته، والاختلاف الطبقي بين الأفراد ومدى تقبلهم لأوضاعهم الاجتماعية والمهنية، ويعتبر التعليم إحدى صور المجتمع المتحضر حيث من خلاله أصبح باستطاعة الفرد أن يحدد مركزه ومكانته في المجتمع المتحضر لأن التحصيل العملي هو مفتاح النجاح وسبيل التغير.

جدول رقم 36 : – يمثل التنقل المهني بين الأجيال.
حسب مهنة الأب.

مهنة الأب / المستوى المهني	فلاحة	صيد	صناعة	تجارة أعمال حرفية	إدارة وخدمات	النسبة
إداريون	6	6	9	6	8	35%
مختصون	7	2	4	7	4	24%
بسطاء	9	7	7	12	5	41%
المجموع	100					100%

دليلا على زيادة حدة التنقل الاجتماعي، نتيجة تأكدها القدرات الفردية لأفراد العينة، حاولت الدراسة أن تقارن بين التوزيع المهني للأفراد، بالتوزيع المهني لآبائهم حيث توصلت إلى أن توزيع الأفراد في العينة يغاير تماما توزيع آبائهم. إن المستوى التعليمي مكنهم من اختلال مكانا معينا في المجتمع.

ويتبين من المعطيات بروز عامل – المهنة- كعامل محدد للتوحيد الاجتماعي، وقد اتضح لنا من خلال أحكامنا عن العينة أن توزيعهم على المهن المختلفة أثر على تحديد مكانتهم داخل المجتمع. إلى جانب آخر ألا وهو مقدار الدخل ومدى اكتفاء الأفراد وأثر هذه العوامل في تحديد المكانة الاجتماعية لأفراد مجتمعه الذي هو منتم إليه. ففي هذا المجال يقول أحدهم:"إن المهنة تعمل على تشكيل الإنسان ككل فهي لا تحدد مقدار دخله، أو تغير من مظهره أو تحدد ملبسة وسلوكه، بل وأيضا تشكل عملياته العقلية من إدراك وإحساس، كما أنها تؤثر أيضا على معتقداته وتكيفه الفعلي، وأخلاقه وإيديولوجياته "[1].

فقد تبين أن نسبة 30% من العمال الإداريين مهنة آبائهم قد تركزت على الصناعة والإدارة والنسبة الباقية. تركزت في الفلاحة والأعمال والحرف، تليها نسبة

(١) السيد عبد العاطي السيد – التصنيع والمجتمع – دراسة تطبيقية في علم الاجتماعي الصناعي – دار المدقة الجامعة الاسكندرية 1986 ص 207

العمال البسطاء إذ أن معظم مهنة آبائهم كانت الصناعة والإدارة تليها نسبة المختصين بنسبة 24% مقسمة على الصناعة والأعمال الحرة والحرف.

بالنسبة للبسطاء فسجلت أعلى نسبة في الفلاحة ثم في الأعمال الحرة،والتجارة والحرف، وعند قيامنا بالمقابلة مع أفراد العينة لا حظنا أن آباء هذه الفئة كانوا إما فلاحين، وهم من نزحوا من الريف إلى المدينة الغزوات أو أنهم صيادون، بما أن الصيد هي المهنة الرئيسية للغزوات.

ويمثل ما كشفت الدّراسة الميدانية عن زوال الوراثة المهنية بين الأجيال لدى أفراد العينة كنتيجة مباشرة للتصنيع في هذه المدينة وكذا عملية النزوح الرّيفي إليها.
كما يستدل من خلال المعطيات على توسيع معدّلات التنقل المهني والتنقل الاجتماعي وتغيّره وذلك راجع على التغير الذي طرأ في المدينة من النّاحية المرفولوجية والعملية.

جدول رقم 37:التنقل المهني بين الأجيال حسب مهنة الجدّ

مهنة الجد / المستوى التعليمي	فلاحة	صيد	صناعة	تجارة أعمال حرّة الحرف	إدارة وخدمات	النسبة
إداريون	10	08	05	10	02	35%
مختصون	09	09	01	05	00	24%
بوسطاء	10	29	00	02	00	41%
المجموع	**100**					100%

يتبيّن من الجدول أعلاه أن معظم المهن المزاولة من طرف أجداد المبحوثين قد توزعت بين الفلاحة، الصيد والحرف. وهذا ما يبين أنّ التوارث المهني قد تغيّر من جيل إلى آخر وتبقى منحصرة في الجيلين السابقين دائما على الفلاحة والصيد بينما تغيّرت في الجيل إذ أنّ معظم المبحوثين دوي ثقافة عالية وتعليم لا بأس به وهذا ما مكنّهم من تغيّر مستواهم المهني.

جدول رقم 38 :الرأي بتعلّم الأبناء بنفس مهنة الأب.

العينة / الاحتمالات	التكرارات	النسبة
نعم	15	15%
لا	85	85%
لهم حق الاختيار		
المجموع	100	100%

يتبين من الجدول رقم 41 أنّ 85% من أفراد العينة يوافقون رأي حق اختيار الأبناء لمهنهم المستقبلية بالمقابل 15% من يرفضون ذلك.

وعن سؤالنا لأفراد العينة عن المهن التي يختارونها في المستقبل لأبنائهم فمعظمهم أجابوا بمهنة الطب للذكور ومهنة التعليم للإناث وهناك من يفضل لهم الأعمال الحرة.

-فيقول إطار، حامل لشهادة جامعية وعمره 37 سنة وأب لطفلين: "أفضل المهن الحرّة لأولادي، وأنصحهم بأن يبتعدوا عن الأمن، العدالة، المحاماة لأسباب أخلاقية".

-أمّا مبحوث آخر إطار كذلك عمره 50 سنة وأب لأربع فتيات فيقول: "بالتعليم سيستطيعون أن يحققوا ذاتهم ويساهموا في خدمة المجتمع".

-أما مبحوث آخر وهو عامل بسيط عمره 31 سنة وأب لطفل واحد وللعلم أنه لا يحمل أية شهادة عليا وقد اشتغل بالصيد من قبل وهي مهنة أبوه وجدّه وكذلك. فهو يعلّل بإجابته: "أنّه يجنّب بقدر الإمكان أبناءه مهنة الصيد لأن فيها عناءاًشديداً والدخل محدود وغير مضمون. أمّا في الصناعة أو الخدمات فالدخل مضمون بالإضافة إلى وجود ضمانات اجتماعية وفرتها الدولة".

فمن المبحوثين الذين يفضلون مزاولة الأعمال الحرّة لأن فيها أرباحاًطائلة حسب رأيهم.

و بالإضافة إلى ما أكدته الدّراسة الميدانية في حرية اختيار تخصصهم العلمي تبيّن لنا تلاشي ظاهرة التوريث المهني التي كانت سائدة في القديم. وقد توصلت الدّراسة إلى أنّ رغبة الآباء في أن يتبوأ الأبناء مكانة اجتماعية أعلى في السلم الاجتماعي، وتوجيههم إلى مهن تضفي عليهم قيمة اجتماعية، وتؤكد الدّراسة على حرص الآباء على تعليم الأبناء والبنات معا.

ورغبة الآباء في أن يحقق أبناؤهم مستوى معيشي أفضل وبهذا ذهبنا إلى طرح سؤال آخر على أفراد العينة وهو أين يرون الحياة الأفضل أهي في العمل بالصناعة أم الفلاحة أم التجارة؟ فأجابوا بما يلي:

جدول رقم 39 : يمثل الحياة الأفضل لدى المبحوثين.

الحياة الأفضل	التكرارات	النسبة
الفلاحة	57	57%
الصناعة	25	25%
التجارة	08	08%
أخرى	10	10%
المجموع	100	100%

من خلال هذا الجدول نستخلص أنّ أغلب المبحوثين يرون في الفلاحة التمتع بالحياة الأفضل ويمثلون 57% فرغم انتمائهم إلى الصناعة إلا أنّهم مازالوا يحنّون إلى الحياة الريفية. بالمقابل 25% من يفضلون العمل في الصناعة،08% في التجارة، 10% حالات أخرى.

"ممّا سبق نستخلص أن الهجرة الرّيفية إلى المناطق الحضرية ترتبط ارتباطا وثيقا برضاهم عن الحياة الريفية من جهة وانجذابهم إلى المدينة من جهة أخرى لاعتبارات، إلا أنّ العامل المهم هو العامل الاقتصادي إذ أنّ أغلبهم يهاجرون سعيا وراء العمل والأجر المنتظم المتوفرين في الدين"(١).

وما أثبتته الدّراسة الميدانية أن الحنين إلى الماضي يشتد مع اشتداد الأزمة، هذه الأزمة التي تفرض نفسها على الفرد كالوجه الغالب للحداثة والتقدم. وبالمقابل يبقى هذا الفرد يحبذ إيجابيات التحضر والحياة الحديثة وهو يتمنى بتوفير العناصر الموجودة في عالمه الزراعي وهذا ما يؤكد قول "P. Bourdieu": "الفلاحون يتمنون كلّهم وجود في الزراعة الفوائد المقترنة بالعمل المأجور"(٢).

(١) محمدة الجوهري وعليا شكري وآخرون. دراسة في علم الاجتماع. دار المعارف بيروت لبنان. 1994. ص: 195.

(١) P. Bourdieu et Sayed. "Le Déracinement " Ed de Minuit, Pais. 1964. Page : 62.

ثانيا- العادات والتقاليد في مدينة الغزوات:

كثيرا ما تستعمل هذه المصطلحات إلى جانب العزف واحد. حيث لا يفرق بين المعنى الدقيق لها.

فإذا رجعنا إلى المنجد وبحثنا عن معنى العادة نجد أنها من جمع عادات وهو ما عاود فعله الشخص حتى صار يفعله من غيرتهم أو هو فعل يتكرر على ويترته واحدة[1]. ويعرفها أحد العلماء بأنها سلوك متكررة يكتسب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيان ويمارس اجتماعيا، ويتوارث اجتماعيا[2] وهناك رأي نقيض لرأي هذا العالم يقول: "أن هذا ليس معنى أن كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات فهناك أنواع من السلوك المتكررة تعتبر عادات خاصة بالفرد، أي هي شخصية أي أنها ليس عادات تشترك فيها الجماعة"[3].

أما "إدوارد سابير - Edward Sapir" فهو يرى أن هذا المصطلح يستعمل للدلالة على مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وتترسمها تقليديا"[4] وهذا يعني أن من أهم الصفات التي تتميز بها العادة الاجتماعية هي من عمل جماعي تتصف به الجماعة وتعمل على اتباعه، عكس العادة الفردية التي تعتبر استجابة شخصية لظروف حياة الفرد.

ولذلك تعتبر العادات – وهذا حسب رأي علماء الإجتماع - هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية[5] ففي كلّ جماعة من الجماعات تنشأ أفعال،وممارسات،وإجراءات،وطرق يقوم الأفراد بمزاولتها لتنظيم أحوالهم وكذلك للتعبير عن أفكارهم وما يجول في مشاعرهم ،وبفضل التكرار تصبح الآعمال والآفعال والآجراءات عادات أصيلة و أعرافا يعتزون بها ولذلك تعد العادات عاملا جوهريا من أكبر وأقوى عوامل التنظيم والضبط في علاقات الأفراد في داخل المجتمع ككل، فهي تسهل لهم أفعالهم وتحدد منطق الترابط و التعامل فيما بينهم.

تبرز أهمية دراسة العادة الاجتماعية، إذ تتجسم فيها القيم التي تعطي الثقافة طابعها الخاص والتي يميزها عن غيرها من الثقافات. والعادة الاجتماعية تشتمل على أقسام عديدة وهي تتضمن كل ما تواضع عليه الناس من عادات اتفاقية و عرف

---

(١)المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم ، المرجع سابق ص: 876.

(٢) د. فوزية دياب، القيم والعادات الأجر، بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية –جار النهضة العربية –1980. ص: 105.

(٣). المرجع نفسه. ص: 105.

(٤). المرجع نفسه. ص: 106.

(٥) مكيفر وبيج –المجتمع– ترجمة د–. سمير نعيم أحمد –ج١– مكتبة النهضة المصرية–1981. ص:41.

ومحرمات و سنن وتقاليد وأذات لياقة و شعائر و طقوس ومراسم وممارسات و موضات .[1] وفروع العادات الاجتماعية السابقة الذكر تختلف بعضها عن بعض من حيث درجة الإلزام ومدى الشيوع والانتشار فمنها ما هو ملزم ومستحدث كالموضات وما هو ملزم وقديم و عريق في القدم كالعرف والمحرمات- والعادات الاجتماعية تختلف باختلاف الثقافات، ولكنها مهما اختلفت فهي تكون دائما المحتوى والأساس لكل ثقافة. فالعادة تنمو مع التجربة وتنبثق من المحاولة والخطأ فيسير وفقها الفرد دون وعي منه، حيث يرى نفسه ملزما بمراعاتها حتى يجاري من يعيش بينهم وينسجم معهم. وفي هذا المجال عبر "سمنر -Simner" عن قوة العادة حيث يصبح الإنسان أسيرا لها طول حياته وأسيرا أيضا للممارسات القديمة[2].

وبذلك تصبح العادات التقليدية حيث هي عادات قديمة متأصلة الراصخة في الثقافات وتدوم طويلا، فيأخذها الخلف عن السلف فالإنسان يولد في عادات وجدت قبلة وقد تتغير بعض الشيء في حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة[3].

وتتميز العادات الاستمرارية حيث هي متوارثة في نطاق التراث في دون تغير يذكر إلا في ظاهرها العام، أما جوهرها فيبقى في الغالب على حالته الأولية وهي كغيرها من مظاهر التراث الاجتماعي لا يمكن أن تسلم من التغير حيث ممارستها من طرف الجماعات البشرية تكون موضعها للتطور والتجديد مع نحوها دائما إلى المحافظة على مضمونها فتقول الدكتورة فوزية في هذا الموضوع: "يتعلق الناس بطرقهم القديمة المعروفة وعاداتهم المألوفة، ويطمئنون إليها، ويجمدون عليها مؤثرين ذلك، على الضرب في بيداء المجهول، فقد تؤدي العادة الجديدة التي لم تجرب بعد إلى ضرر مثلا ولو في أول الأمر، وأسوأ حال من العادات القديمة التي استقرت وألفها الناس"[4].

ومن بين الصفات المميزة للعادات التقليدية نتناول التقاليد، وإذا اتصف السلوك بأنه تقليدي سيستشق من ذلك أن مزاولته دامت حقبا طويلة، وإنه محاكاة لسلوك القدامى ومثوارت عنهم.

وهذا المعنى نجده في المعجم الوسيط إذا أن التقاليد أو العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلق السلف[5].

---

(١) د. فوزية دياب القسم والعادات الاجتماعية، المرجع السابق. ص: 110.

(٢). المرجع نفسه. ص: 121.

(٣). المرجع نفسه. ص: 152.

(٤). المرجع نفسه. ص: 162.

(٥) المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ج٢ : 1961. ص: 241.

ويقابل هذا المعنى في اللغة الفرنسية –Tradition- وهي من اللاتينية Traditio وتعني عملية الانتقال، ونجد أربعة معني مختلفة للفعل نفسه: "الفعل الذي من خلاله نسلم شيء لأحد" " انتقال الحوادث التاريخية، معارف دينية، أساطير ،من جيل إلى آخر وبطرق شفوية وغير مكتوبة". "خصوصا في الديانات المسيحية، فكانت المعارف الدينية تدرس في الكنائس وهي عبارة عن معارف فقط توارثت وليست مدونة" والمعنى الأخير "كل ما نعرفه أو نمارسه بالتقليد ، يعني أنه ينتقل من جيل لآخر عن طريق الكلام أو التمثيل"(١).

فالتقاليد لا تقتصر على الحفاظ ولا على الانتقال للمعارف السابقة وطبيعتها ليست بيداغوجية فقط ولا إيديولوجية فهي قد تكون منطقية ومجردة من أي شعور كان.
إن التقاليد تعمل على أن يكون الجديد كما أنه لو كان في السابق، وهي ليست محدودة على المعرفة لثقافة واحدة وإنما هي معرفة طبق مسار الحياة لفئة من البشر عبر التاريخ ومتناقلة من جيل إلى جيل(٢).

ويضيف نفس الكاتب في كتابه – علم الرموز- "أن الثقافة يجب أن تتكيف وتتلاءم مع الوسط الطبيعي لها، من خلال تقاليد ملائمة وشروط خاصة بوجودها"(٣). هذا يعني أن ما يفعله الإنسان مرة ويستحسنه يميل إلى فعله مرة أخرى، فمرات، و إذا ما تكرر بفعله ، و كان لا يزال يستحسن و يستسهل فإنه يود أن غيره يفعله أيضا، ويمكننا القول أن التقاليد كالدرب الذي كلما طرقه المارة تمهد وسهل السير فيه، حتى أنهم يستطيعون في آخر الأمر العدول عنه إلى درب آخر غير مطروق"(٤). إن فكرة التوريث هنا فكرة تميز التقاليد والتمسك أيضا بهذه العادات والحرص عليها ضروري ثم تنقل إلى الجيل القادم وهكذا.

مما سبق نتبين أنّ التقاليد من العادات التقليدية المتوارثة تمارس في جماعة بشرية وفق ظروف ومناسبات خاصة والواقع أن للتقاليد أهمية قصوى في تماسك الجماعة.

إنّ الوظيفة المركبة للتقاليد لا تقتصر على ثقافة جماعة محدّدةمن خلال شروط السكن والوسط الطبيعي التي تنتمي إليه هذه الجماعة فمثلا الشعوب البدائية تلعب التقاليد الدينية دوراً هاماًفي استمرارية البقاء لدى هذه الجماعات، فمن خلال قيمهم

---

(١)Dictionnaire de la langue Française.؛P103

(٢) Alleau Renè, Tradition, Paris. Puf 1968.

(٣) Alleau René, Science des symboles. Paris Payot. 1976. Page : 43.

(٤) د. فوزية دباب، المرجع السابق. ص: 165.

الأسطورية والرمزية، تجعل هؤلاء الجماعات تقاوم الاعتداءات والتوترات التي تأتي من الوسط الخارجي. وهذا ما لاحظه بعض الأنثروبولوجيين عندما قاموا بوضع دراسة على بعض الجماعات البشرية التي تقطن في إحدى الجزر بالمحيط*. حيث قام الإنجليز المحتلين لهذا الجزء بوضع قانون حرّمهم بتطبيق عادات وتقاليد أجدادهم وكما يعرف إن هذه الجماعات البدائية لهم ثقافات مبنية على تقاليد الأجداد كالدّيانات وعلاقتها بالسحر والشعوذة فعندما وضعوا هذه القوانين كأنهم خلعوا هذه الجماعات من جذورهم، وبعد مدّة زمنية مضت لوحظ أنّ الولادات بدأت تقل عن هذه الجماعات وأدى بهذه الجماعات بالاندثار إلا أن تلاشت ولم يبقى على الجزيرة ولا فرد واحد(١).

ومن هنا نستخلص أن التقاليد تعمل على تنشأة قيم المجتمع، وبناءا على هذا يكون التمسك بالتقاليد معناه استمرار لهذه التصورات الجماعية واستمرار الاعتزاز بالماضي وذكرياته، وهذا الاستمرار في الاعتزاز بالماضي وبقيمه ومعتقداته وأفكاره لا يمكن تفسيره إلا "بوجود "ذاكرة اجتماعية-Mémoire collective" لا تنسى الماضي البائد، وإنما تذكره على الدوام ذكرا حسنا"(٢).

متعلق بالعادات والتقاليد الذي قد اكتسبها من أسلافه وهو مطالب لتوصيلها لخلفه وكذلك ما تأثر به القادمون إلى مدينة الغزوات من عادات وتقاليد هذه المنطقة ومظاهر التحضر الذي بدت على هذه الأسر.

وبما أنّ الزواج هو إحدى القيم والعادات الاجتماعية المتعلقة بتكوين الأسرة ارتأينا أن نتطرّق لهذا الموضوع من خلال الأسئلة التي طرحت على عينة البحث.

الزواج وطرق إحيائه في الغزوات:

فالزواج كما تقول د. فوزية دياب:أساس تكوين الأسرة، وهو نظام من أهم النظم الاجتماعية في حياة الأفراد والمجتمعات ويتمّ دائما وفق أوضاع يقرّها المجتمع وفي حدود يرسمها ويعينها(٣).

فبالنسبة لطرحنا السؤال المتعلق بتغيّر طريقة إحياء الزفاف عن الماضي فقد استقينا الإجابات التالية من فئة المبحوثين.

---

* Ile d'Eddystone dans le pacifique.

(١) R. Alleau. La science des symboles, OP Cit. Page : 59.

(٢) د. فوزية دياب. المرجع السابق. ص: 180.

(٣)المرجع نفسه. ص: 245.

جدول رقم 40 : يوضّح طريقة إحياء الزفاف.

العينة	التكرارات	النسبة
تغيّرت	90	90%
لم تتغيّر	00	00%
حالات أخرى	10	10%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن 90% من مجموع أفراد عينة البحث يقرون أن طريقة إحياء الزفاف تغيّرت عن الماضي تغييرا كليا مقابل 10% منْ مَنْ هم يرون أنّ طريقة إحياء الزواج طرأت عليها تغيّرات ولكن لازالوا سكان الغزوات متمسّكين بعاداتهم. فبما أنّ التغيّر سنة الحياة والاختلاف هو ما يميّز الشعوب، فالزواج كذلك يختلف باختلاف المجتمعات، فهو يختلف في أشكاله كما يختلف في الوسائل التي يتم بها وترتكز كل هذه الاختلافات على القيم السائدة والتي تعتزّ بها النّاس في كل ثقافة من الثقافات.

فالزواج في الثقافة الغزواتية يخضع لعادات اجتماعية معيّنة وهذا لا يمنع أنّ هذه العادات التقليدية دخلتها بعض الاستحداث أدّى بالأفراد الغزوتيين بإدخال الطابع الحديث في إحياء الزفاف وهذا ما جاء في مقال بجريدة "Le quotidien d'Oran" حيث يقول الصحفي: "إنّ طرق إحياء الزفاف قد تغيّرت فبعدما كان هذا الوقت من السنة هو في نفس الوقت طريقة لإحياء الزفاف فهو في الوقت نفسه طريقة لإحياء الفلكلور التي تعرف به ليست الغزوات فقط بل كلّ تلك المنطقة (سوق الثلاثة بمنطقة المسيردة)[1]. أمّا بإختلاف الزمان، قد اختلفت العادات،.. فمن موسيقى (الشيخ الطيب) إلى الأضواء الملوّنة وأغاني الشباب الذي اكتسحت أشرطتهم الأسواق..."[2].

(١) Belbachir Djelloul- Ghazaouet, les mariages ne sont plus ce qu'ils étaient, le Quotidien d'Oran. Mercredi 25 août 1999. Première Partie.

(٢) Belbachir Djelloul GHAZAOUET.les mariage ne sont plus ce qu'il étaient le Quotidien d'Oran .. Jeudi 26 Août 1999. 2eme Partie

جدول رقم 41: - الرأي في الزواج الأقارب:

العينة	التكرارات	النسبة
يوافقون	33	33%
غير موافقون	67	67%
المجموع	100	100%

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن 33% من عينة البحث يوافقون في الرأي على زواج الأقارب بمقابل 67% من هم يرفضون هذا الزّواج ومنهم من علّل على إجابته أنّه زواج منظم من خلال الأسرة، تعتبر طريقة تقليدية كان يرجع إليها أسلافه فشباب اليوم يريدون أن يتزوجوا بطريقة حديثة

جدول رقم 42 : علاقة القرابة بين المبحوث وزوجته:

العينة	التكرارات	النسبة
توجد	42	42%
لا توجد	28	28%
حالات أخرى	30	30%
المجموع	100	100%

يلاحظ من الجدول أعلاه أن 42% من المبحوثين متزوجين من أقارب لهم سواء بنت عم أو بنت خال، مقابل 28% من هم متزوّجين من غير أقاربهم أي لا وجود لعلاقة القرابة بين المبحوث وزوجته، أمّا الباقي 30% فهم المطلقين ومن لم يسبق لهم الزواج أم من يملكون أكثر من زوجة.

- وفي هذا الإطار طرحنا سؤالا على فئة المبحوثين عن سبب تعدّد الزوجات وللإشارة 3% فقط من المبحوثين هم من تعدّدت زوجاتهم والسبب الرّئيسي هو عدم الإنجاب أو مرض الزوجة الأولى وبما انهم تربطهم علاقة القرابة كان من الصعب الطلاق لكي يتفادى المشاكل مع الأقارب.

- أمّا عن سؤالنا عن سبب الطلاق بالنسبة لفئة المبحوثين أنّ السبب الرّئيسي هو عدم التفاهم أو عدم الإنجاب.

أمّا عن سؤالنا عن سبب عدم الزواج للشبان الذين تجاوز عمرهم 30 سنة فيعللون عن سببهم هذا غلاوة المعيشة وغلاوة المهور الذي تطلبها الفتيات الغزوتيات بالإضافة إلى حلم العديد من الشبان المبحوثين بالهجرة هذا الحلم الذي يراود معظم شبان الجزائر إن لم نقل كلّهم.

إحياء العادات والطقوس الدينة:

ليس طرق إحياء الزواج فقط عادات يحيونها هؤلاء الأفراد بل هناك عادات أخرى كإحياء الطقوس الدّينية وفي هذا الصدد طرحنا سؤال عن مفردات عينة البحث واستقينا الإحصائيات التالية.

جدول رقم 43 : يبين المساهمة في الطقوس الدينة (كالوعدة والجنازة).

العينة	التكرارات	النسبة
نعم	61	61%
لا	19	19%
حالات أخرى	20	20%
المجموع	100	100%

ما نلاحظه من خلال النسب التي هي مبينة في الجدول أعلاه أنّ 61% من عينة البحث يساهمون في إحياء بعض الطقوس الدينية كالجنازة و الوعدة، إلاّ أنّ ظاهرة الوعدة في الغزوات قليلة إلاّ تلك التي تقام سنويا في ضواحي المدينة وبالضبط في منطقة "سيدي يوشع" والتي يحضرها أناس من مناطق مختلفة من الجزائر.

19% من مفردات عينة البحث لا يساهمون في إحياء هذه الطقوس بالمقابل 20% من المبحوثين من يشاركون في إحياء هذه الطقوس إلاّ أنهم يعلقون عن إجابتهم أنّ مشاركتهم هذه تكون في مدينتهم الذي ينتمون إليها ومع عائلاتهم. لأنّهم لا يعرفون كثير من أفراد هذه المدينة أو بمعنى آخر، علاقاتهم محدودة مع معارفهم في مدينة الغزوات.

- جدول رقم 44 : وجود صناعات تقليدية ممارسة من طرف السكان

العينة	التكرارات	النسبة
توجد	05	05%
لا توجد	83	83%
حالات أخرى	12	12%
المجموع	100	100%

يتضح من البيانات التي تضمنها الجدول رقم 44 أنّ 83% من عينة البحث يقرّون أنّه لا توجد حرف أ و صناعات تقليدية يمارسها سكان الغزوات ويعلقون عن إجابتهم هذه أنّه بتوفر كل ملزمات الحياة الحديثة والبسيطة أصبح الفرد الغزواتي يقتني ما يحتاجه من المحلات التجارية، وذات جودة، فقد ابتعدوا عن صناعتهم لما يحتاجونه بأيديهم كصنع الأواني الفخارية مثلا.

05% من مفردات عينة البحث مع العلم أنّهم ذو أصل ريفي يقرّون أن الصناعات التقليدية أو جزء منها لا يزال يمارس من طرف السكان أو كما يقول ليست صناعات بل حرف مثلا، كخياطة الشبك بالنسبة للصيادين، ويقول أبو القاسم سعد الله أنّ: "الصناعات التقليدية كانت كلّها ذات شأن في الجزائر، بعضها كان رائجا في الداخل والخارج، ولكن الاحتلال أوقف مصانعها وشتت أهلها، وأفقر من بقي منهم"[1].

أمّا عن سؤالنا عن إحياء بعض الاحتفالات السنوية مع العائلة، فمعظمهم أجابوا أنّها احتفالات الأعياد الدينية (عيد الفطر، عيد الأضحى، المولد النبوي) بنسبة 63% والباقي 37% من مفردات العينة لا يحبونها مع عائلاتهم بل يكتفون بزيارتهم فقط وهم يحيون أعياد ميلاد أبنائهم ويكتفون باستدعاء بعض الأصدقاء فقط.

خلاصة:

حاولت الدراسة في هذا الفصل أن تكشف عن مظاهر التغيّر الاجتماعي والثقافي، فقد توصلت الدّراسة الميدانية إلى ما يلي:

- أوضحت الدّراسة أنّه على الرّغم من أنّ سكان المدينة لازالوا متشبثين بعاداتهم وتقاليدهم إلاّ أنّهم قد تأثروا بعادات أخرى ربّما هي قد أتيت بها من طرف هؤلاء الوافدين في نفس الوقت الذي تأثر هؤلاء الآخرون بعادات المدينة العريقة وذلك بارز في طرق إحياء الحفلات والأعراس والطقوس الدّينية كالوعدات والمولد النبوي الشريف وكذا عملية الختان، أمّا فيما يخصّ الصناعات التقليدية فشأنها شأن معظم البلدان الجزائرية فمعظمها تلاشى والسبب راجع إلى توفر جميع ملزمات الحياة الحضرية السهلة، بينما في الماضي كانوا الحرفيين يقومون بتوفيرها. فحلت محلّها التكنولوجية لكي تزول وتندثر، وهذا ليس غلطة الفرد الغزواتي أو الوافد إليها ولكنه غلطة التكنولوجية الحديثة في العالم الجديد.

(١) أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج 8. ص: 364.

الخاتمة

تلخيص عام لنتائج البحث:

حاولت الدراسة في الفصول السابقة، استعراض أهم المنطلقات النظرية والمنهجية للبحث في مظاهر التحضر و التغير الاجتماعي وذلك باستعراضها لأهم النتائج التي استاقتها الدراسة الميدانية التي أقيمت على إحدى المجتمعات الجزائرية والتي هي مدينة الغزوات .

هذه المدينة التي عرفت تحولات سوسولوجية و ثقافية خلال السنوات الأخيرة ولا زالت تشهدها خصوصا بعد تحقيق المشاريع التنموية .

فقد أوضحت الدراسة أن النمو الحضري في هذه المدينة لم يرتبط بدخول التصنيع إلى هذه المنطقة ،بل قد ارتبط ارتباطا وثيقا بأسباب تاريخية تتعلق بالظروف الاستعمارية شهدها في فترة مضت والظروف التنموية لما بعد الاستقلال، وما ساعد على نمو التحضر في المنطقة هي الزيادة الهائلة في موجات الهجرة التي عرفتها الغزوات وبالتالي الانفجار السكاني ولقد استفادت من الخدمات المدنية وامتيازاتها وكذلك استفادت من النمو المدينة الذي كان محصورا في نواة المدينة أي وسط المدينة المطل على البحر إلى توسيع هذه الأخيرة وما نتج عن هذا التوسع انتقال الخدمات والصحة والتعليم الذي كان محصورا فقط في قلب المدينة إلى المناطق التجارية الجديدة التي امتدت إليه مدينة ،زيادة على ذلك، النمو العمراني الهائل الذي له علاقة وطيدة بالانفجار السكاني للمدينة والزيادة الطبيعية التي عرفتها في حقبات زمنية مختلفة تقسّمت في فترة النشأة وقدوم المستوطنين الفرنسيين وتوسع العمران وما يميّزه من أنّه عمران أوروبي بحث خصّ

المدينة القديمة في تلك البنايات الأوروبية المشيّدة على امتداد الشوارع الثلاثة الرئيسية إضافة إلى تلك المعالم التاريخية كالكنيسة،دار البريد والمواصلات، الدرك الوطني والجمارك،... وامتزاج هذا العمران بطابع المدينة العربية والبنايات التي خصّت المنطقة خاصة بعد الاستقلال.

وعلى هذا يمكننا أن نقول أن وسط هذا العمران البشري امتزج الماضي بالحاضر، إذ أنّ لكل ثقافة إنسانية نمطها، فإنّ ثقافتنا التاريخية وامتداد لنا المعاصرة ما هي إلا أجزاء من نمطنا الثقافي وفي هذا المجال يقول أحدهم:"فالواقع المعيشي هو الجمع بين الأصالة و التحديث أي التشبث بالمعمار القديم الباقي وترميميه وإحلال معمار حديث محل المهدوم" فالبناء الحديث هو إبراز بعض الجماليات الحديثة التي يجري عليها الحرص في البناء الجديد كبروز المساحات الخضراء، الساحات، الحدائق العامة، تعبيد الطرق، مع أن هذه الأشياء كلها كانت متوفرة منذ تأسيس هذه المدينة وقد تلاشت مع الزمن وذلك راجع إلى عدم التخطيط الجيد – فإن الحرص على تطبيق هذه المشاريع هو:"الحفاظ على الموروث في الوسط الجديد، فإن هذا الموروث هو روح المدينة، والعادات والتقاليد وأنماط المعيشة والسكن وأنساق التعبير على اختلافها وتداخلها"[1].

إن التطور سنة الحياة، والتطور العمراني يمهد ويواكب التطور الاجتماعي الذي يعكس مناحي عيش الأفراد وسلوكياتهم وأدبياتهم، ومن هنا نفهم أن المحافظة على الموروث في إطار الاستخدام الحديث

(1) نادر سراج، التواصل الإنساني بين الموروث الشعبي والعمران المستقبلي مجلة الثقافة، البحرين – السنة الخامسة العدد 20 أفريل 1999. ص: 161.

لإستمرارية هذا الشاهد على عادات الفرد وأعرافه وأنماط معيشته وسكناه، فالتطور والتغير لا ينقصان مفهوم الحفاظ على الموروث، لأن التطور يتم ضمن أوليات تحفظ ما هو قابل للحياة، وتسقط ما تداعي وذهبت وظيفة وفائدته.

وهذا التطور والتغير هو ما أوضحته الدراسة أن شكل التغير الذي حدث في الدول الغربية لا يمكننا تكراره بنفس الصورة لأن هذه المجتمعات تكشف عن الاختلاف في البناءات الاجتماعية والخصائص الثقافية والإيديولوجية التي اختصت بها- وبناء على هذه التصورات، كشفت لنا الدراسة الميدانية عن بعض التغيرات المتصلة بالمظاهر الحضرية .

- اتجاه مجتمع البحث نحو التحضر وذلك ارتكازا على بعض المتغيرات المادية كالعمران وكذلك الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي للأفراد وكذلك التكيف مع المجتمع الذي تنتمي إليه وما إكتسبه من تقاليد من تلك الأفراد التي ولجت إلى المدينة في فترات هجرية متفاوتة وهذا باد جليا في تغير بعض العادات الاجتماعية مثل طريقة إحياء الزفاف الذي تغيرت بـ 90% حسب المبحوثين و إمتزاجها إلى حد ما بالطرق الجديدة في إحيائها و كذا تلاشي أفراد الأسرة الواحدة فيما بينها بنسبة 67% وهذا لا يعني أن أفراد الغزوات قد ابتعدوا عن عاداتهم وتقاليدهم بل هناك عادات لا يزالون يحافظون عليها كطريقة إحياء الوعدات، الجنازات، الختان وهي ممارسة بنسبة 61%، مقابل تلاشي الصناعات التقليدية بـ 83% .

وما يعد مؤشر للمجتمع هو انتقال هذا الأخير كما يقول أحدهم من "مجتمعات تقوم على الزراعة إلى مجتمعات أكبر بوجه عام، ويتركز نشاطها في الحكومة والتجارة والخدمات"[1]. ويعد الانتقال نحو الأعمال الغيرالزراعية هو عملية انتقال نحو التحضر وذلك يظهر النمط الخاص للتفاعل والعلاقات الاجتماعية للأفراد التي امتازت بالسطحية التي كان يقوم عليها المجتمع التقليدي إلى ما تستند إليه حاليا من أسس جديدة تراجعت فيها عوامل القرابة، والأصل الأسري، وانتشار الخلافات ورغم هذا نجد أن روح التعاون بين السكان لا زال باقيا ويقدر بـ 63%، وعلى الرغم بظهور السلوكيات الانحرافية داخل مجتمع البحث بـ72% وهي تفشي ظاهرة المخدرات والخمور بالمقابل نجد أن سيطرة وسائل الظبط الرسمي تقدر بـ 26% بمقابل اللامبالاة التي تقدر بـ 28% وقد سيطرت عليها طرق الصلح الودية والنصح والتوجيه وتبليغ الأولياء كوسيلة لحل الخلاف، وقد شملت هذه الاتجاهات المستحدثة اتجاه الأسر إلى التجديدات والسعي لتحقيق المستوى المعيشي الأفضل، وعلى رغم ذلك فقد أعطتنا الإحصاءات التي أجريت على أفراد العينة أن رغم تغير النمط المعيشي لسكان الغزوات فهو يبقى دائما يجمع بين التقليدي والمتحضر وقد قدر بـ48% مقابل سنة 78% التي وصفوها بالجمع بين التقليدي والحديث إثر تقييمهم لأسرهم ونمط معيشتهم ومما سبق من خلال ما استقيناه من نتائج أخرى على الرغم من أن التحليلات تقودنا وتؤكد على تعايش عدة أنماط حضرية، إلا أن المجتمع الغزواتي هو نمط

(١) السيد عبد العاطي السيدن التصنيع والمجتمع، المرجع السابق. ص: 134.

تقليدي للتحضر، وهو يتضمن تحول في البناء الاجتماعي من مضمون تقليدي إلى إطار مستحدث و قد تواصلت الدراسة إلى أن المعايير التقليدية للترتيب الطبقي القائم على القرابة والموطن الأصلي قد تلاشي وهذا ظاهر في زوال ظاهرة الوراثة المهنية حيث أن 85% من مفردات العينة أتموا على أن للأبناء الحق في اختيار مهنهم المستقبلية. وهم بالتالي يفرون أن الحياة الأفضل في الفلاحة وقد قدر بـ 57% وعلى الرغم من ذلك فهم يتجهون إلى أعمال أخرى.

أما التغير الذي وقع في البناء الاجتماعي كشفت عنه اتجاه الأسرة نحو الشكل النووي، ولكن هذا لا يعني أن مجتمع البحث لم ينفصل كلية عن وحدات القرابة الممتدة واستمرار وجود الأسر التي تضم الأقارب المقيمين بها، وهذا استمرار نسبي لنمط العائلة الممتدة.

وما استخلصته الدراسة هو تحول مكانة المرأة داخل الأسرة والعلاقة بينها وبين زوجها حيث أصبحت تشارك الرجل في العمل،وفي التعليم وفي اختيار الزوج كذلك إلا أن مجال الحرية الأخلاقية والاجتماعية لا يزال محدوداً أمامها، على الرغم من تدعيم مكانتها داخل الأسرة. ومهما أن 58% من مفردات العينة يوافقون على عمل البنت خارج مدينة الغزوات إلا أن رفضهم لمتابعة الدراسة خارج الوطن أو داخله يبقى جليا في إجاباتهم التي قدرت بـ 59% بالنسبة للداخل و 96% بالنسبة لخارج الوطن.

أما فيما يخص موضوع اختيار الزوجة بالنسبة للابن فهو له الحق وهم يوافقون هذا الأمر بـ 68% مقابل رفضهم 52% للفتاة في اختيار الزوج.

وكما سبقت الدراسة الميدانية فقد أظهرت أن 91% من المبحوثين يفضلون استقلالية الأبناء في العيش بمفردهم وهذا ما يعكس لنا المزج الظاهر في النمط المعيشي لهؤلاء السكان والذي يمزج بين التقليدي والعصري الحديث.

وإن التروبح يتطلب تحرر الإنسان من وظائفه الاجتماعية[1] وهي عبارة عن مشاغل للإنسان يتسلى بها ليكون شخصه وينمي معلوماته وبها يكون قد تخلص من واجباته المهنية والعائلية.

والغزواتي كمجتمع يعيش على طول الساحل من جهة ومن جهة أخرى تمتد هذه المدنية إلى مناطق جبلية بها غابات ذات مناظر مثيرة، فنجد أن الترويح في مدينة الغزوات ينقسم إلى نوعين فقد يتجه البعض في أوقات العطل خاصة الصيفية إلى المناطق الريفية للقضاء العطل وسط الجو العائلي هناك وقضاء بعض حفلات الزفاف، أما البعض الآخر فيتجه نحو شاطئ البحر لقضاء صيفه ومن أجل راحته.

(1) Joseph, Dumazedier, civilisation du loisir, Paris, Ed seuil 3eme édition 1983. Page : 32 ,33.

الملاحق

دليل المقابلة

1. السن :
2. مكان الازدياد:
3. المستوى التعليمي :
4. الشهادات المتحصل عليها:

نوعية الشهادة	تاريخ الحصول عليها	المكان

5. المهنة الحالية : (المنصب الذي تشغله حاليا).
6. مكان العمل:
7. المهن التي زاولتها :

المهنة	التاريخ من .. إلى ..	مكان العمل	أسباب التغير

8. الحالة العائلية : متزوج☐ ، مطلق☐ ، أعزب☐ ، أرمل☐.

* في حالة الزواج : – عدد الأولاد : .....
  – كم كان يبلغ عند الزواج : ...
  – مهنة الزوجة : ..
  – المستوى التعليمي للزوجة : ..
  – علاقة القرابة بين الزوجة والزوج :..

* في حالة تعدد الزوجات : – عدد الزوجات : ..
  – سبب التعدد : ..
  – مهنة كل زوجة :..

الأطفال	العمر	المستوى التعليمي	حالته الصحية	مهنته
الطفل الأول الطفل الثاني الطفل الثالث				

* في حالة الطلاق : ما هو سبب الطلاق : ...
* في حالة العزوبة : إذا كان المبحوث تجاوز الثلاثين من العمر، يسأل لماذا لم يتزوج ؟

9. مهنة الأب :
10. مهنة الجد :
11. مكان الإقامة :
12. هل الإقامة : دائمة☐ ، مؤقتة ☐ ، غير ذلك☐

- أذكر في الجدول أماكن الإقامة منذ الولادة .

	كان يقيم بـــ :	انتقل إلى	سبب الانتقال	كان يبلغ من العمر
المرة الأولى	حي: مدينة:			
المرة الثانية	حي : مدينة:			
المرة الثالثة	حي : مدينة :			

13. طبيعة الحي الذي يسكنه المبحوث :
قصديري☐ ، شعبي☐ ، راقي☐ ، صناعي☐ ، عمارة☐ ، غير ذلك☐.
14. نوعية السكن : ملكية خاصة☐ ، سكن وظيفي☐ ، كراء☐ ، حالات أخرى☐.
15. الأفراد الذين يسكنون في نفس السكن :
   - عددهم :
   - من هم :
16. تحدث عن تأثيث المنزل : برابول☐ ، الإعلام الآلي☐ ، الهاتف☐ ، سيارة☐.
17. ما هي علاقتك بالريف ؟
18. هل لك منزل بالريف؟ كم مرة تزوره في الشهر؟ ما هو شعورك عند زيارتك الريف؟
19. هل تملك قطعة أرض ؟ هل تقوم بخدمتها ؟ هل تنوي خدمتها يوما ؟
20. هل تفضل العمل في المصنع ، أم في الإدارة، أم الفلاحة أم مزاولة مهنة أخرى كالتجارة مثلا ؟ لماذا ؟
21. إذا كنت عاملا في المصنع أو الإدارة هل لك شغل آخر ؟ نعم☐ لا☐
   - في حالة نعم ما هو هذا الشغل ؟ ومنذ متى تقوم به ؟
22. هل لديك أصدقاء ؟
   - في المعمل : نعم☐ لا☐
   - في الحي الذي تقيم فيه : نعم ☐ لا☐
   - في حالات أخرى.

23. هل تتبادلون الزيارات في البيت ؟ نعم☐ لا☐
- في حالة لا لماذا ؟

24. هل أنت منخرط في جمعية محلية (ثقافية ، رياضية، علمية) ؟
* في حالة نعم : - اسم الجمعية : ..
- تاريخ الانخراط : ..
- أهدافها : ..
- الوظيفة المسندة إليك في هذه الجمعية :..

25. ما هي المشاكل الخاصة بالحي الذي تقطن فيه ؟

26. ما هي الانحرافات التي تعاني منها مدينة الغزوات ؟

27. هل ساهمت في حل هذه المشاكل ؟

28. هل أنت منخرط في منظمة نقابية ؟ نعم ☐ لا☐
* في حالة نعم : - اسم المنظمة : ..
- منذ تاريخ : ..
- المهمة المسندة إليك : ..

29. هل تطالع الجرائد ؟ نعم☐ لا☐
* في حالة نعم : عناوين الجرائد التي تطالعها.
- هل تطالعها : يوميا☐ ، أحيانا☐ ، لا أبدا☐.
- ما هي المواضيع التي تريد قراءتها ؟
* في حالة لا : لماذا ؟

30. كيف تقضي أوقات فراغك ؟ ويوم العطلة الأسبوعية ؟

31. أين تقضي العطلة السنوية ؟

32. ما هي المدن الجزائرية التي زرتها ؟
- المدينة :
- تاريخ الزيارة :
- سبب الزيارة :

33. ما هي الدول الأجنبية التي زرتها ؟
- المدينة :
- تاريخ الزيارة :
- سبب الزيارة :

34. في المسائل الشخصية هل تستشير أحدا من أفراد عائلتك لأخذ القرار المناسب ؟

35. هل لديك فكرة عن التداوي بالطرق التقليدية ؟ اذكر حالات تعرفها ؟ وهل هذه الطرق شافية (العلاج) ؟
36. ما هي الأنشطة التي تمارسها في مكان عملك ؟
37. ما هي نوعية المشاكل المطروحة على مستوى ؟
- الأسرة :
- الحي :
- المصنع :
- المدينة :

38. ما هي المهن التي تنصح باختيارها لأبنائك أو بناتك ؟ ولماذا ؟
39. ما هي المهن التي لا تنصح باختيارها لهم ؟ ولماذا ؟
40. في رأيك من هو الذي يتمتع بالحياة الأفضل العامل ، الفلاح ، أم التاجر ...؟ ولماذا ؟
41. هل لديك أقارب يسكنون بجوارك ؟ وهل تتبادلون الزيارات في البيت ؟
42. في أيامنا هذه استطاعت المرأة أن تتحصل على درجة من التعليم وأن تشارك الرجل في العمل خارج البيت، كيف ترى هذه الوضعية ؟
43. ما رأيك في تعليم الفتاة ؟
44. ما رأيك في اختيار البنت لشريك حياتها ؟
45. هل يمكن للخطيب أن يرافقها للبيت العائلي قبل الزواج ؟
46. ما موقفك من عمل البنت خارج المدينة (الغزوات) ؟
47. ما رأيك في غربة البنت من متابعة الدراسة خارج أو داخل الوطن ؟
48. أصبح الكثير يختارون خطيبتهم لوحدهم وبدون تدخل وليهم ما رأيك في هذا التغيير ؟
49. هل تتفق مع فكرة أنه يجب على الوالدين الأخذ بعين الاعتبار آراء وأفكار أبنائهم ؟
50. هل زوجتك منخرطة في جمعية ثقافية أو رياضية ؟
51. هل تمارس الرياضة ؟ نعم☐ لا☐ وكم مرة في الأسبوع ؟
52. ما هي الأنشطة التي تقوم بها في الحي الذي تسكنه ؟
53. ما رأيك في زواج الأقارب ؟
54. هل يوجد روح التعاون بين السكان ؟
55. يقال أن أهل الغزوات أمراء في الكرم، هل هذا صحيح ؟
- في حالة نعم : كيف ؟ اشرح.

56. هل طريقة إحياء الزفاف تغيرت عن الماضي ؟ تحدث.
57. ما هي الحرف التي لازال السكان يزاولها ؟
58. هل تحضر الطقوس الدينية مثل الوعدة، الجنازة ....؟

59. ما هي الصناعات التقليدية التي لازال السكان متمسكون بها ؟ وهل هناك صناعات اختفت ؟

60. لو طلب منك تحديد نمط معيشة السكان فهل ترى أنه :
- تقليدي☐ ، حديث☐ ، منحرف☐ ، غير ذلك☐.

61. هل يمكنك تحديد نمط معيشة أسرتك ؟
- تقليدي☐ ، حديث☐ ، بين وبين☐.

62. ما هي نوعية التغيرات التي تريد إدخالها على نمط معيشة أسرتك ؟ لماذا ؟
63. هل تغير الحوار على ما كان عليه داخل الأسرة ؟
64. ما هي القيم التي تريد غرسها في أبنائك ؟
65. اذكر الاحتفالات السنوية التي تحييها مع العائلة ؟ أين، وكيف ؟
66. ما رأيك في انتقال الأبناء بعد الزواج ؟
67. هل تعتقد أن هناك أسئلة كان علينا أن نطرحها عليك ولم نقم بذلك ؟ نعم ☐ لا☐
68. هل لديك سؤال تريد طرحه علينا ؟ نعم ☐ لا ☐ وما هو ؟
69. رأي المحقق حول مجريات القيام بالتحقيق .

15 — NEMOURS (Algérie) - La Porte ouest - Entrée de la ville

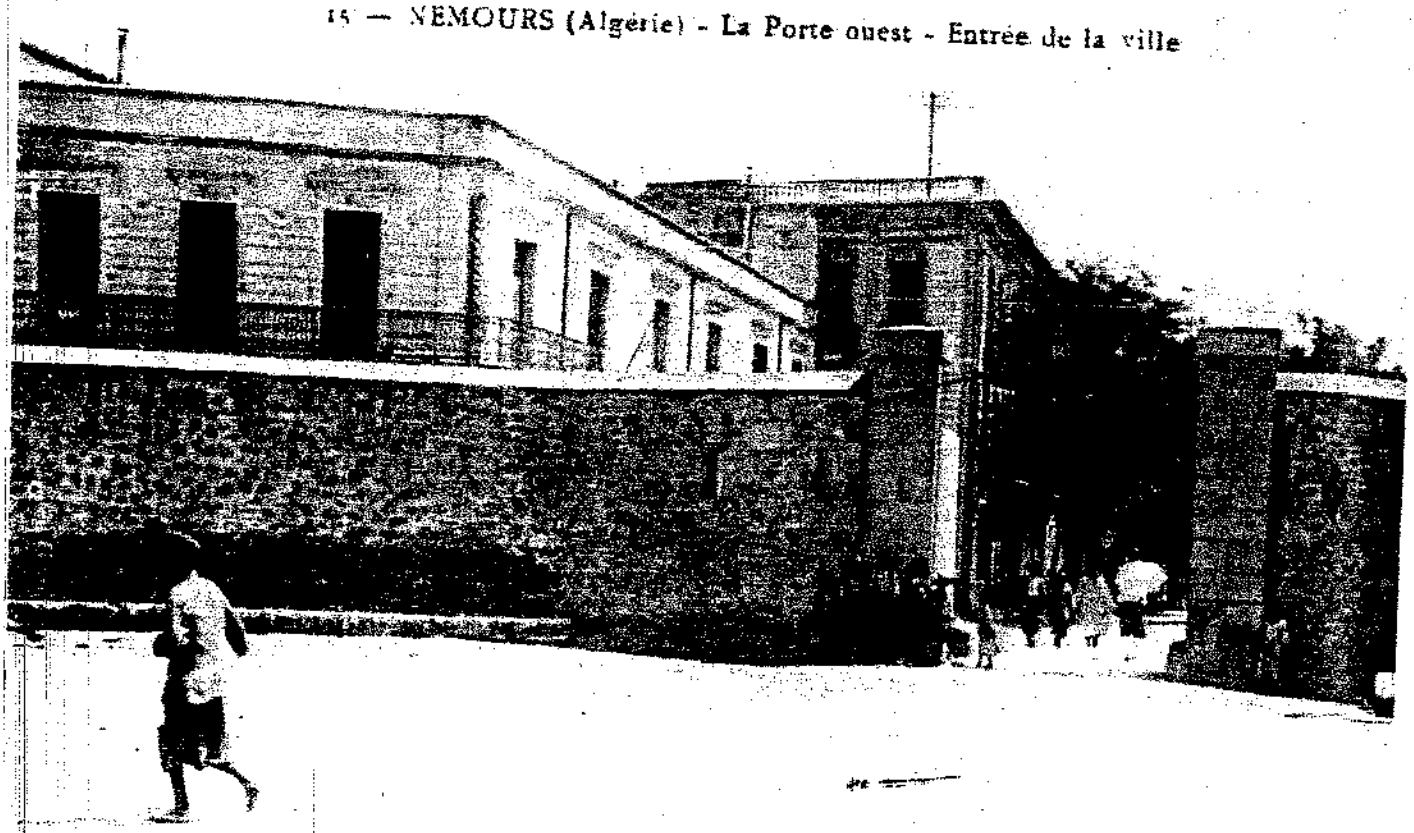

1 . باب تلمسان في الجهة الغربية من المدينة

2. أسس باب **تاونت** في الجهة الشرقية من مدينة الغزوات .

3. السّاقية ، هذا المكان الذي كان يقام فيه السّوق الأسبوعيّة .

4. باب ندرومة في الجهة الجنوبية من المدينة ، أحد الأبواب الثلاثة التي كانت موجودة بالغزوات ، وهو باقي الى يومنا هذا .

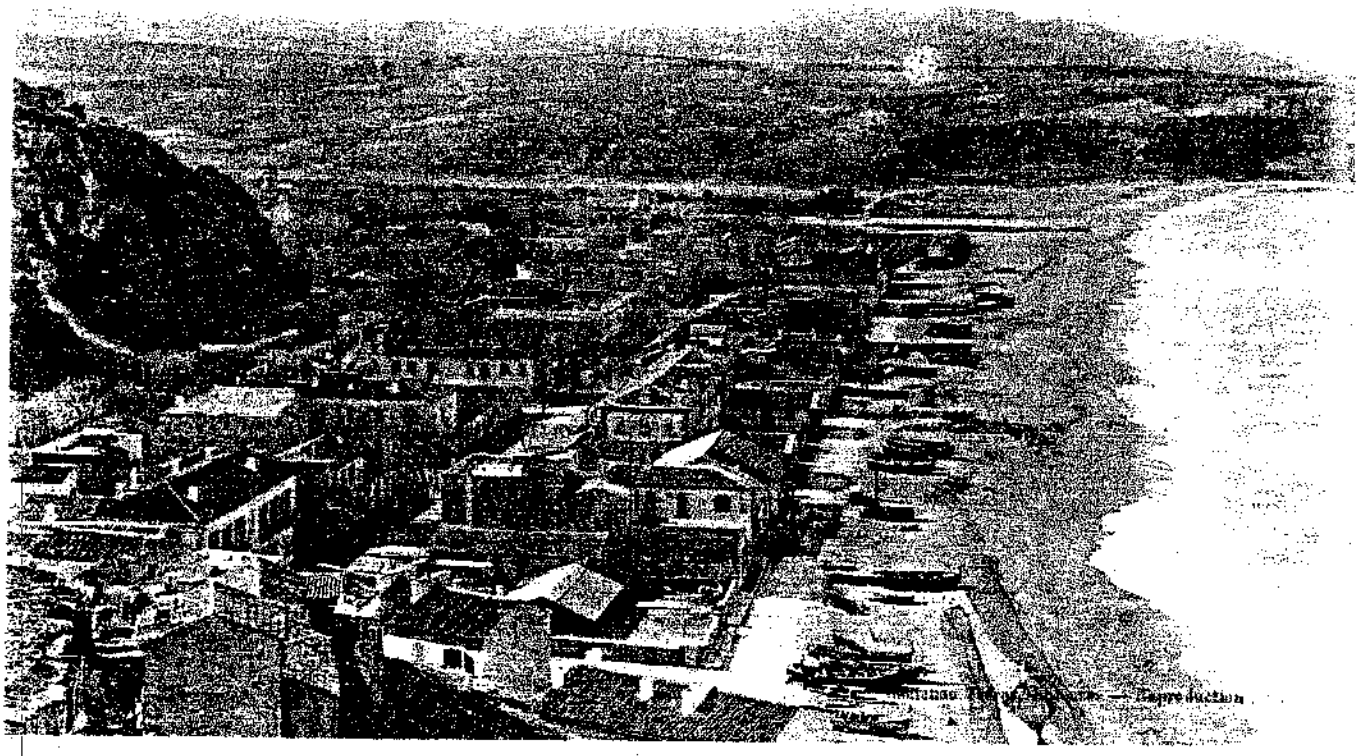

5. منظر عام لشاطئ مدينة الغزوات قبل بناء الميناء .

الكنيسة

6. الكنيسة بهندستها المعمارية الرّومانية ، أنشأت في الفترة مابين 1865–1867.

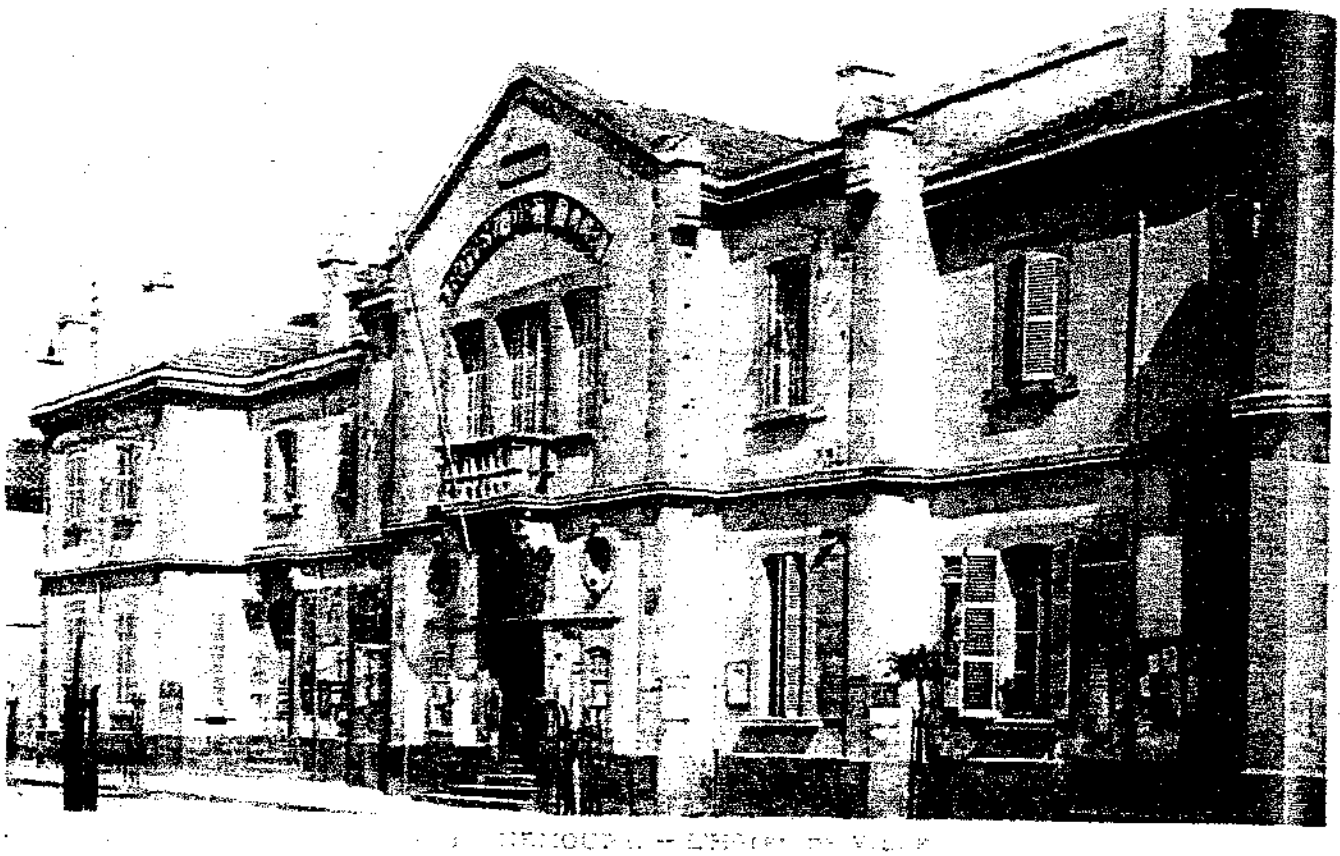

7. هذه البناية تمثل دار البلدية ، هندستها تحمل ميزات الطابع الأوروبي .

8. هذه الصّورة تمثل الجماعات البشرية الثلاثة التي كانت تعيش في الغزوات قبل الإستقلال (العرب المسلمين، اليهود ، الأوربيين).

9. منظر عام لمدينة الغزوات بعد إنشاء خط للسكّة الحديدية و بناء الميناء.

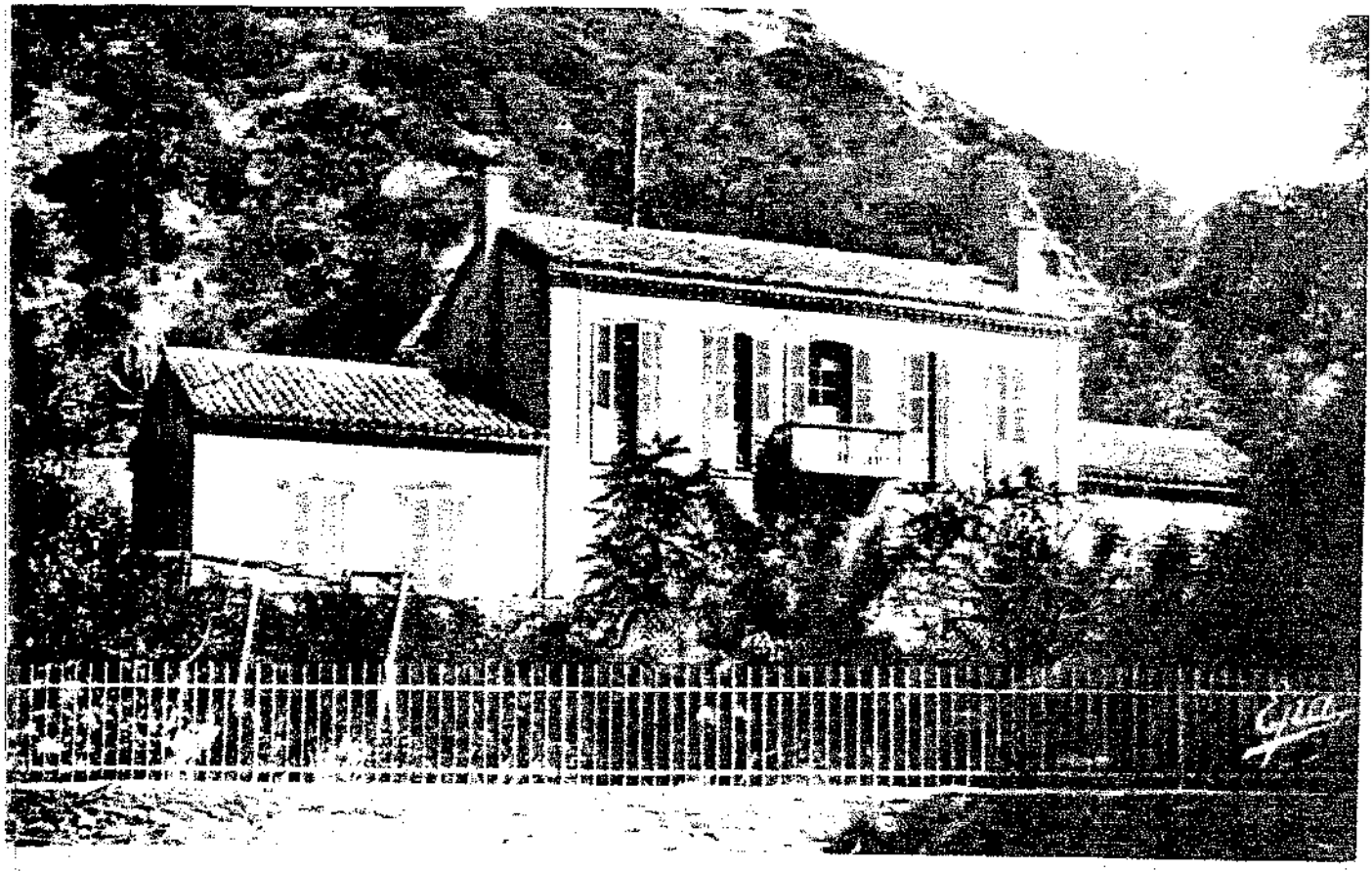

10. في هذه البناية ، قضى الأمير عبد القادر ليلة الأخيرة فوق أرض الوطن ، قبل ترحيله.

11. دار البريد و المواصلات

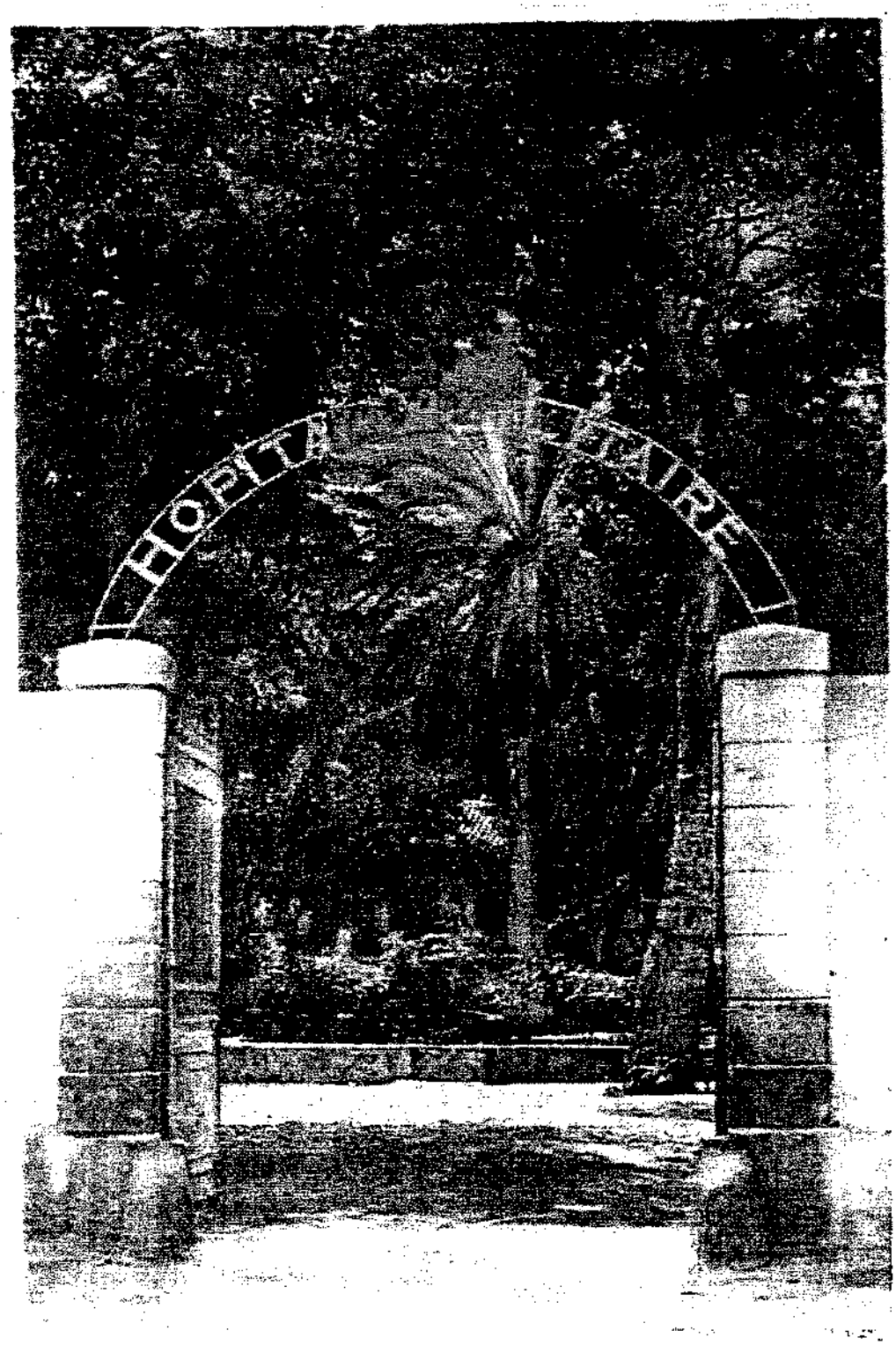

12 . شرع في بناء المستشفى العسكري بالغزوات في 1868 ، و قد إستمرّ تشييده عدّة سنوات ، حتى 1872.

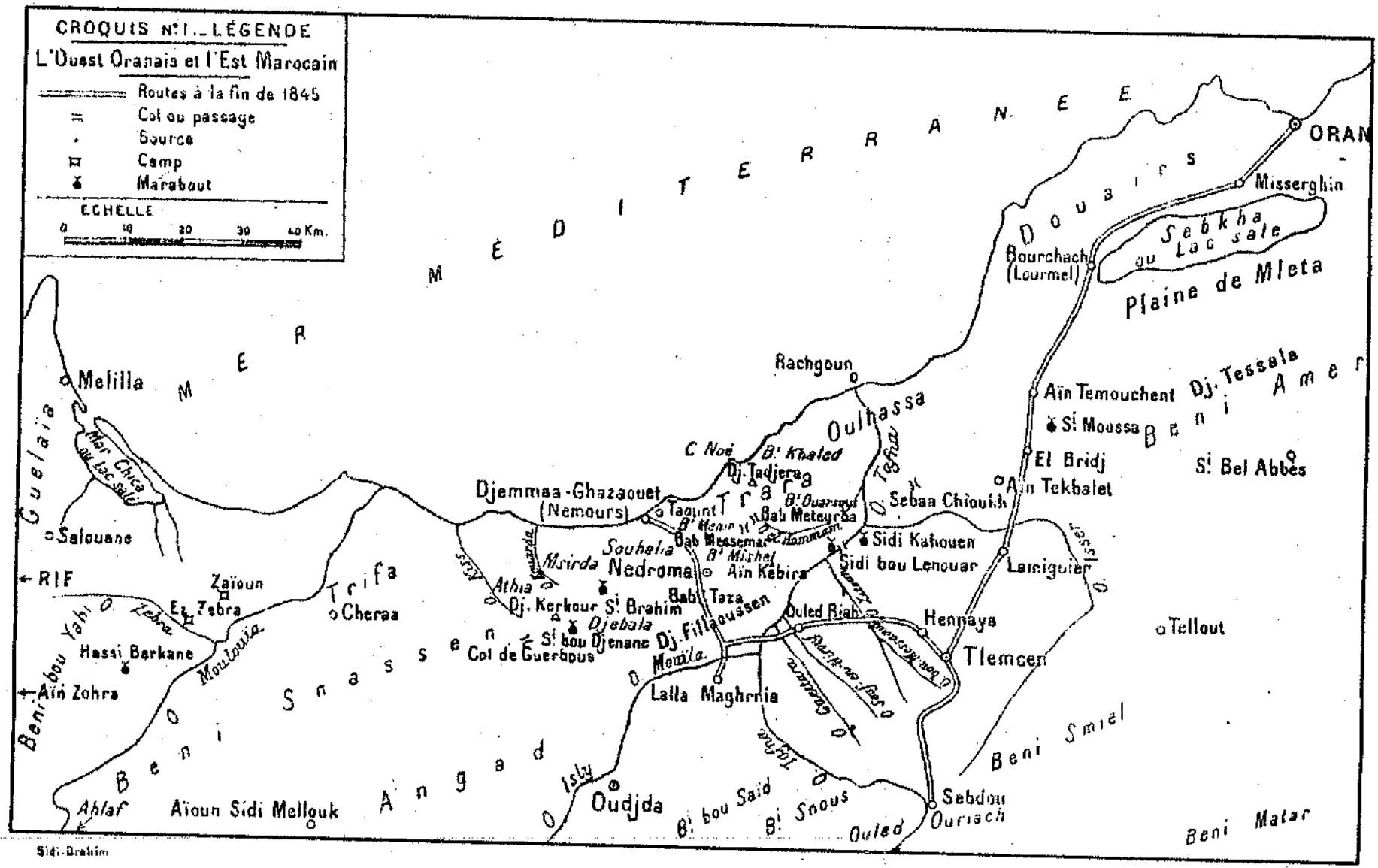
CROQUIS N°1 — LÉGENDE
L'Ouest Oranais et l'Est Marocain
Routes à la fin de 1845
Col ou passage
Source
Camp
Marabout
ECHELLE
0 10 20 30 40 Km.
M É D I T E R R A N É E
M E R
Melilla
Mar Chica ou Lac salé
Guelaia
Saïouane
RIF
Zaïoun
Ez Zebra
Oued Zebra
Beni bou Yahi
Hassi Berkane
Aïn Zohra
Ahlaf
Aïoun Sidi Mellouk
Trifa
Cheraa
Moulouia
Beni Snassen
Col de Guerbous
Djemmaa-Ghazaouet (Nemours)
Souhalia
Msirda
Nedroma
Athia
Oued Kiss
Dj. Kerkour
Si Brahim
Djebala
Si bou Djenane
Dj. Filaoussen
Babi Taza
Aïn Kebira
B' Mishel
Bab Messemar
Bab Meteurba
B' Ouarsous
B' Henin
Dj. Tadjera
C. Noé
B' Khaled
Tafrata
Oulhassa
Rachgoun
Tessala
Oued Isly
Oudjda
Lalla Maghrnia
Oued Mekkera
Oued Tafna
B' bou Said
B' Snous
Ouled Ouriach
Sebdou
Ouled Riah
Tlemcen
Hennaya
Aïn Tekbalet
El Bridj
Aïn Temouchent
Si Moussa
Seban Chioukh
Sidi Kahouen
Sidi bou Lenouar
Lamiguier
Oued Isser
Tellout
Si Bel Abbès
Beni Amer
Dj. Tessala
Plaine de Mleta
Sebkha ou Lac salé
Bourchach (Lourmel)
Misserghin
ORAN
Douairs
Beni Smiel
Beni Matar

Sidi-Brahim

Algérie

Département d'Alger

Service Topographique

COMMUNE DE NEMOURS

En quatre parties - Première partie

PLAN

du territoire de

NEMOURS

Echelle de $\frac{1}{10000}$

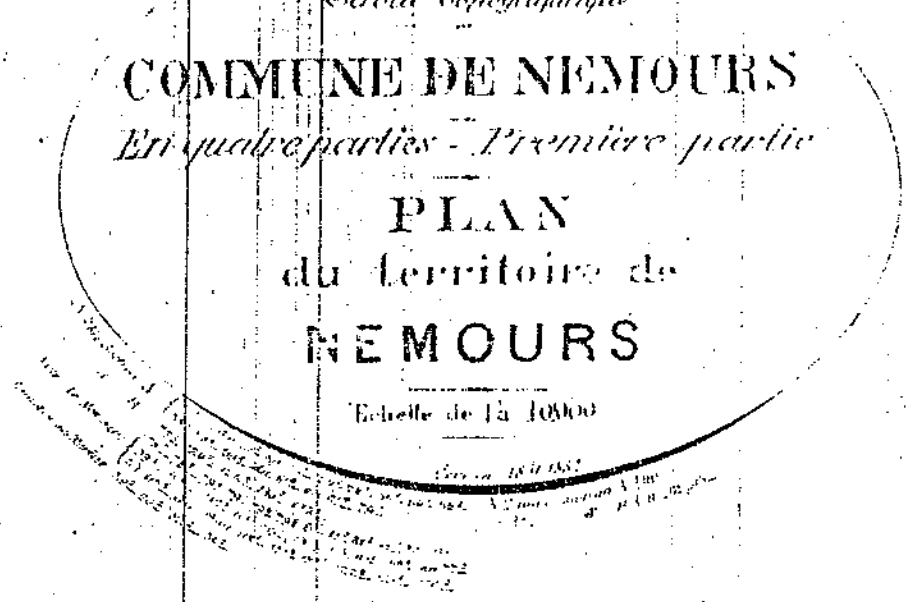

Section A | Du lot N°1 au lot N° 10 ; Du d° 91 au d° 161

Section B | Du lot N°1 au lot N° 10 ; d° 91 au d° 189

Ville de Nemours | Du lot N°1 au lot N° 126

Quartiers de la Marine | Du lot N°1 au lot N° 91

Légende

- Limite des Communes
- " Territoires
- " Sections
- " Feuilles
- " Lignes dits

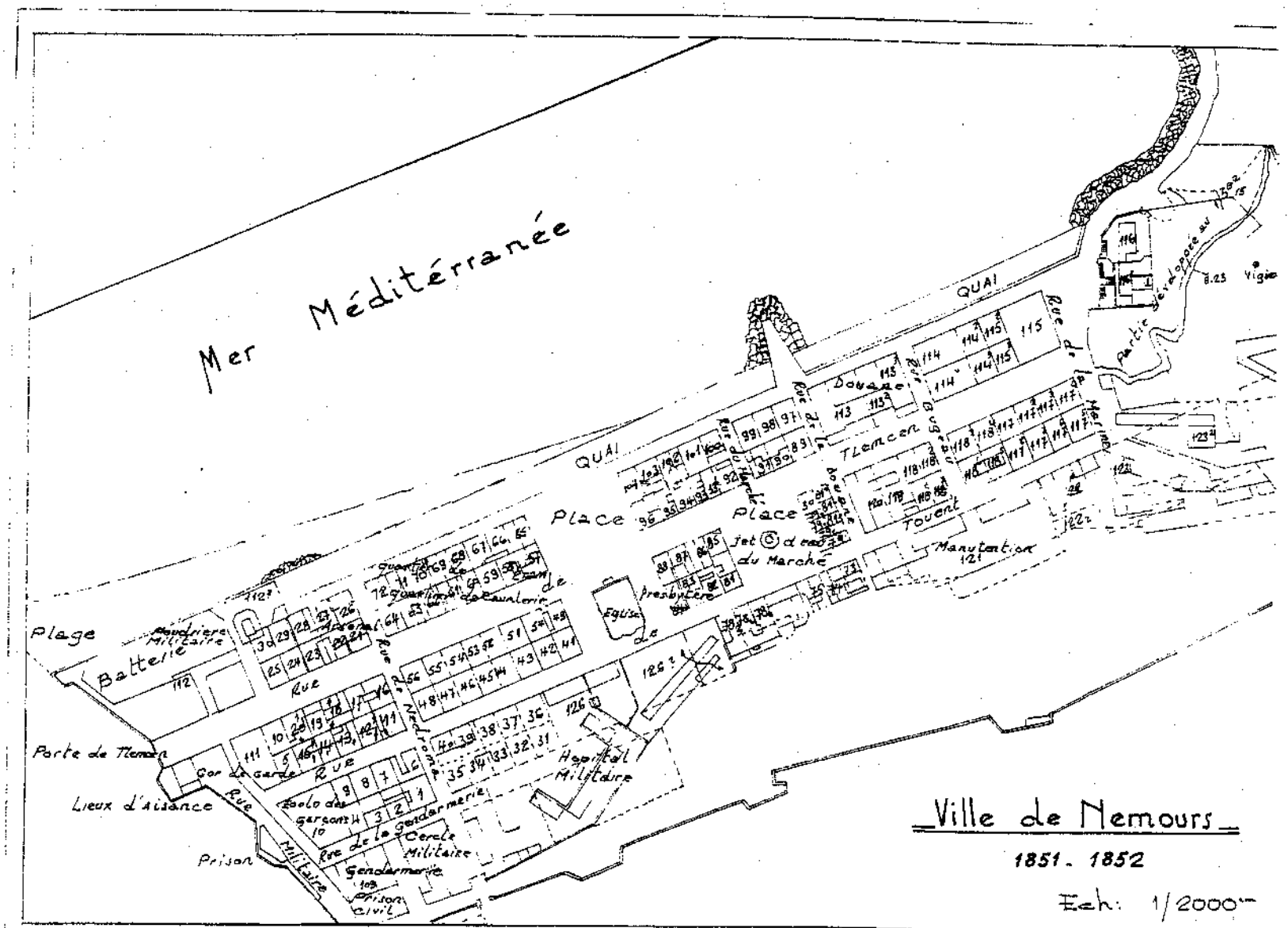
Mer Méditerranée
QUAI
Place
Plage
Batterie
Gendarmerie Militaire
Rue
Porte de Nemours
Lieux d'aisance
Prison
Rue Militaire
Corps de Garde
Ecole des garçons
Rue de la Gendarmerie
Cercle Militaire
Gendarmerie
Prison civil
Hôpital Militaire
Eglise
Presbytère
Jet d'eau du Marché
Tlemcen
Touent
Manutention
Vigie
Ville de Nemours
1851. 1852
Ech: 1/2000m

PORT DE NEMOURS — Situation en 1921

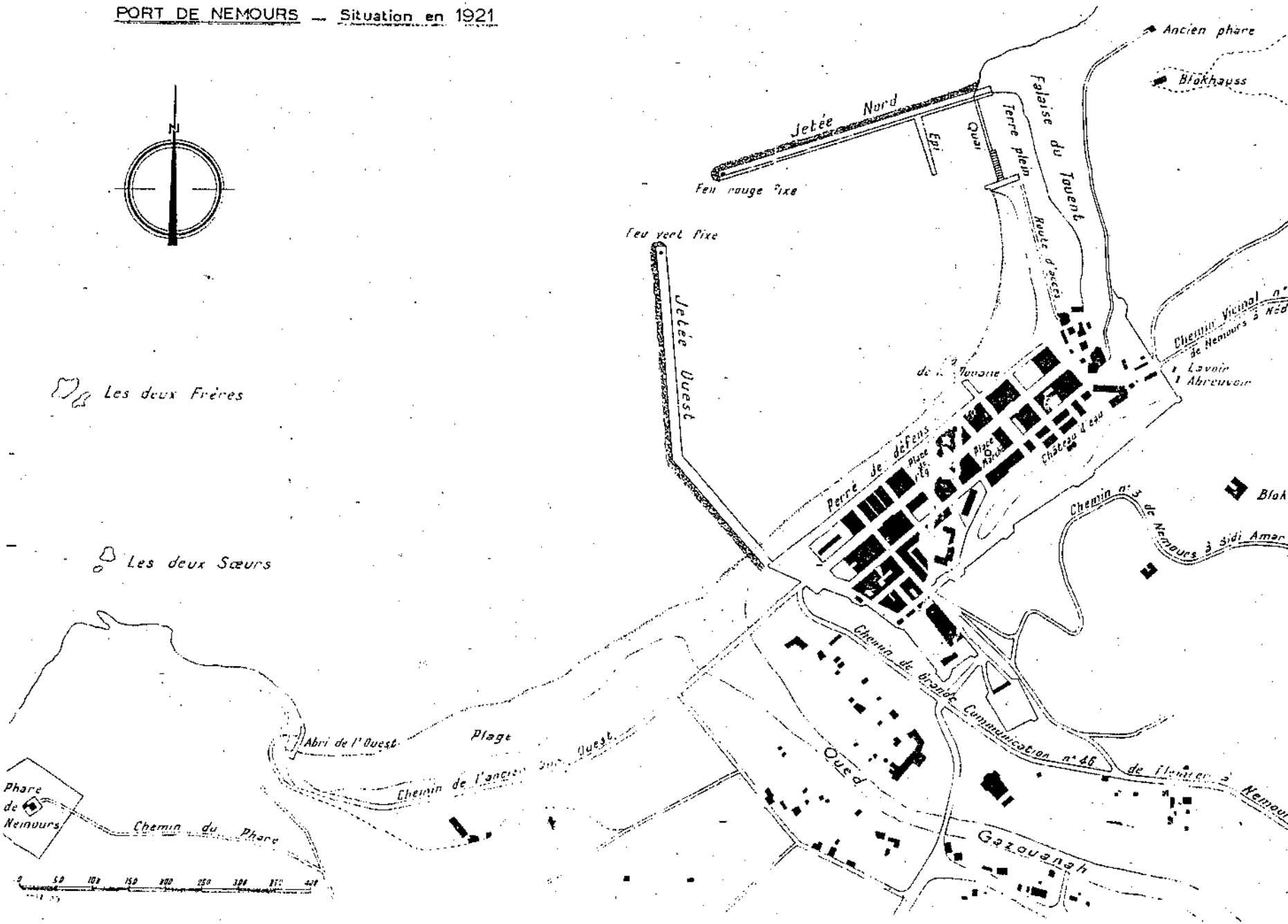

PORT DE NEMOURS — Situation en 1939

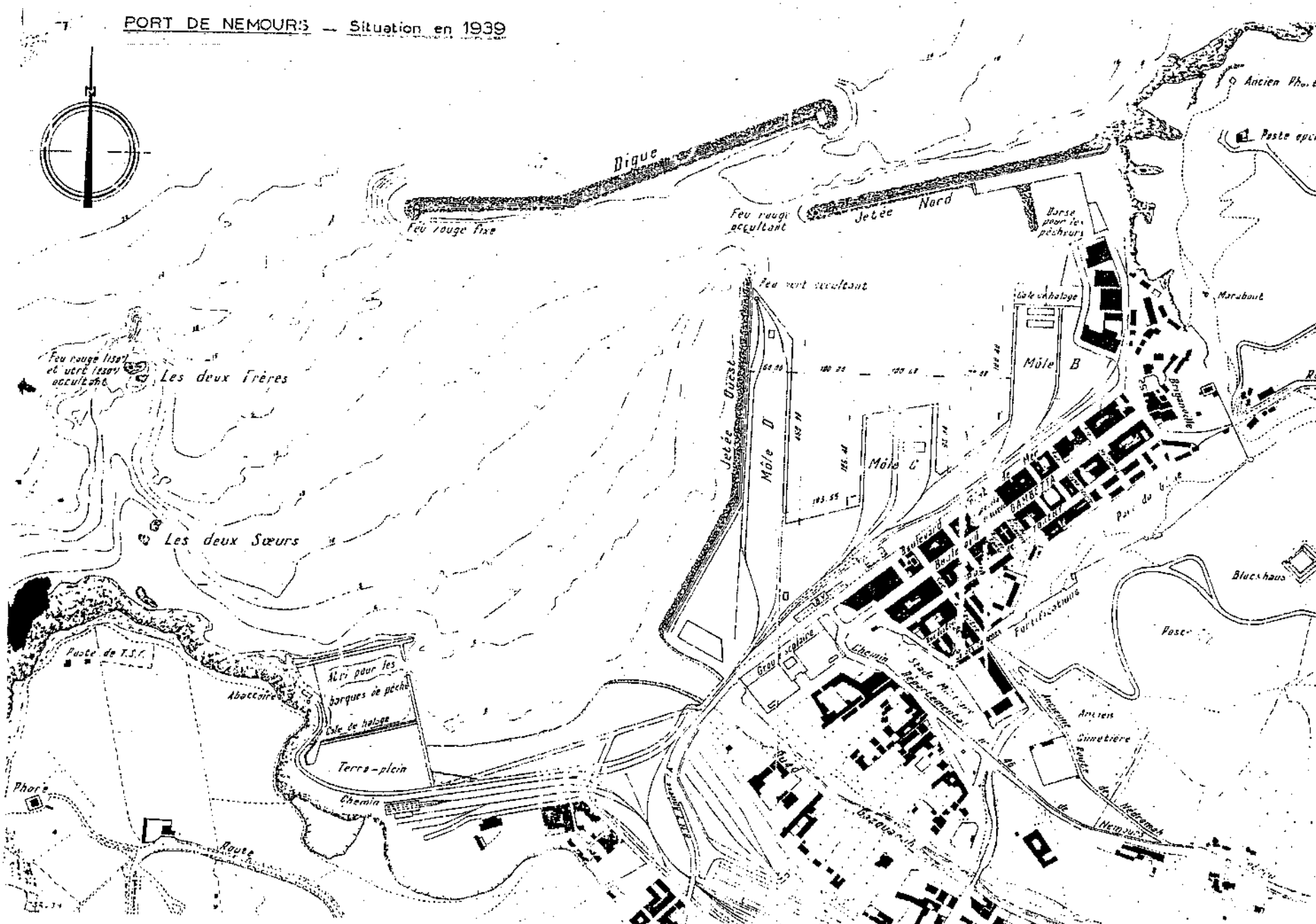

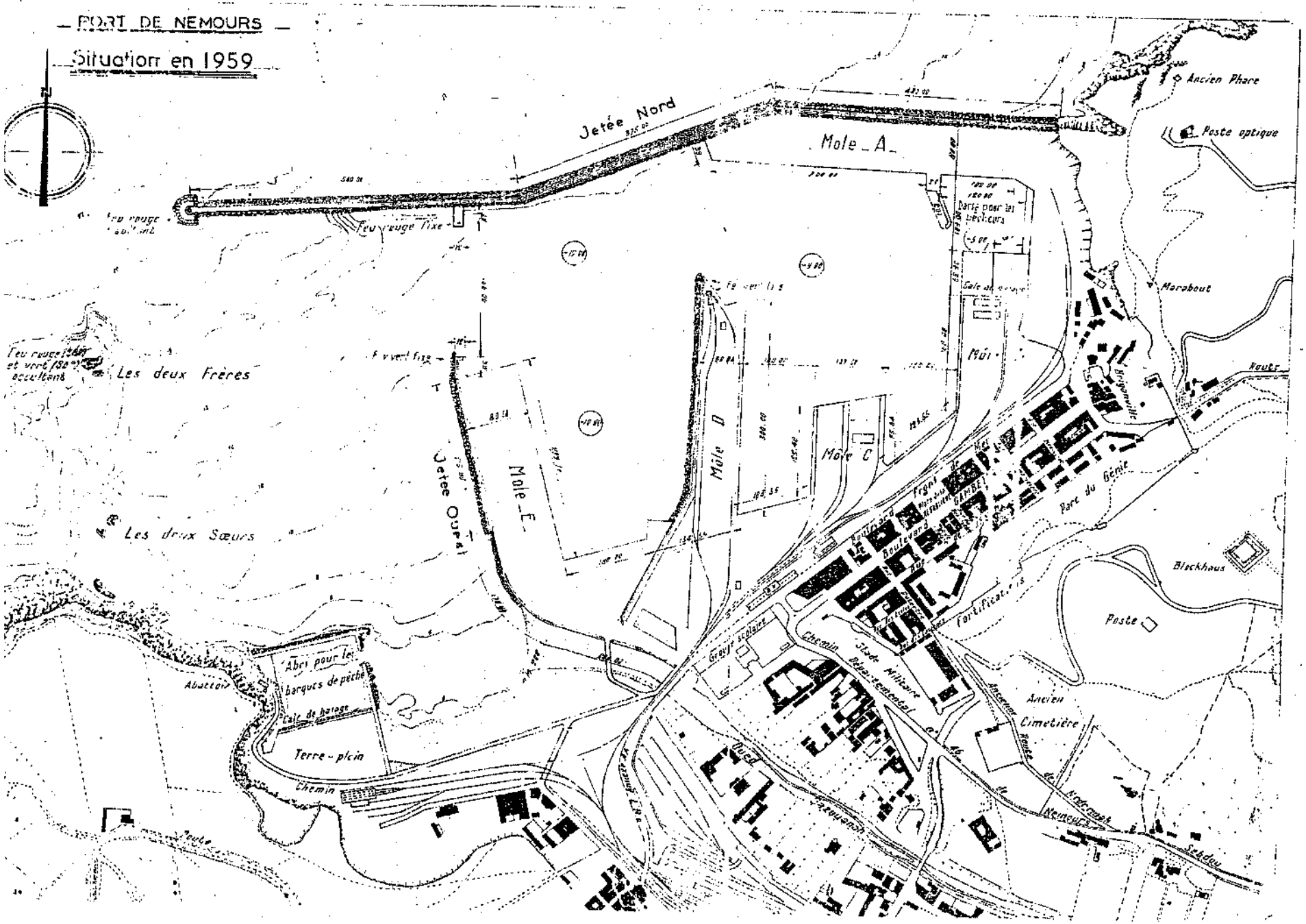
PORT DE NEMOURS
Situation en 1959
N
Jetée Nord
Môle A
Ancien Phare
Poste optique
Feu rouge fixe
Parc pour les pêcheurs
Cale de lancement
Marabout
Feu rouge scintillant et vert fixe occultant
Les deux Frères
Les deux Sœurs
Jetée Ouest
Môle E
Môle D
Môle C
Môle
Brigantin
Route
Parc du Génie
Blockhaus
Poste
Fortifications
Abri pour les barques de pêche
Cale de lancement
Terre-plein
Abattoir
Chemin
Grève scalaire
Chemin Haute Altitude
Ancien Cimetière
Route de Nemours
Nemours
Seddou
Oued

المراجع

المراجع باللغة العربية :

1- ابراهيم امام العلاقات العامة والمجتمع ، دار المعرفة الجامعية، مكتبة انجلو المصرية، 1974

2- ابراهيم بن يوسف ، اشكالية العمران و المشروع الإسلامي ، مطبعة أبو داوود ، الجزائر، 1992

3- ابن خلدون ، المقدمة، تحقيق الأستاذ حجر عاصي ، دار و مكتبة الهلال، بيروت ، 1991

4- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5 ، ج 6 ، ج8 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 1981

5- ابو القاسم سعد الله، مدن المغرب العربي في الأدب الجغرافي العربي ، 1984

6- احسان محمد الحسن ، التصنيع و تغير المجتمع ، دار الرشيد للنشر ، بغداد، 1981

7- السيد الحسيني ، المدينة ، دراسة في علم الاجتماع الحضري، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ط 1 ، 1980

8- السيد عبد العاطي السيد ، التصنيع و المجتمع ، دراسة تطبيقية

9- السيد عبد العاطي السيد ، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق، ج 1 ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1987

10- احمد بن نعمان ، الثقافة ، دار الأمة للنشر ، ط1، 1996

11- احمد كمال ، علم الاجتماع الحضري ، دار الجيل للطباعة القاهرة ، 1976

12- بشير مقيبس، مدينة وهران ، دراسة في جغرافية العمران ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1987

13- د . بوشنافي بوزيان ، التحضر و الثقافة الحضرية بالمغرب ، دراسة فى البناء الاجتماعي لمدن الصفيح منشورات الحوار ، المغرب ، ط1، 1988

14- جكلين بوجو قارني ، الجغرافية الحضرية ، ترجمة حليمي عبد القادر ، ديوان المنشورات الجامعية ، الجزائر ، 1989

15- حسن الساعاتي ، التصنيع والعمران ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3 ، 1980

16- د . سمير نعيم احمد ، المجتمع ، ج3 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1971

17- د . سمير نعيم احمد ، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، ط4 ، 1987

18- سناء الخولي ، التغير الاجتماعي والتحديث ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1985

19- د . عاطف غيث ، السيد عبد العاطي السيد ، المجتمع الحضري ، دار المعارف الجامعية القاهرة، 1986

20- د .عاطف غيث ، علم الاجتماع الحضري ، مدخل نظري ، دار النهضة العربية بيروت ، ط بدون سنة

21- عامر ابراهيم قندبلجي ، البحث العلمي ، دليل الطالب في الكتابة والمكتبة والبحث ، مطبعة عصام بغداد ، 1979

22- عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية بيروت ، 1981

23- عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، الدار العربية للكتاب طرابلس ، 1984

24- عبد الحميد محمود سعيد ، دراسات في علم الاجتماع الثقافي (التغير والحضارة) ، مكتبة النهضة القاهرة ، 1980

25- عبد القادر جغلول ، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسط ، دار الحداثة ، بيروت ، 1982

26- عبد الكريم غريب ، منهج و تقنيات البحث العلمي ، منشورات عالم التربية ، المغرب، ط1، 1997

27- عبد اللطيف بن اشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر ، المطبعة التجارية ، الجزائر ، 1986

28- عبد اللطيف بن اشنهو ، تكون التخلف ، في الجزائر ، SNED ، 1979

29- د . عبد الله عطوي ، الانسان والبيئة في المجتمعات البدائية والنامية والمتطورة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ط1 ، 1993

30- علي بوعناقة ، الاحياء الغير المخططة و انعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب ، دراسة ميدانية مقارنة ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، 1987

31- فادية عمر الجولاني ، علم الاجتماع الحضري ، دار عامر للكتب ، الرياض ، 1984

32- د .فتحي محمد ابو عيانة ، السكان و العمران الحضري ، دار النهضة العربية بيروت ، 1984

33- د. فوزية دياب ، القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، 1980

34- مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر للنشر دمشق ، 1985 عن ط 1979

35- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط 4 ، 1984

36- د . محمد السويدي ، بدو الطوارق بين الثبات و التغير ، دراسة سوسيو- انثروبولوجية في التغير الاجتماعي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986
37- د. احمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري ، تحليل سوسيولوجي لاهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1990
38- محمد حسن غامري ، الأنثروبولوجية الحضرية ، دار المعارف الجامعية مصر ، ط1 ، 1984
39- محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعي و التخطيط ، دار المعارف القاهرة ، ط1 ، 1962
40- محمد علي محمد ، علم الاجتماع و المنهج العلمي ، دراسة في طرائق البحوث و أساليبه ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية ، 1983
41- محمد طلعت عيسى ، تصميم البحوث الاجتماعية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، 1980
42- د. محمود الجوهري ، تمهيد في علم الاجتماع ، دار المعارف القاهرة ،ط1، 1981
43- محمود الجوهري و آخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري ، دار الكتاب بيروت، ط3 1971
44- محمود الجوهري و عليا شكري ، دراسة في علم الاجتماع ، دار المعارف بيروت لبنان ، 1994
45- محمود الكردي ، التحضر ، دراسة اجتماعية ، دار المعارف القاهرة ، ط 2 ، 1986
46- مصطفى الخشاب ، الاجتماع الحضري ، مكتبة انجلو المصرية القاهرة ، 1976
47- مصطفى الشرقاوي ، علم الصحة النفسية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط بدون سنة
48- مكيفر وبيج ، المجتمع ، ترجمة سمير نعيم أحمد، ج1 مكتبة النهضة المصرية ، 1981
49- ناصر الدين سعيدوني ، مقالات في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1984

المعاجم باللغة العربية

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد 13 ، 1994

2- د. سليم حداد ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1982

3- المعجم العربي الاساسي للناطقين بالعربية متعلميها، تأليف جماعة من كبار اللغويين تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم Larousse 1989

4- المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية ، القاهرة ج2 ، 1961

5- محمود الجوهري و آخرون ، معجم المصطلحات الانثولوجية و الفولكلور ، دار المعارف القاهرة ، ط3 ، 1973

الدوريات و المجلات :

1- د. جمال غريد ، العامل الشائع ، مجلة انسانيات 1 معهد البحوث الانثربولوجية السوسيولوجية و الثقافية وهران ، 1997

2- د. زكي حنوش ، أسباب و نتائج الهجرة السكانية من الريف الى الحضر في الوطن العربي ، المشكلة و الحل ، مجلة عالم الفكر الكويت ، المجلد 28 ، العدد واحد ، يوليو-سبتمبر 1999

3- شريفة حجيج ، العائلة بين الامس و اليوم ، انسانيات4 ، معهد البحوث الانثروبولوجية ، السوسيولوجية
والثقافية وهران ، 1998

4- محمد سبيلا الثقافة ، دراسات عربية ، العدد 3 ، دار الطليعة بيروت ، يناير 1984

5- مراد مولاي الحاج ، الغزوات في ظل التحولات السوسيو- ثقافية ، أنسانيات5 ، معهد البحوث الانثروبولوجية السوسيولوجية و الثقافية ، وهران 1998

6- مراد مولاي الحاج ، مكانة البحث الميداني في الدراسة الانثروبولوجية ، معهد البحوث الانثروبولوجية

السوسيولوجية و الثقافية وهران 1999
7- نادر سراج ، التواصل الانساني بين الموروث الشعبي والعمران المستقبلي مجلة الثقافة البحرين ، السنة 5 العدد 20 ، أبريل 1999

الرسائل :

1- بلقاسم لعروف ، التصنيع و التغير الاجتماعي في مدينة قسنطينة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص علم اجتماع ، جامعة عين شمس ، القاهرة 1990-1991
2- محمد رمضان ، أنماط التكيف الاجتماعي و الثقافي في الاحياء الجامعية ، دراسة ميدانية ، رسالة لنيل
شهادة الماجستير ، تخصص أنثروبولوجية ، معهد الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان 1995-1996

المصادر :

1- بلدية الغزوات
2- مصلحة الارصاد الجوية بالغزوات
3- المؤسسة الجزائرية للزنك (ALZINC) .

المراجع باللغة الفرنسية :

1- Abdellah Hamad Dulaymi , Le logement contemporain et les traditions, Science sociale et phénomènes urbains dans le monde arabe . Edition, la fondation du roi Abdelaziz Saoud pour les études Islamiques 1997.
2- Alléan René, la science des symboles, paris 1976.
3- Alléan René, la ville, Edition de Minuit, 2éme Edit, 1982.
4- Alléan René, Traditions, Paris PUF, 1968.
5- Canal , les villes de l'Algérie, Nemours Paris 1888.
6- Castelles, La question urbaine, Paris PUF, 1978.
7- Cherif Rahmani, Croissance urbaine en Algérie, O.P.U 1982.
8- Djilali Benomrane, crise de l'habitat et perspective de développement socialiste, SNED 1980.
9- Djilali Sari, Les mutations Socio Economiques et spatiales en algérie OPU Alger Edit 1993.
10- E.cat, l'Algérie Nouvelle, revue hebdomadaire N° 23, Juin 1900.
11- Francis llabador , notice historique sur Nemours et Taount depuis l'antiquite. jusqu'à l'arrivée des français, Mars 1935.
12- Hamid Temmar, Stratégie de développement indépendant, le cas de l'Algérie, OPU Alger 1983.
13- Henin Stéphane, aménagement rural en Algérie, encyclopédie universalis 2000. C.P Rom.
14- Henry le febvre, la révolution urbaine, paris Gallimard, 1970.
15- Jean Charles Depaule, contribution au théme « Habitat contemporain et tradition »
16- Joseph Dumazier, civilisation du loisir Paris Seuil 3éme Edition 1983..
17- Joseph le tourneau, les villes romaines à travers l'Algérie 1947.
18- Le guide d'Algérie, SNED, 1988.
19- L.Mumford, la cité à travers l'histoire Paris 1961.
20- Mac Carthy, in Ball de société – Tome 56 Fasc 199, Année 1953.
21- Massimo Repetti, l'Anthropologie urbaine et l'anthropologie urbaine en Afrique Guallimard Paris 1990
22- Max Veber, économie et société Paris Plan 1971.
23- Max Veber, La ville, Edition Aubier 1994.
24- Mohamed Arkoun et autres, L'Islam hier, Demain, Paris Buchet, Chastel 1978.
25- Mohammed Hamdoun, Ghazaouet (Nemours) Edit l'Harmattan 2001.
26- Mireille mayer et autres, Des Migrants et des villes, mobilité et insertion, travaux et documents de l'I.R.E.M.A.M N° 06, Aix en provence, 1988
27- Mustapha Boutefnouchet, Système social et changement en Algérie , OPU Alger 1986.
28- Nemours, B.C.E.O.M Equipement Urbains Oct, 1959.
29- Nemours, in Bulletin de Soc, Geo , d'Arch Tome IVI 1935.
30- O.Niel , Nemours in Bulletin de la société de géographie et d'archéologie Tome XLV

31- P.D.A.U, Ghazaouet, phase 3, Année 1995.
32- Philippe Lucas –Jean Claude Vatin, 'Algérie des anthropologues, François Maspèro, 1975.
33- Pierre Bordieu et Sayed , Le Déracinement Edition de minuit Paris 1964.
34- P.L Gervellati, R.S Canavini, la nouvelle culture urbaine, Bologne face à son patrimoine, Edition Seuil Paris 1981.

المعاجم و المجلات و الجرائد:

1- Dictionnaire de la langue française, deuxième édition , 9 Volumes, Paris, 1965.
2- Piérre Bonté , Michel IZARD, Dictionnaire de l'anthropologie et de l'ethnologie, Edit PUF.1990.
3- R.Boudon, F.Bourricand , dictionnaire critique de la sociologie, Edit Puf 4éme Edit, 1994.
4- The Town planning Review, revue urbanisme, magasine international de l'architecture et de la ville, Janvier Février 2000 N°310.
5- Belbachir Djelloul, Ghazaouet, les mariages ne sont plus ce qu'ils étaient, le quotidien d'Oran,
- Mercedi 25 Août 1999. Première partie
- Jeudi 26 Août 19999 Deuxième partie.